الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية



قسم التاريخ و علم الاثار

مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ القديم

الموسومة ب:

حركة الاستيطان السامية

(الفينقية ـ اليمنية)

دراسة مقارنة

تقديم الطالبة: المشرف: ا.د

نادية ماجي ام الخير العقون

اعضاء المناقشة:

ا.د. عبد القادر بوعيزم	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران
ا.د. ام الخير العقون	أستاذة التعليم العالي	مقررا	جامعة وهران
ا.د. بلقاسم رحماني	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة الجزائر
د. محمد بن عبد المومن	أستاذ محاضر(ا)	مناقشا	جامعة وهران

السنة الجامعية: 2014ـ2013

مقدمة

عرف العالم منذ ظهور الإنسان على وجه الأرض تحركات بشرية تدفعها مجموعة من العوامل التي تعتبر نقائص يعاني منها في أرضه الأصلية، أو أنّها حاجة يبحث من ورائها على الغنى والثروة كالتجارة، وبذلك نلاحظ أنّ حركة الهجرة ليست عملية عفوية وإنّما مقصودة ولها أهدافها ، فهي وسيلة أمام البحث عن الظروف المعيشية التي لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها للاستمرارية في العيش .

أكثر ما يميّز الطبيعة الإنسانية هو التغيّر وعدم الثبات ،هاتان الميزتان جعلتا علماء الجنس البشري يختلفون ويعجزون أمام دراسة مختلف الشعوب الموجودة على سطح الكرة الأرضيّة ، لأنّ المجتمع يتأثر ويؤثر في المجتمعات التي يحتك بها ، وحتى الطبيعة لها الدور الكبير في التميز الحضاري لكل المجتمعات ، فنجد على سبيل المثال حضارات نهرية (مصر والعراق)وحضارات بحرية (الكريتية والفينيقية).

وعلى هذا الأساس فالمجتمعات المهاجرة التي تؤسس مستوطنات ، لها الدور في ظهور حضارات مركبة من إرثهم الحضاري و ثقافة أهالي الأرض الجديدة. وانطلاقا من هذه اللحظة يصعب على الباحث التمييز بين النمطين، و تظهر شريحة اجتماعية جديدة لها خصائصها و مميزاتها التي تجعلها تختلف عن المجتمعات الأخرى.

وبالتالي فمثل هذه الموضوعات ،أي الهجرات والاستيطان تتطلب الحذر أثناء عملية البحث حتى لا نقع في المزج بين الأصول والفروع وبين وحدة الدم و وحدة الثقافة، لأنّ ليس كل مجتمع ينتمي إلى ثقافة معينة دليل على وحدة الأصل بين أفراده، والعكس صحيح ،حتى وإن كانت الثقافة هي جملة الأنماط السلوكية المكتسبة التي تتنقلها الجماعة خلف عن سلف وتشمل اللغة والعادات والدّين .....فهل يمكننا الاعتماد على عنصر من عناصر الثقافة لإثبات وحدة الأصل بين مجتمع أو عدة مجتمعات ؟

ومن بين الشعوب التي شكّلت ثورة في الساحة العلميّة ،نجد "الشعوب السامية "التي كانت موضوع دراسات منذ القرن التاسع عشر، حيث استقرت هذه الشعوب في أقصى غرب القارة الأسيوية ،إذ تتقارب لغاتهم وقامت لهم حضارات متعاقبة أو متعا صرة،

وبدأت فكرة السامية تنمو بين صفوف المستشرقين بحثا عن الأصل الذي يجمع بينهم، وأخذت تتراوح أفكارهم ما بين القارة الإفريقية و الأسيوية، وغالبا ما كانت الأدلة عبارة عن أفكار عنصرية ترغب في وضع حد فاصل بين العالم الإسلامي الشرقي والعالم المسيحي الغربي .

رغم العلاقة اللغوية التي تجمع بين كل الشعوب السامية في الشرق الأدنى القديم، إلاّ أنّ العلاقة بين اليمنيين والفينيقيين وهم ساميون أيضا لم تقتصر على الجانب اللغوي فقط ، بل تجاوزته لتمس جوانب حضارية مختلفة وعديدة . إنّ هذا القاسم المشترك بين الشعبين هو الذي جعلني أفكر في طرح هذا الموضوع: حركة الاستيطان السامية(الفينيقية - اليمنية) دراسة مقارنة .

فعلى الرغم من الدراسات الكثيرة التي تناولت حضارة كل من الفينيقيين واليمنيين ، إلاّ أننا نلاحظ بأنّ هذا الجانب من الموضوع لم يحظ بالاهتمام اللازم والكافي من طرف الباحثين .

ولكل هذه الأسباب اخترت موضوعي هذا، وأمل أن لا تقتصر الدراسة والبحث في تسليط الضوء على العلاقة الحضارية بين الشعبين، بل تتوغل وتتعمق للبحث عن الأصل المشترك الذي يجمع بين كل الأقوام السامية المعروفة في التاريخ القديم ، وذلك من أجل الوصول إلى الميزة التي جعلت كل من الفينيقيين واليمنيين ينفردون بها عن الأقوام السامية الأخرى ، و إذا كان اليمنيون فرع من الأقوام السامية التي بقيت مستقرة في أرضها الأصلية بشبه الجزيرة العربية،فقد تطلب الأمر البحث عن الأصل الفينيقي والإقليم الذي كان مهدا لطفولة حضارتهم الأولى ،التي أظهرتهم دائما كقوم عاش في الطبيعة ذات ظروف صعبة جعلتهم يتأقلمون مع كل الأقاليم التي استوطنوها.بعدما غادروا ديارهم الأولى ، وأصبحت هذه الحضارة إرث احتفظ به الفينيقي أينما ذهب،وكانت تظهر ملامح هذا الإرث إمّا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وهذا دليل على مدى تمسك هؤلاء بجذورهم رغم احتكاكهم بأقوام أخرى ،إلاّ أننا نجدهم يجمعون بين أصالتهم من جهة وحضارات الأقوام الجديدة من جهة أخرى .

فالمجتمع التجاري (الفينيقيون)الذي كان يربط بين حوضي البحر الأبيض المتوسط وحضارات الشرق الأدنى القديم بوساطته التجارية ، كان له نظير في الزاوية الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية وهم اليمنيون الذين أسسوا حضارة خاصة بهم تتماشى وطبيعة أراضيهم،وبعدما كان علماء الغرب يظنّون أن هذا الجزء من المشرق ما هو إلا ملجأ لبعض القبائل البدوية، أظهرت النصوص التوراتية والسجلات الأشورية بأن العرب لم يكونوا كلهم بدو، بل هناك ممالك نشأت وتطورت وعرفت حياة الاستقرار والرفاهية نتيجة لأكبر عماد اقتصادي اعتمد عليه اليمنيون القدامى وهو "التجارة ودور الوساطة التجارية ".

ولم يبق التاجر اليمني والفينيقي في إقليميهما الجغرافيين الأصليين ، لأنّ العملية التجارية كانت تتطلب منهم مراكز جديدة تستغل في مبادلاتهم التجارية ، ولذلك برعوا في تأسيس سلسلة من المستوطنات عكست لنا حضارة مركبة تجمع بين المظاهر الحضارية السامية والمظاهر الحضارية التي ينتمي إليها الأهالي ، وهكذا ساهم كل من الفينيقيين واليمنيين في نقل إرثهم الحضاري إلى الأقاليم الجديدة وجعلها جزء لا يتجزأ من أراضيهم.

لقد استفادت المستوطنات الفينيقية بقدر كاف من الدراسات الأثرية والتاريخية مقارنة بالساحل الشرقي لأفريقيا الذي كان ميدان الاستيطان اليمني ،فهذا الجانب من العالم القديم لا يزال بحاجة إلى دراسات ، وهذا عاملا أخر مشجعا لي و جعلني أتمسك أكثر بالموضوع ،وأبحث عن حقائقه في مقتطفات وردت في بعض النصوص الأدبية الإغريقية، و خاصة في التقارير الأثرية العلمية التي ساهمت بقسط كبير في هذا البحث

وكانت كل من مستوطنة قرطاجة الفينيقية في شمال القارة الإفريقية و مستوطنة أكسوم اليمنية في شرق إفريقيا أحسن مثال ونموذج أعتمد عليه لإظهار نقاط التشابه التي ربطت بين المجتمعين الفينيقي واليمني. وبما أن الإطار الزمني الذي شغلته مستوطنة قرطاجة كان أقدم من الإطار الزمني لمستوطنة أكسوم ،لذلك تركت هذا الجانب مفتوحا

إلى حدّ ما ،لأنّ الامتداد الزمني لم يؤثر كثيرا على حقيقة هذا التشابه الذي كان يربط بين مستوطنتين لقومين ساميين لفترتين زمنيتين مختلفتين .

في حين أجد أنّ الإطار الجغرافي لموضوع بحثي قد ظمّ كل الأقاليم التي استقرت فيها الأقوام السامية المعروفة إلى حد اليوم ،محتضنة بذلك الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية ، إضافة إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الذي كان مجال الاستيطان الفينيقي، وكذا الساحل الشرقي لقارة إفريقيا باعتباره مركز المستوطنات اليمنية .

وبعد الاطلاع على قدر من المراجع المتخصصة بالجانب الفينيقي واليمني كونت فكرة عن الجوانب التي ينبغي أن تدرس في البحث، وحاولت صياغة العنوان كالأتي:حركة الاستيطان السامية (الفينيقية – اليمنية) دراسة مقارنة.

وصياغة هذا العنوان يدل على وجود جانب من الجوانب الحضارية لهذه الأقوام تتطلب الدراسة و البحث ، وبالتالي أنا بحاجة إلى طرح تساؤلات ربما تساعدني في الوصول إلى حقائق تجعلني أستفسر عن ذلك الشبه الذي يجمع بين قومين تفصل بينهما مسافات بعيدة ،وبناءا على ما سبق طرحه ،أجد نفسي أمام التساؤلات التالية :

إذا كانت معظم الشعوب التي استقرت في منطقة الشرق الأدنى القديم مند الألف الثالثة ق م، تنتمي إلى أصل واحد بدليل أنّها تحدثت بلهجات متشابهة.فما هو أصلها ؟ وما هي الأسباب التي دفعتها إلى مغادرة أراضيها الأصلية والبحث عن أقاليم جديدة تستقر فيها ؟وإذا كان الفينيقيون واليمنيون جزءا من هذه الشعوب التي تحدثت باللغة السامية، فما هي أبرز معالمهم الحضارية التي انفردوا بها عن بقية أبناء عمومتهم ؟علما أن كل من الفينيقيين واليمنيين عرفوا حركات استيطانية خارج نطاقيهما الجغرافي، فما هي العوامل التي شجعتهم على ذلك ؟هل وراء حركة الهجرة،وممارسة التجارة، والوساطة التجارية إشارة إلى الأصل الواحد ؟ أم أنه جانب حضاري جمع بينهما صدفة فقط ؟.

وللبحث في هذا الموضوع تطلب مني جمع نسبة كبيرة من المادة العلمية، وذلك نظرا لشساعة الإطار الجغرافي الذي يدخل في البحث ، ولكن حتى لا أقع في المزج بين ما هو مهم وما هو أهم .اجتهدت في اختيار كل ماله علاقة مباشرة بموضوعي لا أكثر، وكذلك حاولت أن أوازن بين المادة العلمية المتعلقة بالجانبين :الفينيقي واليمني.

وتتلخص المادة العلمية التي اعتمدت عليها في انجاز هذا البحث في المصادر ومنها الأدبية والأثرية. بالإضافة إلى الدراسات الحديثة والتي تضمنتها المراجع العربية والمعربة والمراجع الأجنبية ،وهذه بعضها .

1- المصادر الدينية

-القرأن الكريم

هو كلام الله ووحيه المنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصحف المنقول إلينا بالتواتر "وإنه لتنزيل رب العلمين (192)نزل به الروح الأمين (193)على قلبك لتكون من المنذرين(194)بلسان عربي مبين (195)" [1]فبالرغم من أنّ القرآن الكريم ليس كتاب التاريخ كما ذهب إليه العديد من المستشرقين، إلاّ أنه تناول العديد من قصص الأنبياء والرسل التي اعتمدنا عليها في هذا الموضوع كقصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ .

-التوراة

هو أقدم المصادر التاريخية التي بين أيدينا ويعرف أيضا بالكتاب المقدس أو بعبارة أصح" العهد القديم "، ويبدو أنه قد بدأ في تحريره منذ القرن الثالث عشر أو الحادي عشر ق م ، واعتمدنا على هذا المصدر لما تناولنا الأحداث المتعلقة بالشرق الأدنى القديم ولاسيما الساحل الفينيقي. ويعتبر العهد القديم بمثابة وثيقة تاريخية ذات قيمة كبيرة

---

(1)-سورة الشعراء، الآية 192-195.

لأنّ أنبياء بني إسرائيل كانوا يعيشون في فلسطين التي كانت على اتصال بالساحل الفينيقي وغيرهم من الشعوب التي دخلت إلى المنطقة ،ونظرا لطبيعة الكتاب المقدس الذي نجد فيه عدم الدقة والوضوح والتضارب أحيانا فيجدر بنا إذن أن نقرأ منه بشيء من الحذر ولا نأخذه حرفيا .

أ-النصوص الأدبية

ونقصد بها كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق و اللاتين ، ويعتبر الأدب الإغريقي مصدرا هاما لتأريخ جزء من الحقبة التي يتناولها موضوع البحث سواء في الشرق الأدنى القديم أو في حوض البحر الأبيض المتوسط، ولا نستطيع الاستغناء عنهم في بحثنا باعتبار أنهم اهتموا بتاريخ المنطقة وبأحداثها، ونذكر على سبيل المثال "هيرودوت"(1) و"سترابون" (2). أما بالنسبة لكل من "بوليب" (3)و"تيت ليف"(4) و "ديودور الصقلي" (5) فقد كانوا من المصادر التي اهتمت أكثر بتاريخ المغرب القديم ولا سيما العهد القرطاجي .

و يجدر بنا في نفس المقام الإشارة إلى النقص الذي يعانيه الجانب الإفريقي فيما يخص الكتابات الأدبية ، حيث أجد هذه الأخيرة صامتة على هذا الجزء من العالم القديم، حتى وإن أشار الجغرافي "بطليموس" و"سترابون" في بعض الجمل المقتضبة إلى إثيوبيا، إلاّ أنني لا أنجدها كافية وشافية،وبالتالي يعتبر المؤلف المجهول لكتاب الطواف حول البحر الاريتري Le periple de la mer Erythree (6)

---

(1)- Hérodote, Histoire, Trad.A.Bargue, Paris, Ed. Gallimard 1964.

(2)-Strabon, Géographie, trad.A.Tardieu, Paris, Éd. Hachette 1870-1830.

(3)-Polybe, Histoire, trad.D.Roussel, Paris, Éd. Gallimard 1970.

(4)- Tite Live, Histoire Romaine, trad. E. Lasser, Paris, Éd. Classique Garnier 1943 -1958.

(5)-Diodore de Sicile ; bibliothèque historique, trad. AF. Milo, Paris, Ed .Imprimerie Royale 1834-1837

.(6)-Anonyme ,Le périple de la mer erythree,Œuvre numérisée par (M)Szwajcer, ;remacle .Org.

المصدر الوحيد والمهم في بحثنا رغم أنه لم يقدّم لنا معلومات كافية عن أكسوم ونشاط البحر الأحمر التجاري وعن علاقات أكسوم بشبه الجزيرة العربية .

ب-التقارير التنقيبية

تعتبر الآثار المصدر الأول في استخلاص الكثير من الحقائق التاريخية التي يحتاج إليها الباحث في التاريخ القديم، ونظرا لهذه الأهمية التي تتميز بها المصادر الأثرية اعتمدت على مجموعة من تقارير علماء الآثار التي كانت عبارة عن رصد وتوثيق لنتائج التنقيبات التي توصلت إليها البعثات الأثرية ، ولقد ساهمت بقسط كبير في إثراء موضوع البحث،أولا : باعتبارها المصادر المباشرة التي تعكس لنا المظاهر الحضارية لمجتمع ما ،ثانيا : أعتبرها وسيلة توضيحية ميدانية تؤكد ما ورد من مقتطفات في المصادر الأدبية ، وبفضلها استطعت أن أزيل اللبس على بعض الأحداث التاريخية التي كانت تبدو غامضة قبل ذلك .

ولقد استعنت بتقارير البعثات الأثرية التي اهتمت بالجانب الفينيقي سواء فيما يخص تواجدهم بالساحل الفينيقي أو في مسار حركتهم التوسعية ، وتعتبر أثار قبرص أحسن دليل على حركة الاستيطان الفينيقية التي كانت بداياتها في الحوض الشرقي للمتوسط (1)وتوصلت البعثة الفرنسية 1996-1998 أن ترصد و توضح لنا طبيعة الميناء الفينيقي في قبرص بالتحديد بمدينة بمبولة Bamboula(2)ولقد توسعت دائرة البعثات الأثرية على كل الجزر والسواحل التي انتشرت فيها المستوطنات الفينيقية في حوض البحر المتوسط(3)

---

(1)-(E) Raptou, (L) Loucopoulou « Mobilité et migration dans le chypre antique »In :M .O .M, 1994. P.P5 : 3-60.

(2)-(M) Yon « Les Angars du port chypre-phénicien de Kition compagnes1996-1998, (mission Françaises de Bamboula) »In : M .O .M. R. S, N77, V77 ,2000 .P.P :95-116.

(3)-(A) Dupont-Sonner « Nouvelle lecture d’une inscription Phénicienne archaïque de Nora, en Sardaigne(C.I.S144) »In : C.R.A.I N1, V2, 1948.P.P :12-22.

على سبيل المثال في سردينيا وكذا على سواحل شمال إفريقيا (قرطاجة)(1).

وفي الكثير من الأحيان كانت نتائج هذه التنقيبات الأثرية مثلما كان الأمر بالنسبة لآثار أكسوم، التي اعتبرها الأثريون مبهمة وصامتة، ليس بإمكانها أن تعكس لنا حقائق تاريخية دقيقة ،وفي الكثير من الأحيان نجدها عبارة عن مقتطفات لا معنى لها،مع الإشارة إلى عدم حفاظ و اهتمام أهالي المنطقة بهذا الإرث الحضاري الذي بدا لهم مجرد أكوام من رواسب منتشرة بالمنطقة،أو أنّ لطبيعة المنطقة المناخية دور في هذه الأضرار التي تعرضت إليها الآثار الأكسومية . وإلى كل هذا يضاف نقص البعثات الأثرية إلى إثيوبيا مقارنة بالمواقع الأثرية الفينيقية .

ولكن رغم كل هذه الظروف والصعوبات، إلاّ أنني حاولت بقدر المستطاع الاستفادة والتو ظيف الحسن لنتائج البعثات الأثرية التي اهتمت بالتاريخ الإثيوبي القديم ولا سيما تاريخ أكسوم الذي كان ومازال يتطلب المزيد من الأبحاث ،فكلما فتحت مرجع يتعلق بالحبشة (إفريقيا الشرقية عامة) إلاّ ووجدت فيه عبارة "نقص الأبحاث الأثرية" أي نقص المهتمين بهذا الموضوع رغم أهميته .

وتعتبر مجموعة نقوش الملك "عزانا" من أهم الوثائق التي أشارت على بعض مراحل أكسوم خاصة التوسعات(2) التي قادها هذا الأخير بالمنطقة وهي أبرز مصدر أشار إلى دخول المسيحية إلى الحبشة (3)ولم تتوقف أهمية هذه النقوش في هذا المجال، بل ساهمت في إعطاء صورة عن تطور الكتابة الحبشية إلى جانب مجموعة أخرى من النقوش مثل :

---

(1)-(S)Lancel « Fouilles Françaises a Carthage, la colline de Byrsa, et occupation Punique »In : C.R.A.I,N152,V125,1981.P.P :156-193.

(2)-(P) Nautin, (A) Caquot, (F) Anfray : « une nouvelle inscription grecque d’Ezana, rois d’Axoum »IN : J. S, v4, n4, 1970, P.P :260-274.

(3)-(R) Schneider : « l’inscription chrétienne d’Ezana en écriture sud arabe »In : A.E, v10, n1, 1976, P.P :109-117.

نقش مطرة Matara وأكسوم Axoum ومناطق أخرى من الحبشة (1)وبفضل الدراسات المقارنة التي قام بها الأثري الفرنسي " فرنسيس أنفراي Anfray(F)" على أثار معبد ياحا ببعض معابد اليمن كانت بمثابة دليل ساعدني على بناء فكرة حول المعابد الأكسومية التي تعكس لنا هندسة معمارية يمنية (2).

و لو لا هذه المحاولات في ميدان البحث الأثري،مهما كانت قليلة لبقيت الآثار الأكسومية مغمورة تحت أكوام من التراب ، وبقيت حقيقة وجود هذه المستوطنة اليمنية القديمة مجرد أسطورة ، فكل بحث تاريخي بحاجة ماسة إلى الإستناد إلى نتائج الأبحاث الأثرية التي تعطي مصداقية لكل معلومة يسجلها ونظرية يفترضها، والأبحاث الأثرية الميدانية تقدم الدليل المادي وتثبت ما ورد في النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية حتى لا نظل نسجل في أحداث أسطورية فقط .

2-الدراسات الحديثة

لم يتوقف اعتمادي في البحث على المصادر الأدبية والأثرية فقط ، بل كان الفضل للدراسات الحديثة التي أعطت لي فكرة عن التاريخ القديم عامة والتاريخ الفينيقي واليمني خاصة ، ولا أستطيع أن أنكر هذا الدور الذي لعبه الباحثون السابقون في هذا المجال .

فكل بحث علمي له مزايا وله نقائص، وبالتالي إن تحدثت عن بعض الفراغات و الهفوات التي وقع فيها بعض الباحثون المسبقون، فهذا ليس إطاحة بمجهود اتهم أو تقليل من مكانتهم وإنما هو نقدا علميا لا أكثر ، والبحث العلمي مهما كانت درجته فهو بحاجة إلى الملاحظات التي تعتبر مرحلة مكملة للبحث .

---

(1)-(R) Schneider,(A) Johanne Drewes, « documents épigraphiques -1 »In : A. E , v7, n7, 1967,P.P :89 - 106

(2)-(F) Anfray, « Fouilles de Yeha »In : A.E, V9, N9, 1972,P.P :45-64.

ولقد استفدت كثيرا من كتاب" محمد السيد غلاب "الذي تحدث بتفصيل عن الساحل الفينيقي وكل الأحداث التي عاصرت التواجد الفينيقي بالمنطقة (1)،ولم أستطيع الاستغناء عن أعمال" محمد الصغير غانم "بداية بالتوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط (2)وقد اهتم في بقية أبحاثه بالتواجد الفينيقي وامتزاجه مع أهل المنطقة وما أسفر عليه من إنتاج حضاري .

كما استفدت من دراسة "بلقاسم رحماني "للحضارة العربية القديمة(3) أين تناول بطريقة علمية وموضوعية الحضارة اليمنية وامتدادها الحضاري إلى مناطق أخرى من العالم القديم، خاصة شرق إفريقيا الذي كان جزءا من موضوع بحثي وكذا "جواد على" في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (4)،هذه مجرد نماذج من بين المراجع المعتمدة عليها .

أما بالنسبة للمراجع الأجنبية فأذكر على سبيل المثال "سبتينو موسكاتي Moscati (s)الذي أعطى تفاصيل عن الشعوب السامية (5)وكان كتابه الثاني الذي درس فيه المشرق قبل الدخول الإغريقي بمثابة تكملة لما تعرض إليه في المرجع الأول (6).

ولقد صادفتني بعض الصعوبات أثناء عملية البحث ،خاصة فيما يخص نقص المادة العلمية المتعلقة بالشرق الإفريقي ، ويبدو أن هذه المنطقة لم تنل القدر الكاف من الدراسات .

---

(1)-محمد السيد غلاب الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ ،بيروت دارالعلم العلم للملايين 1969.

(2)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي غربي البحر الأبيض المتوسط، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1992.

(3)-بلقاسم رحماني ،الحضارة العربية القديمة ج1و2 ،قسنطينة ، مطبعة بغيجة 2009.

(4)- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام ،7اجزاء،بغداد 1663.

(5)-S. Moscati, Histoire et civilisation, Paris, Payot1955.

(6)-S. Moscati, L'orient avent les grecs, France, Presses Universitaires1963.

غير أنّ استعانتي بكتاب "إفريقيا القديمة "(1)قد غطى جزءا من الفراغ والنقص وأعطى لي فكرة عن المنطقة ،وكذا طريقة التواصل في البحث ، وإلى جانب هذا الكتاب القيّم استفدت أيضا بمجموعة من المقالات المتخصصة (2).

بعدما جمعت كما كثيرا من المراجع المتنوعة من حيث الموضوع واللغة اطلعت على المادة العلمية المنتقاة والمتعلقة بموضوع البحث ،و تكوّنت لدي فكرة شاملة عن الجوانب التي يجب أن يستوفيها مجال البحث لذلك قمت بتقسيم البحث إلى مدخل وثلاثة فصول وهي مرتبة كالأتي :

- كان المدخل بمثابة الفصل التمهيدي لإعطاء توطئة حول الشعوب السامية لأنني اعتمدت على هذه التسمية لصياغة عنوان البحث ،وحاولت أن أتحدث عن الجذور التاريخية لها وطبيعتها التي كانت مبنية على التشابه اللغوي الذي يربط بين شعوب عاشت طفولة حضارتها في بقعة جغرافية واحدة كانت تجمع بينهم ،وحاولت أن أستعرض مختلف النظريات التي تبحث عن هذا الأصل، هذا الموضوع الذي مازال يشكل جدالا بين العلماء، كما تتبعت مسار هذه الشعوب في مواقعها الجديدة باختصار .

-أما الفصل الأول فقد تناولت من خلاله أصل الفينيقيين مع تحديد إطارهم الجغرافي ومختلف مظاهرهم الحضارية، فكان لزاما عرض مختلف العوامل التي دفعت الفينيقيين إلى الهجرة نحو حوضي البحر الأبيض المتوسط و التي تتلخص في: العامل الجغرافي – الاجتماعي – الاقتصادي- السياسي، وخصصنا العنصر الثاني من هذا الفصل للبحرية الفينيقية ودورها في تاريخ شعوب الساحل الفينيقي، كذلك تتبعنا من خلاله حركة التوسع الفينيقي وتأسيس المحطات والمستوطنات التجارية وبيّنت الهدف من تأسيسها.

---

(1)-Histoire Générale de L’Afrique, T2 (Afrique Ancienne), L’Organisation des Nations Unies, 1989.

(2)-(JF) Breton, « L’architecture antique des deux rives de la mer rouge »In : J. A, T72, 2002, P.P : 229-239.

-وكان مجهودي في الفصل الثاني مركزا على توضيح الإطار الجغرافي لليمنيين ومختلف مظاهرهم الحضارية ،وبما أنّ هؤلاء اعتمدوا أيضا على تأسيس مستوطنات خارج إقليمهم الجغرافي أشرت إلى مختلف العوامل التي كانت دافعا قويا لترك الوطن الأم واستقرار البعض منهم في شرق إفريقيا والبعض الأخر في شمال شبه الجزيرة العربية ،وأبرزت من خلال الفصل طبيعة الملاحة اليمنية ،وكذا أهمية البحر الأحمر الذي كان بوابة تجمع بين العالم الأسيوي الغربي والعالم الإفريقي الشرقي ،كما مهدت لهذه التكوينات السياسية التي ظهرت إلى الوجود.

- وكما هو واضح من خلال عنوان المذكرة ، فالفصل الثالث والأخير هو عبارة عن دراسة وصفية تحليلية بين المستوطنات الفينيقية واليمنية. وقد اخترت قرطاجة كعينة لذلك في حين كانت اكسوم العينة التي اخترتها من بين المستوطنات اليمنية ، ونظرا لقصر المدة الزمنية المحددة لهذا البحث وكذلك شساعة الرقعة الجغرافية التي استغلتها المستوطنات الفينيقية خاصة واليمنية ، اجتهدت في اختيار هذين نموذجين (قرطاجة وأكسوم)لإعطاء حوصلة عن طبيعة الاستيطان الفينيقي والاستيطان اليمني وقد كان المبحث الأول والثاني من الفصل عبارة عن دراسة للمسار التاريخي للمستوطنتين وتطور كل واحدة منهما من مستوطنة بسيطة إلى مملكة ثم إمبراطورية تأخذ مكانة الوطن الأم ،ومن جانب أخر حاولت أن أبين الأثر الحضاري الفينيقي واليمني في شمال وشرق إفريقيا وذلك من خلال الانجازات الحضارية للمستوطنتين ، ومن هنا ختمت الفصل بجدول المقارنة الذي يبين أوجه الشبه و أوجه الاختلاف بين الاستيطان الفينيقي والاستيطان اليمني .

ولقد اتبعت في مسار هذا البحث مجموعة من المناهج وهي المنهج الوصفي والمقارن والتحليلي ، لأن هذا الموضوع الذي نحن بصدد دراسته يحتاج إلى ثلاثة مراحل لذلك : الأولى وهي دراسة تحليلية لأسباب ودوافع الهجرة ،ومناطق انتشار تلك الأقوام والمرحلة الثانية ،هي وصف للمستوطنات الفينيقية واليمنية (الجانب الحضاري) الثالثة، تتناول نقاط التشابه والاختلاف بينهما أي المنهج المقارن .

وأخيرا أرجو أن أكون قد ساهمت ولو بقسط قليل في إثراء الدراسة حول هذا الموضوع وأن يكون منبعا لأبحاث أخرى، لأنّ البحث العلمي ليس فقط مجال لسرد المعلومات، وإنما مصدر لإشكاليات جديدة تتطلب الدراسة في المستقبل، والتي تكون بدورها تكملة لهذا الموضوع ،وفي نفس الوقت طرح لفرضيات جديدة تخدم الساحة العلمية المتعلقة بالمجال الذي قمت بدراسته .

وما يجدر الإشارة إليه، هو أنّ الجانب الإفريقي يعاني من نقص الدراسات والأبحاث الأثرية. ربما هذه الصعوبات هي التي جعلت الباحثين ينفرون من هذا الجانب من العالم،ولهذا فالبحث العلمي ليس تكرارا لما سبق دراسته من قبل ، وإنما هو اجتهادا في فتح مجالات جديدة، ولا يجب أن يكون النقص في المادة العلمية عائقا أمامنا . بل هو دافعا يجعلنا نتشوق في اكتشاف حقائق لم يكن لها وجود من قبل.

وبدوري أعتبر هذه المذكرة بمثابة مقدمة لدراسات أخرى ، كما اعتبرها أيضا مفتاح لمجال تعلّقت به كثيرا أثناء انجازي لهذا البحث وهو (الشرق الإفريقي) ، ورغم كل الصعوبات التي صادفتني إلاّ أنني لم أعتبرها كذلك ، إنما هي بالنسبة لي تربص وتدريب كوّنت من خلاله مجموعة من الخصائص التي يجب أن يتحلى بها كل باحث مهما كانت درجته العلمية .

وأخيرا أوجه الشكر والامتنان للأستاذة الكريمة المشرفة "أم الخير العقون "التي كانت جد حريصة أثناء انجازي لهذا العمل والتي أفادتني بملاحظاتها وتوجيهاتها فكانت خير عون لي ، ولها مني خالص الاحترام والتقدير وجزاها الله خير الجزاء .

وأقدم أيضا شكري لكل الأساتذة دون استثناء(بلهواري فاطمة ،بن عبد المومن محمد ،بوعيزم عبد القادر ، فاضل لخضر ، غاري جاسم الشمري) الذين تعبوا معنا في تغطية السنة النظرية ولم يبخلوا عنا بإرشاداتهم ونصائحهم وتشجيعهم وشكر خاص للأستاذ "بلقاسم رحماني "الذي وضع محتويات مكتبته الخاصة تحت تصرفي .

المدخل: الإطار الجغرافي و التاريخي للشعوب السامية.

أ-الإطار الجغرافي للشعوب السامية

1- شبه الجزيرة العربية .

2- الساحل الفينيقي.

3-العراق.

ب -الإطار التاريخي

I-أصل الشعوب السامية

1- التسمية

2- اللغة السامية وخصائصها

3- نظريات الأصل السامي

II- الهجرات السامية

1- الساميون الشرقيون

2- الساميون الغربيون

3-الأراميون

4-العبرانيون

5- القبائل العربية

أ- الإطار الجغرافي للشعوب السامية

في أقصى غرب القارة الأسيوية عاشت أقوام تتقارب لغاتهم،أسست حضارات متعاقبة أو متعاصرة هم الذين أطلق عليهم في أواخر القرن الثامن عشر اسم "الساميين".

وانحصر وجود الأقوام السامية في منطقة نشوء الحضارات "الشرق الأدنى القديم" أين ظهرت أقدم الحضارات العالميةالمعروفة حتى الآن ، حتى بعد أن زالت واضمحلت فقد كان لها تأثير مستمر على الحضارات التي تلتها ،وهذا بفضل تطورها وموقعها الاستراتيجي الذي كانت تحتله باعتباره ملتقى الطرق بين حضارات العالم القديم .

وإن حاولنا أن نحدد هذه المنطقة جغرافيا، فهي تنحصر من إيران وبلاد ما بين النهرين* شرقا مرورا ببادية الشام حتى الحدود الغربية المتمثلة في الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ،وشمالا جبال كردستان وأرمينيا وطوروس بآسيا الصغرى وإلى أقصى جنوب غرب هذه المنطقة نجد مصر وشبه الجزيرة العربية (1).

لقد كثرت الأشكال التضاريسية بالشرق الأدنى القديم الناجمة عن التغيرات الجيولوجية التي تعرضت لها المنطقة في نهاية الزمن الجيولوجي الثالث، وبطبيعة الحال ظهر تباين من حيث تشكيل سطح الأرض ،بمعنى هناك رقع جغرافية تتوفر فيها شروط ضمان استمرارية الحياة ،ومن جهة أخرى هناك صحاري وجبال تكاد تنعدم فيها الظروف المعيشية ،وهذا ما جعل منطقة الهلال الخصيب مركز استقبال هجرات بشرية متعاقبة ومتنوعة في نفس الوقت (2).

---

*ظهر المصطلح الجغرافي المعروف بلاد (ما بين النهرين) بالإغريقية Mésopotamia،في القرن الرابع ق م وأول ثم استعمله المؤرخ بوليبيوس في القرن الثاني ق م وتبعه الجغرافي سترابون Straboneفيما بعد، ويقصد به المنطقة المحصورة بين الدجلة والفرات من الشمال حتى حدود بغداد. طه باقر ،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "الوجيز في تاريخ حضارة واد الرافدين "،ج1،ط2،بغداد،1986،ص13.

(1)-لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، ط2، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1979،ص 20-21.

(2)- Jacques de Morgan, Les premières civilisations (étude sur la préhistoire et l’histoire jusqu’à la fin de l’empire macédonien, paris, Ernest Leroux, 1909, p181.

وعلى هذا الأساس قام الجغرافيون بتقسيم هذا الفضاء إلى ثلاثة أقاليم مختلفة من حيث التضاريس والسكان والإنتاج الحضاري.

1- شبه الجزيرة العربية :

شبه جزيرة العرب،هي أكبر شبه جزيرة في العالم،ولقد كان العلماء العرب يطلقون عليها اسم "جزيرة العرب" ،تحيط بها المياه من أطرافها الثلاثة،يحدها من الشرق الخليج العربي المعروف عند اليونان (الخليج الفارسي)*،أما قدماء أهل العراق عرف عندهم (بالبحر الجنوبي) و يحدها من الجنوب المحيط الهندي،أما حدها الغربي فهو البحر الأحمر (البحر الإريتري)(1).

للواجهات البحرية الثلاث التي تحيط بشبه الجزيرة العربية الدور الكبير في تنوع الأنماط المعيشية فيها ،إذ نجدها تتراوح بين البداوة و الحضارة خاصة أقصى جنوبها الغربي وهي (منطقة اليمن) والتي سماها "سترابون" بالعربية السعيدة " Arabia Félix" دليل على خصوبتها ووفرة الظروف المعيشية فيها منذ القدم .

يحيط بحواشي شبه الجزيرة العربية جبال صخرية توازي طول السواحل الثلاث وكلما اتجهنا إلى الداخل تستمر السلاسل الجبلية في الانخفاض حتى تشكل هضبة تنحدر إلى بلاد الرافدين وشواطئ الخليج الفارسي ،وهذه الميزة عنصر أساسي في خصوبة المناطق الساحلية ،والغريب في هذه الجبال أنها لا تخترقها أنهارا ذات قيمة إلا بعض المجاري القصيرة التي تأخذ منابعها في جوف الأرض ويستعملها البدو كمصدر مياه أبارهم .

---

*ذكر سترابون في كتابه أنّ تسمية (الخليج الفارسي) أطلقها إراتوستن Ératosthène ثم ترباها أخرون من بعده..Strabon : Géographie, Trad. A. Tardieu, Ed Hachette, Paris 1867-1890, XV, 2

(1)- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1،ط2،بغداد 1993، ص ص 140- 141

ورغم طول سواحل جزيرة العرب ،إلا أنها تعاني من نقص الموانئ الطبيعية ونجد بعضها ينحصر عند الساحل المقابل لمصر أي منطقة (الحجاز) التي كانت تعرف تجمعات سكانية تهتم بالدرجة الأولى بالتجارة (محطات تجارية)(1).

و ينفرد اليمن بخصوبة تربته ومناخه الملائم، وتمثل هذه المنطقة جسر طبيعي للمرور إلى الساحل الإفريقي الشرقي. وقد كان الشعب اليمني وراء ظهور (الحبشة)* التي تعكس المظاهر الحضارية العربية (الاجتماعية والدينية والاقتصادية-السياسية)منذ القدم وحتى يومنا هذا.

وعلى طول سواحل المحيط الهندي والخليج الفارسي تظهر بعض الكتل الجبلية التي تستمر في الانخفاض كلما اتجهنا إلى الداخل وتصادفنا اخطر الصحاري التي كانت تشكل عائقا أمام كل محاولة بحث علمي بالمنطقة ، بسبب صعوبة مسالكها ، ومن أبرز هذه الصحاري نذكر "صحراء الربع الخالي ."**

تعد شبه الجزيرة العربية أفقر المناطق التي عاش فيها الساميون لكثرة صحاريها الرملية والصخرية ونقص الغطاء النباتي ،وحرمانها من موانئ طبيعية ،رغم طول سواحلها التي لعبت دورها في عزل المنطقة عن العالم الخارجي. كما أنّ وقوع شبه الجزيرة العربية بين قارتين (إفريقيا وأسيا) لم تكن فرصة تساعد سكانها في التنقل بين الجانبين ،ولكن رغم كل هذه الصعوبات والمخاطر، استطاع التاجر اليمني أن يعرف بحضارته لمنطقة الهلال الخصيب والهند وشرق إفريقيا التي هي جزء منه(2)

---

*الاسم الإغريقي للحبشة هو (Aithiops) أثيوبيا ، وتظهر هذه التسمية مرتين في الإلياذة وثلاث مرّات في الأوديسة للشاعر هوميروس Homèreفي حدود القرن التاسع ق م ، أما بالنسبة لهيرودوت Hérodote استعمل الاسم خصيصا لوصف جميع الاراضي جنوب مصر بما في ذلك السودان واثيوبيا الحديثة ومعنى هذه الكلمة "الوجوه المحروقة".عن

August Widal, Etude littéraire et Morales sur Homere,Premiere partie L'Iliade ,Paris ,Hachette 1863

**سمي بالربع الخالي ، لأنّ المنطقة خالية من جميع أشكال الحياة ، يقع في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية ،يشكل ربع مساحتها يعتبر الرحالة البريطاني برترام توماس Bertram Thomas 1892- 1950 أول من عبره

(1)- S. Moscati, Histoire et civilisation des peuples sémitiques, paris, Payot, 1955, pp10-12.

(2)-Ibid,P13.

ولم تبق هذه المنطقة منعزلة ،بل كانت بمثابة القلب الذي يحرك شرايين التجارة بين قارات العالم القديم ،بفضل شجاعة وحنكة وذكاء شعبها في معرفة أسرار الملاحة البحرية بالمحيط الهندي منذ أزمنة متوغلة في القدم ، وكانوا أسياد أكبر طريق تجاري وهو (طريق البخور).

2- الساحل الفينيقي:

إلى أقصى شمال غرب شبه الجزيرة العربية ،نجد شبه جزيرة سناء التي تفصلها عن السهل الساحلي الضيق الذي كان يلعب دور الوسيط التجاري في العالم القديم ويعرف بإسم الساحل الفينيقي ، وفي هذه البقاع كان لليمني القديم الدور الرائد في نقل البضائع التي تروج في كل المنطقة من المحيط الهندي والساحل الإفريقي ، وبالتالي فإنّ جزيرة العرب تعدّ جزءا من ظهير الساحل الفينيقي و يكوّن وإياه وحدة اقتصادية متكاملة هناك حاجز جبلي يفصل الساحل الفينيقي عن الصحراء وبقية العالم السامي من ناحية الشرق ، أما من ناحية الجنوب فإنّ فتحة مرج ابن عامر وننوء جبل الكرمل تفصله عن فلسطين تماما ،وأما من الشمال تشكل جبال طوروس حاجزا عن أسيا الصغرى .(1)

و إن كانت شبه الجزيرة العربية فقيرة من حيث الطرق التجارية ، وصعوبة مسالكها -إن وجدت - فإنّ الساحل الفينيقي عكس ذلك ،إذ نجده يتمتع بأكبر الطرق التجارية المعروفة آنذاك ، بفضل موقعه الجغرافي الذي ساعده أن يلعب دور الممر الطبيعي الذي يجمع بين قارات العالم القديم (أوربا –أسيا وإفريقيا)وفي نفس الوقت يمثل همزة وصل بين إمبراطوريات نهرية من ناحية ،و إمبراطوريات بحرية*من ناحية أخرى.وقد كان هذا الموقع الجغرافي مسؤولا عن مزاجها الحضاري لأنه يتوسط عالمين سامي وإيجي .

---

(1)- محمد السيد غلاب،الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ،ط1،دار العلم للملايين،بيروت1969،ص23.

*نقصد بالحضارات البحرية حوض البحر الايجي، ويشمل كريت وجزر السيكليد وبلاد اليونان حتى جنوب تساليا شمالا،والساحل الغربي لأسيا الصغرى بما في ذلك منطقة المضايق وجزيرة قبرص .محمد السيد غلاب، المرجع السابق،ص171.

أما فيما يخص طبيعة المنطقة فيغلب عليها الطابع الجبلي ، حيث نجد هذه الأخيرة موازية للساحل وتتخللها أودية قصيرة مثل وادي العاصي والأردن،إلى الشرق من هذه السلسلة الجبلية يوجد نطاق من المنخفضات الضيقة من سهل العمق شمالا حتى البحر الميت جنوبا ،وبالتالي فهذه الطبيعة التضاريسية هي التي منعت قيام وحدة سياسية تجمع بين أقاليمها المشتتة(1).

تمثل غابة لبنان ثراء الاقتصاد الفينيقي باعتبار المنطقة مصدر الأخشاب الذي سمح بربط علاقات مبكرة مع مصر منذ الدولة القديمة ،وإلى أقصى شرق الساحل الفينيقي من جبال لبنان .تبدأ المرتفعات في الانخفاض تدريجيا لتلتقي بظاهرة تضاريسية أخرى وهي " بادية الشام" بواحاتها المتناثرة وقد استعملتها القوافل التجارية كمحطات سواء للمتاجرة أو للاستراحة من جولاتهم الطويلة ومن أشهرها "واحة تدمر"، التي تربط طريق سوريا بالفرات ثم العراق القديم (2)،ولكي ننهي الحديث عن هذا الممر الطبيعي-الساحل الفينيقي- يجب أن نشير إلى خصوبة التربة والتي كانت عاملا في جلب تجمعات سكانية.

3- العراق القديم *:

لا نستطيع أن نتحدث عن الساحل الفينيقي من دون أن نشير إلى بلاد ما بين النهرين، ذلك المنخفض الرسوبي الذي يشكل جزء من الهلال الخصيب، الذي يفصل بين المناطق الجافة والمناطق الباردة ،أما بالنسبة لطبيعة المنطقة فهي تنحصر بين الخليج الفارسي جنوبا وجبال طوروس شمالا ، وتمثل هذه الرقعة مهد أقدم حضارات العالم القديم وأول مجال جغرافي دخله الساميون حوالي الألف الرابعة ق م ،بالنسبة للجهة الشرقية نجد سلسلة زجا روس ومن الغرب صحراء سوريا .

---

(1)- محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص ص24-29.

(2)-S. Moscati, op. cit, pp14-15.

*لقد أطلق الإغريق لفظ ميزوبوتاميا على العراق وهو لفظ ترجمه العرب إلى "مابين النهرين " وبما أن العراق ليست تلك البقعة التي تتوسط النهرين ، لذلك أفضل استخدام كلمة العراق وهي كلمة لا عربية ولا فارسية كما ادعى البعض وإنما ترجع لتراث لغوي قديم "إراك ،إيراق ثم عراق "بمعنى البلاد السفلى القريبة من البحر .طه باقر ،المرجع السابق ص9.

ولقد كان لنهري دجلة والفرات الدور الكبير في سيرورة تاريخ المنطقة ، سواء من الناحية الحضارية أو من ناحية البنية السكانية وحتى على اتصالاته بالأقطار الأخرى .فقد تحدث "موسكاتي "في هذا الموضوع وقال :"ذكر هيرودوت بأنّ مصر هبة النيل ،هذه العبارة نستطيع أن نطبقها على بلاد ما بين النهرين ..."(1).

وبطبيعة الحال فنهري الدجلة والفرات كانا وراء ذلك المنخفض الرسوبي الذي يجمع فيما بينهما في شكل جزيرة كما سماها قدماء العرب ، وإلى الجنوب نجد منطقة بابل وليدة الطمي الذي جعل منها جنة تنموا فيها النخيل والحبوب بشتى أنواعها ،وإلى الشمال الشرقي من بابل تصادفنا منطقة السوس في بلاد عيلام وهي ذات أراضي منخفضة تبدأ بالارتفاع تدريجيا حتى تصل إلى علو الهضبة الإيرانية .

ويسود في بلاد النهرين نمطين من الرياح، رياح شمالية باردة تعرض الجزء الشمالي لبرودة شديدة، ورياح جنوبية دافئة تأتيه من شبه الجزيرة العربية وهي سبب ارتفاع درجة الحرارة في السوس وبابل (2).

كما تفتقر المنطقة إلى الأمطار،وقصر مدتها إن هطلت وبغزارة ،ربما هذه الظروف هي التي شجعت سكانها إلى معرفة أذكى وأروع طرق الري في العالم القديم وبذلك كانت منطقة العراق مسرح لمغامرتين في تاريخ الإنسانية الأولى: هي ثورة العصر الحجري الحديث والثانية :هي الثورة الحضرية ويعود تاريخ معرفة الزراعة وتربية الماشية فيها إلى حوالي الألف الثامنة ق م ،و من مجتمع زراعي إلى إنشاء مدن في المنطقة الرسوبية بين الألف الرابعة والألف الثالثة ق م (3).

---

(1)-S. Moscati, op. cit, P15.

(2)- Abbé Mongénot, Histoire Ancienne des peuples de l’orient (Assyriens et Babyloniens –Egyptiens-Mèdes et Perses- Phéniciens), Paris, Edition contenant, 1895pp1-2.

(3)- Forest, Jean Daniel, L’apparition de l’état en Mésopotamie, Acte du colloque, Assyriologie, Paris, 2002, p11.

بما أننا قد حددنا الموقع الجغرافي الذي كانت تشغله الشعوب السامية في أقصى غرب القارة الأسيوية يجدر بنا أن نبحث عن أصل هذه التسمية "سامية " و ما هو الأصل الذي انبثقت منه؟ وذلك من خلال متابعة مختلف النظريات التي اهتمت بالموضوع والتي حاولت أن تمنح لهذا القوم–السامي – منطلق انبعثت منه كل الهجرات التي كونت حضارات في الشرق الأدنى القديم .

ب:الإطار التاريخي للشعوب السامية

I- أصل الشعوب السامية

1- التسمية:

أول من انتبه لوجود نقاط تشابه بين (العبرية - الآرامية–العربية)هو" يهوذا ابن قريش التاهرتي "*في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر ميلادي ،أما بالنسبة لعلماء القرنين السادس عشر والسابع عشر، فقد حاولوا المقارنة بين العربية والفارسية ولكن باعتمادهم على هذه الأخيرة لم يتوصلوا إلى نتيجة ،لأنها لغة هندوأوروبية .

وفي إطار هذه الأبحاث توصل العلماء ومن بينهم "أرنست رينان Ernest Renan" إلى التمييز بين عائلة اللغات الهندوأوروبية وعائلة اللغات السامية ،وقد أكدّ رينان على فساد فكرة المدرسة القديمة المتمثلة في ضرورة انتماء كل اللغات العالمية إلى لغة واحدة (1) وذلك بعد ما تمّ اكتشاف اللغة السنسكريتية **في القرن الثامن عشر (2)التي كانت سببا في تطور الدراسات اللسانية .

وقد تبنى المستشرق الألماني "أوجست لودوج شلوتزر Auguste Ludoug Schlüter" حوالي 1781 فكرة إطلاق تسمية "سامية "على كل حضارات الشرق الأدنى القديم التي تتشابه من حيث اللغة وقال في إحدى محاضراته:

---

*يهودا بن قريش التاهرتي (4 هجري الموافق للقرن العاشر م)لغوي من أهل تيهرت(تيارت حاليا) كان متضلعا من اللغات العربية – العبرية –الآرامية– البربرية – الفارسية .حاول مقارنةبين بعضها وهو بذلك واضع أسس النحو التنظيري.w w w . Mirath.org26-02-2013

(1)- Ernest Rénan, Histoire générale et système comparé des langues sémitiques, t1, imprimerie imperiale 1883, P446

**اقتبس العرب العديد من الألفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود أثناء أسفارهم للتجارة والحج وقد عثر في السنسكريتية على ألفاظ تشبه الألفاظ العربية يغلب أن تكون سنسكريتية الأصل لخلو الأصوات العربية من أمثالها مثل "سفينة "لا يعقل أنها مأخوذة من العربية لأن السنسكريتية دونت قبل العربية كما نرجح أنّ العرب أخذوا الكثير من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وأسماء الأحجار الكريمة والعقاقير مما يحمل من بلاد الهند لمزيد من المعلومات أنظر: جرجي زيدان تاريخ الأدب العربي ،ج1،ب ط ،1993 ،ص ص 62-64.

(2)- Ch. Robin : les langues de la péninsule arabique, in revue du monde musulman et de la méditerranée, n° 61, Paris 1991, PP89-111.

"...من البحر الأبيض المتوسط إلى الفرات ومن أرض الرافدين إلى بلاد العرب جنوبا سادت كما هو معروف لغة واحدة...و كان الفينيقيون أيضا يتكلمون هذه اللغة التي أود أن أسميها اللغة السامية"(1).

ترجع تسمية "سامية "إلى صحيفة الأنساب الواردة في التوراة (2)حيث نقرأ في هذا الموضع أنّ أشور، أرام و عابر هم أبناء سام بن نوح ويبدو أن هذه التسمية تخدم بالدرجة الأولى مصالح يهودية عنصرية ،تجعل من أبناء سام ومنهم العبرانيون أخيارا وأبناء حام أشرارأما أبناء يافت فغير معروفين لديهم ، وفي هذه الحالة يكون مصدر هذه التسمية مشكوك فيه منذ الوهلة الأولى.لماذا ؟

<u>**أولا**</u>: التوراة كتاب دوّن بأيدي العبرانيين ، وبحسب هواهم وأغاروا على المأثورات الشعبية .

<u>**ثانيا**</u> :"أو جست شلوزر" اعتمد على اللغة ليثبت قرابة عرقية بين عدة أقوام

<u>**ثالثا**</u> : التسمية عنصرية وضعت للفصل بين المشرق الإسلامي والغرب المسيحي .

لكن ما يهمنا أكثر في هذا الموضوع هو" اللغة "التي اعتمد عليها كدليل لوحدة العرق بين شعوب عاشت متجاورة في إقليم جغرافي معين ،ولذلك يمكننا أن نفهم من هذه التسمية أنها مدلول جغرافي وحضاري ، وبطبيعة الحال لا نستطيع أن نجمع بين جنسين أو نفرق بينهما على أساس اللغة ،لأنها تتطور مع تطور الأجناس البشرية فتزول منها ألفاظ و تدخل عليها ألفاظ جديدة. فالأكاديون ، البابليون ،الفينيقيون ،الآراميون حتى وإن تكلموا لغات متشابهة لم يكونوا كلهم ساميين خالصين، لأنهم اختلطوا بشعوب أخرى كما يعتقد "موسكاتي" (3)فالشعوب دائمة الحركة تبحث عن القوت والأمان حيثما توفر ولا نقاوة للعناصر إذن....

---

(1)- محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم (تاريخ العرب القديم)، ج1، ط11، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994، ص163.

(2)- Bible, Genèse, X, 6,21-31, et, XI, 10,6,26.

(3)-S. Moscati, op.cit, P38.

هل معنى هذا أننا لا نستطيع أن نخفي مميزات اللغة المتصفة بالتغير وعدم الثبات والاستقرار؟ و إن تغيرت، هل يكون ذلك في العام وليس في جوهرها الخاص؟ أم أنّ كل اللغات لها أصول وتتشعب منها الفروع، فاللغات السامية إذن لها أصل يجمع فيما بينها حتى ولو تفرعت إلى لهجات. إذن ما هي طبيعة هذا الأصل إن وجد؟.

2- اللغات السامية وخصائصها:

إذا ما انتقلنا إلى علم اللغة المقارن وجدنا أنفسنا على أرض أكثر صلابة،فلغات هذه الأمم التي تسمى "الشعوب السامية "تتشابه في أكثر من نقطة رئيسية ،فالألفاظ المتداولة بينها تمثل نسبة ضخمة من ثروتها اللغوية ،ولهذا نرى بأنّ اللغات السامية تؤلف عائلة لغوية واحدة انحدرت من أصل واحد ويفترض أنّ هذه اللغة "الأم" كانت تنحصر في بقعة جغرافية معينة في العصور البعيدة وهي المهد الذي نزحت منه الأقوام المتكلمة بفروعها المختلفة .

وقد توصل علماء اللغة المقارن إلى تقسيم اللغات السامية القديمة باعتمادهم على تجريد العناصر اللغوية القديمة المشتركة ،ثم الوصول إلى الألفاظ الدخيلة إلى كل منها. كما يلي:

أ- اللغات السامية الشرقية والشمالية الشرقية :الأكدية في العراق القديم التي بدأ تدوينها بالخط المسماري حوالي 2500 ق م ، وتفرعت منها في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، البابلية القديمة ، البابلية الوسيطة والمتأخرة ثم الأشورية القديمة ، الأشورية الوسطى فالحديثة .

ب- اللغات السامية الغربية: وظهرت في بلاد الشام (سوريا قديما) بمفهومها الجغرافي التاريخي العام ومنها:

-اللغات الكنعانية : الأمورية – الكنعانية- الفينيقية –العبرانية.

-اللغات الآرامية : الآرامية القديمة ما بين القرن العاشر والثامن ق م، وتفرعت في القرنين الثاني والأول ق م إلى فرعين : الآرامية الشرقية و تحتوي الآرامية البابلية ،

والرهوية السريانية – الأشورية...) الآرامية الغربية (الأرمية النبطية – الأرمية التدمرية – الآرامية الفلسطينية – السورية ...)

ج- اللغات السامية الجنوبية والجنوبية الغربية :وهي لغات الجزيرة العربية والحبشية والعربية الشمالية (الحجازية) واللغات الجنوبية الغربية (المعينية – السبئية –القتبانية – اللهجات الحبشية).

كل هذه اللغات تتشابه في الأصوات – الصرف – التركيب – النحو- المصطلحات - . وغالبية المفردات فيها ترجع إلى أصل ذو ثلاثة حروف وتشتق من هذا الأصل صيغ مختلفة ، وذلك بتحوير الحركات أو بإضافة زوائد إلى أوله أو وسطه أو أخره ،وهذا هو سر الثروة الكبيرة من المفردات التي تتمتع بها اللغة العربية وهو مصدر حيويتها(1) وعلى سبيل المثال:

(ك- ت- ب) يفيد معنى الكتابة في اللغة العربية فإذا بدأنا في تشكيليها أو إضافة حروف الحركة الطويلة أو المزج بين الاثنين ، فإنّ هذا المعنى العام يتجدد باختلاف الشكل وحروف الحركة ويصبح (كتب) الذي يعني معنى الكتابة ، (كاتب) تؤدي معنى اسم الفاعل(2) .

ولم يقتصر التشابه في أصل اشتقاق الكلمات في الصرف والنحو فقط ،بل هناك اشتراك في بعض أصول المفردات والضمائر والأسماء الدالة على القرابة الدموية والأعداد ومصطلحات الدولة والدين (3).

---

(1)- طه باقر ، المرجع السابق، ص ص 71-72.

(2)-Moscati,op. cit,p22.

(3)-جواد علي ، المرجع السابق ، ص2

يكاد يجمع القول على أنّ اللغة الكنعانية هي أصل اللغات السامية " اللغة الأم "التي تفرعت عنها باقي اللهجات لأن أقدم كتابة بأقدم حروف أبجدية معروفة حتى الأن هي الكتابة الكنعانية السينائية القديمة وقد قسم العلماء الأبجديات التي تفرعت عن الكنعانية القديمة إلى مجموعتين (المجموعة السامية الشمالية والمجموعة السينائية العتيقة)، وقد تفرغ من المجموعة الأولى ،الكنعانية وفروعها ،أما المجموعة الثانية فقد تفرعت منها السامية الجنوبية ، السبئية والأثيوبية وغيرها .سمير عبده ، السوريون والحضارة السريانية ، ط 1 ،دار الحصاد للنشر والتوزيع ،سوريا ،1998 ، ص 52.

كل هذه النقاط الأساسية التي تحدثنا عنها تمثل المميزات العامة في اللغات السامية التي تحدثت بها أقوام انتشرت في رقعة جغرافية واسعة محصورة بين هضبة إيران ، وجبال أرمينيا ، والبحر الأبيض المتوسط ،نزولا إلى البحر الأحمر ، والمحيط الهندي. وأثناء انتقال هذه الأقوام من ديارها الأولى حملت في ثناياها طفولة اللغة الأصلية التي ترعرعت واكتسبت خصائص جديدة تماشيا مع التغيرات التي صادفتهم في ديارهم الجديدة .

إضافة إلى ذلك أصبحت اللغة الأم أمام ابتكار عرفه إنسان الشرق الأدنى القديم وهو وسيلة التدوين "الكتابة" التي ربما كانت تتطلب تعديلات في الأصوات وضرورة التأقلم مع أصوات جديدة ، حيث نجد اللغة الأكدية لا تعرف حرف "العين" الذي انتشر في اللغات السامية الأخرى ،وتحل محله الهمزة ،لأن صوت "العين " ليس موجود في السومرية .

مما سبق، نستنتج بأنّ هذه الشعوب ربما كانت يوما ما تتحدث " باللغة الأم " وبسبب هجراتهم المتعاقبة وباختلاطهم مع شعوب أخرى ودماء كثيرة ، امتزجت بعضها ببعض، فنشأت بينها قرابات اجتماعية وفكرية ولغوية ، تشعبت اللغة الأصلية وأصبح لكل موجة من تلك الهجرات – بمرور مدة زمنية –لسان خاص بها يميزها عن الأخرى ، ولكن الأصل يبقى دائما في ثناياها حيث قال "موسكاتي" :" ... الشعوب السامية تؤلف كتلة واحدة لا باجتماعها في صعيد جغرافي واحد والتحدث بلغات متشابهة فحسب ولكن باشتراكها في أصل حضاري تاريخي واحد"(1).

لا نملك نصوصا مكتوبة ولا مروية للغة السامية الأم ، وهذا ما جعل العلماء يترددون في تحديد أصل اللهجات التي تفرعت منها ، شأنها في هذا كشأن اللغات الأخرى التي ظلت دهرا طويلا لا تعرف الكتابة ، وبعضها نشأت واندثرت قبل اختراع الكتابة (2)

---

(1)-Moscati, op. cit, P30.

(2)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص173.

ومع مقارنة كل اللغات السامية، نجدها تشترك في حروف اللغة العربية الفصحى*، وإن كانت أحدث اللغات السامية من حيث النصوص المكتوبة و هي أقربها إلى السامية الأم لأنها عاشت محفوظة بعيدة عن التغير والتبديل (1).

إذ كانت اللغات السامية فروع من أصل واحد ،وتشكل في مجموعها لهجات ، واللهجة كما هو معروف عند علماء اللغة ، هي مجموعة من صفات لغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة (2) فما هو أصل الشعوب السامية ؟.

3- نظريات الأصل السامي

احتار العلماء في البحث عن مهد الشعوب السامية ، وبالتالي تعددت نظرياتهم وكانت أفكارهم تدور حول قارات العالم القديم(أسيا – إفريقيا – أوروبا).

أ- النظرية الإفريقية:

من بين أنصار هذه النظرية "بلكريف "- "جيرلندGerland"-" نولدكه " يرون أنّ القارة الإفريقية هي موطن الساميين الأصلي لوجود علاقات لغوية بين الأحباش والعرب والبربروتشابه سكان تلك المناطق مع أهل الجزيرة العربية في الخصائص الجسمانية (الفيزيولوجية).

حتى أنصار هذه النظرية انقسموا إلى طرفين ،من يجعل من شمال غرب القارة الإفريقية الموطن الأصلي للشعوب السامية ، والبعض الأخر يجعل من شرق إفريقيا مهد لهم ، سوف نحاول أن نتعمق في أراء المجموعة الثانية لأنها تعتمد على أدلة عكس المجموعة الأولى .

---

* العربية الفصحى التي يعتبرها علماء اللغة الأقرب إلى اللغة الأم ، أقدم وثائقها تعود إلى القرن الرابع الميلادي أي بعد النقوش الاكدية ب 2500 سنة والنقوش الآرامية والكنعانية ب 1000 سنة ،وحسب البحث اللغوي والأدبي المقارن يبدو بوضوح أنها أقدم اللغات السامية جميعا .المرجع السابق ،ص173

(1)- حسين ظاظا ،الساميون ولغاتهم (تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب)، ط2،دار القلم دمشق ، بيروت،دار الشامية 1990،ص24.

(2)-سهام مادن ،اللهجات العربية القديمة ،الجزائر ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع 2011،ص60.

اعتمد أصحاب الرأي الثاني على التشابه بين الخط المسند في الحبشة وسبأ، وأضافوا كذلك ، بأنّ المجموعات التي استقرت في شبه الجزيرة العربية ،قد اكسبهم مكان إقامتهم الجديد خصائص جديدة ،ولكن لم تتمكن من القضاء على الخصائص القديمة المشتركة التي لا تزال تشير إليها صلة التقارب بين اللغات الحامية والسامية (1).

هذه النظرية نجدها قد غضت الطرف عن الاعتبارات التاريخية ، فمن الممكن إرجاع ما لاحظه علماء اللغات السامية والحامية إلى عوامل الهجرات البشرية (السامية) من شبه الجزيرة العربية إلى شرق إفريقيا عن طريق شبه جزيرة سناء ومضيق باب المندب .

أما بالنسبة لقرابة الحبشية باللهجات العربية الجنوبية *واعتماد الأحباش حتى اليوم على خط المسند في تدوين أدبهم وطقوسهم الدينية...الخ .فإنما يدل على هجرة الساميين من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الحبشة وليس العكس ، وحتى اسم "الحبشة" أشتق من اسم قبيلة هاجرت من السواحل الجنوبية الغربية إلى الشرق الإفريقي سميت ب "حبشت " ومازال إلى حد اليوم جبل باليمن يعرف بجبل "حبش" (2).

أما فيما يخص التشابه الجسماني، صحيح أنّ هناك شبه كبير بين الأفارقة خاصة الجهة الشرقية (الحبشة) وسكان اليمن ، ولكن حسب علماء الأنتروبولوجية ،فإن إفريقيا تأثرت بالدماء الأسيوية، أما تأثيرها في دماء أهل الشرق الأدنى القديم فقد كان قليلا ، ويظهر هذا الاختلاط واضحا في افريقية الشرقية والشمالية (3).الافتراض الإفريقي تعترضه بعض الصعوبات والاحتمالات التي قد تقلل من وقعه بعض الشيء .

---

(1)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص ص 50-51.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص449.

(3)- نفسه ،ج1،ص236-239.

*هناك تشابه بين اللغات السامية والحامية (المصرية القديمة – البربرية –الكوشية) وأطلق عليها العلماء تسمية "اللغات السامية - الحامية "، تبين بأنّ هذه اللغات ذات أصل واحد ، ربما يعود إلى تجاور كل من الساميين والحاميين في عصور ما قبل التاريخ قبل أن يغادرون ، ويكونون ملامحهم العرقية واللغوية

كما أن الأدلة ليست مبنية على أسس علمية صلبة فلا يحق للباحث الأكاديمي أن يؤكد على رأي دون أن تكون له أدلة قطعية ،وهذا ما جعل أصحاب هذه النظرية يخلطون بين الأصل والفرع ،فيما يخص التأثير اليمني على الحبشة وليس العكس .

ب- الأصل الأسيوي للشعوب السامية

سلك بعض أصحاب هذه النظرية طريق دراسة المأثورات القصصية القديمة ،وفي مقدمتها "قصة الطوفان "يفهم من السياق المذكور في التوراة أنّ السفينة رسّت في مكان قرب المرتفعات التي ينبع منها الدجلة والفرّات في شمال العراق ، وبناء على ذلك قال هؤلاء العلماء ،بأنّ مرتفعات كردستان هي المعنية وحدودها مكانا أصليا للساميين .

وهناك افتراض أخر يجعل من بلاد الرافدين مهدا للساميين ومن أصحاب هذا الافتراض نذكر على سبيل المثال "أرنست رينان "– "فريتز هومل Homel "(1)"إغناسيو غويدي GuidiIgnazio"وكانت حجة غويدي لغوية إذ لاحظ أنّ كلمة "نهر" موجودة بلفظها تقريبا في جميع اللغات السامية ، بينما كلمة "جبل " يختلف من لغة سامية لأخرى :

مثلا : العربية (جبل)، العبرية (هر)، الآرامية السريانية (طور)، البابلية (شادوا)، واستخلص من ذلك نتيجة هي أن سهول العراق لا بد أن تكون الوطن الأصلي للساميين .(2)

تتميز أدلة الطرح الأول بعدم الثبات والتغير ، إذا أخذنا قصة الطوفان إنما لم يقتصر ورودها على التوراة كجزء من التراث الشعبي (العبري) ولكنها سردت أيضا في تراث عدد كبير من الشعوب سواء في فترة سبقت التوراة أو التي تليها وكل بتصوره الخاص .

---

(1)- حسين ظاظا ، المرجع السابق ، ص ص 11-12.

(2)- Moscati, op.cit, P33

*حسب عالم الآثار جاك دو مورغان Jaques de Morganلم تعرف منطقة القوقاز وأرمينيا وشمال إيران تجمعات سكانية قبل ظهور صناعة المعدن ، ولم تمر عليها هجرات بشرية حتى الغزو الدوري ، كما لا نستطيع أن نعتمد على أسطورة كدليل علمي لبناء حقيقة تاريخية مؤكدة ، لأن الأسطورة مرّت بعدة مجتمعات بداية بالبابليين الذين اكتسبوها كتراث ورثوه من شعوب قديمة ربما ينتمون إلى مجتمعات العصر الحجري القديم بالمنطقة واستمر سردها حتى وصلت إلى العبرانيين ثم فقدت صحتها Jaques de Morgan ,Les premières civilisations ,Etude sur la Préhistoire et L'histoire jusqu'a la fin de l'Empire Macédonien, Paris ,Éd, Ernest Leroux ,1909 ,PP175-181

"الطوفان" كما وردفي الكتاب المقدس يأخذ هيكله العام أكثر تفاصله عن تلك التي سردت في أساطير واد الرافدين ،تذكر أماكن مثل مدينة أوروكUrukالتي تقع في جنوب واد الرافدين،وذكر جبل وصلت إليه السفينة وهو "نيسير " Nissirحدده الباحثون بجبل "بير عامر " جنوب نهرالزاب الصغير أحد روافد نهر الدجلة(1).

اما بالنسبة للطرح الثاني خاصة رأي "غويدي " ، ما نراه الأصح ، هناك بعض الكلمات تشترك فيها جميع اللغات السامية ، كما توجد مجموعة أخرى من الكلمات تختلف من لغة لأخرى ، ولكن هذه الملاحظة لا تؤكد لنا بأنّ أصل الشعوب السامية من بلاد ما بين النهرين ، باعتبار كلمة النهر مشتركة في جميع اللغات السامية ، إضافة إلى ذلك ألا توجد جبال شمال وشرق العراق إذن لماذ اختلفت كلمة "الجبل " في اللغات السامية مادام أصحاب هذه النظرية يعتبرون بلاد ما بين النهرين الوطن الأصلي للشعوب السامية؟ ومن المستحيل أن يترك الإنسان الأرض الخصبة لينتقل للعيش في منطقة صحراوية كما زعم أصحاب النظرية السابقة، لأنّ منطقة العراق القديم تتميز بالخصوبة وعرفت أزهى وأغنى حضارات العالم القديم .

تعتبر الدولة الأكدية أول كيان سياسي سامي ظهر في العراق ، ولو كان هؤلاء من السكان الأصليين لما تحدث الملك "سرجون الأول" حوالي القرن 24ق م عن أصله في نقش ، وما يفهم منه ،أنه وعشيرته نزحوا إلى العراق من شرقي الجزيرة العربية ، وتاريخ العراق معروف من خلال الوثائق السومرية والتي تبين بأنّ السومريون هم الأولون في المنطقة (2).

يصعب الأخذ بهذا الرأي لأن يكون بلاد النهرين هو الموطن الأصلي للشعوب السامية لذا نجد رأي أخر ذهب إليه الأثري الفرنسي "جاك دي مورغان" ، والمستشرق الألماني كيتاني أنّ الوطن الأصلي للساميين كان شبه الجزيرة العربية، فمنذ فجر التاريخ وما قبل

---

(1)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص ص 54-55.

(2)- حسين ظاظا ،المرجع السابق ، ص12-15

التاريخ كل المواطن التي سبق أن تحدثنا عنها كانت مسكونة بشعوب غير سامية ما عدا جزيرة العرب (1).

وبالتالي هناك جمهرة أخرى من العلماء الذين يرون بأنّ شبه الجزيرة العربية هي منبع تلك الهجرات البشرية ، أمثال (هومل، فلبي ...)وأنّ الساميين كانوا يترددون بين (نجد– العروض – اليمن).لأنّ شبه جزيرة العرب منطقة واسعة وتتميز بالتباين من حيث طبيعتها التضاريسية ونطاقاتها المناخية (2).

حسب هؤلاء العلماء منطقة جزيرة العرب لم تكن صحراوية في عصورها القديمة ، فقد عرفت مراحل مطرية طول عصر البلايستوسين ، وتغطيها الغابات والنباتات وتعيش على أراضها مجموعات بشرية ، ولكن ابتداء من 10.000ق م بدأ الجفاف يزحف تدريجيا على المنطقة لتحل الرطوبة ، الجفاف والحرارة واضطرّ سكانها إلى النزوح منها بالتدريج في موجات متتالية ، إلى المناطق الخصبة أو الأقل جفافا التي تقع في تخومها(3).

ورد في سفر التكوين أنّ الجنة الأرضية ترويها أربعة أنهر تجتمع في مصب واحد لتصبح نهرا واحدا ، اثنان من هذه الأنهار هما الدجلة والفرّات (4)أما الاثنان الآخران فكانا أحدهما يسمى "فيشون "والظاهر أنّ هذا النهر كان ربما وصل إلى الأطراف الجنوبية الشرقية مما يلي عدن شرقا ،والنهر الرابع يسمى في هذه الرواية "جيحون "وتضعه التوراة أنه يحيط بالحبشة (5).

حتى النصوص الأدبية لها دورها في الدفاع عن صحة هذه النظرية، وقد تحدث الجغرافي "سترابون" عن الجزر الواقعة على الخليج الفارسي التي تحمل أسماء:صور –

(1)- نفسه ،ص15.

(2)- جواد علي ، المرجع السابق ،ص ص 331-332.

(3)- لطفي عبد الوهاب يحي ،المرجع السابق ،ص ص 58-59.

(4)- Bible, Genesee, II, 14

(5)-Ibid,II,11,13.

صيدا ...نفس أسماء المدن الفينيقية في الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، كما أكد أيضا بأنّ معابد هذه المنطقة تشبه المعابد الفينيقية، حتى سكان المنطقة أكدوا له بوحدة الأصل التي تربط بينهم وبين الفينيقيين (1).

أما فيما يخص عبادة الآلهة القمرية التي نجدها تقريبا في كل الديانات السامية ، الإله الوطني للمعينين هو "ودّ"، أما إله سبأ وحمير "المقه " وكانت قتبان تعبد "عمّ" والآلهة الثلاثة من نوع "سين" إله عند السومريين والأكديين (2).

بما أنّ كل الشعوب السامية التي استقرّت في أقصى غرب القارة الأسيوية تحدثت بلغات متشابهة ،إذن هي فروع من أصل واحد ، حسب البحث التاريخي المقارن بين اللغات السامية كلها قريبة إلى اللغة العربية.

---

(1)- Strabon ,op; cit,XVI,4.

(2)-حسين ظاظا ن المرجع السابق ،ص116.

توصل علماء الأثار 1968 إلى الكشف عن مواقع أثرية تعود للعصر الحجري القديم في شرق شبه الجزيرة العربية بالتحديد أقصى غرب الربع الخالي كما توجد مواقع أخرى من نفس العصر في الجهة الجنوبية الغربية بها بقايا - صناعات حجرية الأفلوازية ، ورؤوس السهام بالإضافة إلى رسومات سخرية ونقوش للمزيد من المعلومات أنظر :

(H).Drechou, (F).Hivermel,(R).Karpoff : « Nouvelles Stations Préhistoriques dans les reliefs anciens de l'Arabie Saoudite » In :B.S.P.H.F, t65, N3, 1968, PP817-832.

II- الهجرات السامية

هناك شبه إجماع العلماء على أنّ المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية، هي الموطن الأصلي للشعوب السامية التي نزحت منها اثر الجفاف الذي حلّ بها في أعقاب الدورة الجليدية الرابعة (1).

ما يجب أن نوضحه في هذا البحث هو أنّ الهجرات كانت متعاقبة ولم تكن دفعة واحدة كما يعتقد البعض ، زيادة إلى ذلك ، ليست كل الشعوب السامية غريبة عن منطقة الهلال الخصيب ،ولهذا نستطيع أن نسقط كلمة "الهجرة " كون منطقة الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية (عمان) والتي عرفت في النصوص المسمارية بماجان *على علاقة دائمة ببلاد الرافدين منذ وقت مبكر ، ومع أنّ حكم سرجون لا يمثل هجرة سلمية جديدة أو أول استيطان في العراق ،بل مجرد قيام أسرة حاكمة منهم . والعهد الاكدي الجديد يحدد نهاية عصر وبداية عصر جديد بدأت فيه ملامح حضارة وادي الرافدين تتغير من الناحية القومية واللغوية والسياسية (2)

وما يثبت صحة ما قاله الأثري "جاك دومو رغان "، أنّ الشعوب السامية عندما دخلت إلى منطقة العراق استقروا إلى جانب الشعوب الأصلية جانب بجنب ،ثم أسسوا مدنا كانت لهم ألهة ومعتقدات خاصة بهم وبعد ذلك اندمجت الآلهة المحلية بالآلهة السامية وظهر مجمع الآلهة الذي يحمل في طياته كل العادات والتقاليد الخاصة بكل القومين ، وأعطى لها حمورابي طبيعة قانونية .(3) أين عكس نمطين من الحياة في حضارة واحدة، وحتى الكنعانيين الفينيقيين قبل أن يتوسعوا على حساب الأراضي الشمالية لبنان و سوريا

---

(1)- أحمد سوسة ، حضارة واد الرافدين ،(بين الساميين والسومريين) ،بغداد ،دار الحرية للطباعة 1980،ص65.

* ذكرت اسمهان سعيد الجرو في كتابها "مصادر تاريخ عمان القديم " أنّ الاتصالات بين عمان وبلاد الرافدين بدأت منذ فترة جمدة نصر ، وأكدت أنّ ذلك تواصل بين عمان (القديمة وبين بلاد الرافدين وبلاد السند : حمد محمد صراع ، (مصادر تاريخ عمان القديم) دراسة تحليلية ، مجلة ليوا ، السنة الأولى ،العدد الثاني ، ديسمبر 2009،ص8.

(2)- طه باقر ، المرجع السابق ن ص 355.

(3)-de Morgan, op.cit, PP 181-183.

استقروا أولا في جنوب فلسطين وكان لهم الدور الكبير في تأسيس مدينة (بئر السبع)وغيرها من المدن.

هناك عوامل مشتركة بين الأقوام السامية التي جعلتنا نفهم بأنّ وراء ذلك الشبه أصل واحد تشعبت منه كل القبائل التي استطاعت أن تبني كتل سياسية ذات طبيعة سامية خالصة.

-عرفت الأقوام السامية كيف تتعامل مع السكان الأصليين للمناطق الجديدة بكل ذكاء وسلاسة ،هذا ما نجده عند الأكديين الذين تعايشوا مع السكان الأصليين لبلاد الرافدين تعلموا منهم الأسس الحضارية من دون أن يتخلوا عن ثقافتهم التي بقيت دائما حاضرة ومع مر العصور في معالمهم الحضارية .

-لا ينزعج السامي من التأثيرات التي تصادفه،عاش كل من الكنعانيين و الآراميين واليهود تأثيرات خارجية سواء من العراق أو مصر،أو شعوب هندوأوروبية. نجدهم دائما يعايشون الظروف كما هي.

-وكذلك ويتقبل الساميون ويستوعبون ثقافات جديدة،هذه النقطة جعلت المؤرخين يترددون في الحديث عن (حضارة العراق) أو (حضارات العراق) ،نفس الموضوع بالنسبة للحضارة الفينيقية،فهي عبارة عن فسيفساء من حضارات مختلفة عراقية ، مصرية وإيجية..ربما تكون الطبيعة الصحراوية وراء هذه المميزات التي جعلتهم يفرضون أنفسهم في مواقع جديدة ذات ظروف معيشية ملائمة. فالجفاف والحرارة المرتفعة أنبتت فيهم قوة الصمود والقبول بكل مصاعب الحياة.

في هذا العنصر يجدر بنا أن نتتبع هؤلاء الساميين في بيئاتهم المختلفة لنرى كيف تشعبت شعوبهم وتعددت حضاراتهم على مرّ التاريخ.

1- الساميون الشرقيون

استقر الفرع الأول من الساميين الشرقيين في العراق القديم ما بين الألفين الخامسة والرابعة ق م ،وهم الاكديون الذين تمكنوا في منتصف الألف الثالث ق م من تأسيس الدولة الأكدية حوالي 2350-2150 ق م. وقد عرفت هذه الدولة ازدهارها في فترة حكم ملكها العظيم الذي حكم حوالي 50سنة" سرجون وكذلك حفيده نارم سين ، وعرّفوا أنفسهم بملوك الجهات الأربعة وفي هذا دليل على قوة السلطة واتساع مجالهم الجغرافي (1).

بالنسبة للفرع الثاني من الساميين الشرقيين فهم الأشوريون، و نجدهم منذ فجر التاريخ مستقرين على الضفة الشرقية من أعالي نهر دجلة ومختلطين بعناصر غير سامية ، وكان موطنهم إقليما فقيرا ساعدهم على أن ينشأوانشأة عسكرية خشنة ، يدينون بنوع من التبعية للسومريين ،وبعد ذلك خضعوا للأكديين في عهد سرجون ونرام سين (2)وقد اشتهر الأشوريون في التاريخ بكثرة حركاتهم التوسعية ، ولكن انتهى بهم الأمر بغزو الميديين الفرس لهم فخربوا العاصمة " نينوي" في حدود 612ق م (3).

2- الساميون الغربيون

اشتهر من هؤلاء القبائل الأمورية ،وهم الكنعانيون الشرقيون في العراق والكنعانيون الغربيون ومنهم الفينيقيون في سوريا وفلسطين (4).استطاعت جماعة منهم أن تؤسس دويلات من بينها "ماري " في حوض الفرّات الأوسط .

وبلغ من قوة هذه الدويلات أن حاولت التوسع في بلاد النهرين،لذا نجد أحد ملوك أسرة أور الثالثة شيد سور أطلق عليه تسمية "الجدار الذي يصد الأموريين،و قد وصلوا

(1)- s-moscati, l’orient avant les grecs, Paris, presses universitaires de France 1963, P70.

(2)- حسين ظاظا ، المرجع السابق ،ص ص 40-41.

(3)-moscati, histoire et civilisation, pp54-55

(4)- طه باقر ، المرجع السابق ، ص73.

إلى رتبة حضارية راقية والدليل على ذلك أثار "ماري" ،التي احتفظت بالألواح الطينية المكتوبة بالخط المسماري تتضمن وثائق تناوب مختلف الشؤون وتلقي كثيرا من الضوء على النواحي السياسية و الإدارية والاقتصادية والدينية التي سادت في المنطقة (1).

أعقبت الهجرة الأمورية الأولى المستقرة في الفرّات الأوسط هجرة ثانية قامت منها دويلات ومشيخات أشهرها سلالة بابل الأولى (1894- 1595 ق م) التي اشتهرت في عهد ملكها السادس" حمو رابي" 1792- 1750 ق م (2).

3- الآراميون *

يمثل الآراميون الموجة الثالثة من موجات الهجرات السامية من شبه جزيرة العرب ، كانوا في أول الأمر يجوبون أنحاء الجزيرة العربية من جهة الشمال ونجد في الجنوب ونهر الفرات في الشرق وخليج العقبة في الغرب ، وفي حدود القرن الحادي عشر والعاشر ق م أسس الآراميون عدة دويلات شمال العراق مثل " بيت – أديني "على الفرّات و"بيت يكيني " في الجنوب .بالإضافة إلى دمشق في سوريا ومدن أخرى (3).وتدفقت القبائل الآرامية أيضا إلى وادي الفرّات الأعلى والأسفل وقامت منهم دول منها "الكلدانية " التي اشتهرت بملكها "نبوخذ نصر الثاني 605- 562ق م (4).

4- العبرانيون

سكن العبرانيون سوريا بعد الأموريين والكنعانيين والآراميين ، وكان دخولهم إلى بلاد

---

(1)- أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر-العراق-سوريا-اليمن -إيران) مختارات من الوثائق التاريخية ،ط2،القاهرة ،1963، ص73.

(2)- طه باقر ، المرجع السابق ،ص74.

*ظهرت تسمية أرام التي تشير إلى منطقة في حدود القرن الثالث و العشرون ق م في وثائق الملك الأكدي "نرام سين " حسب ما ورد فيها ، تقع هذه المنطقة في شمال بلاد الرافدين ، هناك وثيقة متأخرة للألف الثاني ق م وهي ذات طابع اقتصادي لأحد ملوك سلالة أور الثالثة تتحدث عن دولة تقع بالقرب من "أشنونة " في الفرّت الأدنى وهناك وثيقة أخرى للقرن العشرون ق م لنفس السلالة أشارت إلى شخص اسمه أرام . Moscati, histoire et civilisation ,op-cit ,P164

(3)-Ibid, PP164-165.

(4)- طه باقر ، المرجع السابق ،ص74.

كنعان في هجرات متتالية ، عاشوا جنب إلى جنب مع الكنعانيين ،حيث انتقلوا من حياة البداوة إلى حياة الزراعة المستقرة ، أما بالنسبة لوصولهم إلى سوريا ، فتشير الروايات التوراتية إلى أنّ سيدنا إبراهيم الخليل هو جدهم الأكبر و قد جاء من "أور " العراقية وعبر الفرات حتى حرّان ، ومنها إلى فلسطين ، ويرجع بعض الباحثين هذا الحدث إلى بداية الألف الثانية ق م ،و يعتبر كل من سيدنا داود 1004- 963ق م وسيدنا سليمان 963-923ق م من مؤسسي الدولة العبرانية ،إذ شهدت الدولة في فترة حكمها ازدهارا في شتى ميادين الحياة (1).

5- القبائل العربية

انتشرت القبائل العربية منذ الألف الأول ق م في كل جهات الشرق الأدنى القديم ، وأصبح اسم العرب يظهر في أخبار الملوك الأشوريين في حروبهم مع بعض تلك القبائل في بوادي الشام والعراق .إضافة إلى القبائل النبطية في تدمر وطور سناء وشمال الحجاز ثم ظهرت قبائل أخرى ما بين القرنين الثاني ق م والسادس ميلادي (2).ومن بين الإمارات التي يرجع كثيرا من الباحثين أصول حكامها إلى حكام عرب ، الحضر – حمص – الرها – تدمر ، وكل هذه القبائل تكلمت وكتبت بالآرامية (3).

وإلى أقصى الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية ،نجد منطقة اليمن أين عاش قوم سامي ،عرف حياة مستقرة على خلاف المناطق الأخرى للجزيرة العربية ، وأسسوا ممالك كانت ترتكز على مورد اقتصادي هام ألا وهو التجارة ،التي كانت وراء انجاز حضاري و تأسيس مستوطنات خارج إطارهم وإقليمهم الجغرافي الأصلي .وهذا ما يجعلنا نتساءل عن طبيعة العلاقة التي تربطهم بالفينيقيين الذين استقروا في الساحل الشرقي للمتوسط ؟

---

(1)-أحمد أمين سليم ،دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم سوريا –بلاد العرب ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 1991،ص ص 65-70.

(2)- طه باقر ، المرجع السابق ، ص 74.

(3)- جواد علي، المرجع السابق،ج2، ص 609

I -الفينيقيون

1-أصل الشعب الفينيقي

2-التعمير السامي للساحل الفينيقي وظهور دويلات المدن الفينيقية

3-المظاهر الحضارية الفينيقية

أ-المؤسسة الدينية الكنعانية

ب-الأبجدية الفينيقية

ج-اقتصاد المدن الفينيقية

II-عوامل التوسع الفينيقي

1-العامل الجغرافي

2-العامل الاجتماعي

3-العامل الاقتصادي

4-العامل السياسي

III-البحرية الفينيقية

1-نشأتها

2-طبيعة السفن الفينيقية

3-أهمية البحر الابيض المتوسط

IV-حركة الاستيطان الفينيقية

1-الاستيطان الفينيقي في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط

أ-جزيرة قبرص

ب-أسيا الصغرى

ج-مستعمرات بحر ايجة

2-الاستيطان الفينيقي في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط

أ-المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط

1-جزيرة سردينيا

2-جزيرة صقلية

3-جزر البليار

4-شبه جزيرة ابيريا

ب-المستوطنات في جنوب الحوض الغربي للمتوسط

أ-مستوطنة ليكسوس

ب-مستوطنة أوتيكا

3- مستوطنة قرطاجة

الفصل الأول :حركة الاستيطان الفينيقية

I-الفينيقيون

1-أصل الشعب الفينيقي

منذ الألف الثالثة ق م ،عاشت شعوب سامية في المنطقة الممتدة من جنوب غرب سورية حتى فلسطين جنوبا أطلق عليهم الكتاب المقدس " الكنعانيون " و" كنعان " على البقعة الجغرافية ، ونفهم من هذا السياق أنّ العهد القديم "كان يقصد من هذه التسمية كل الشعوب السامية التي دخلت إلى المنطقة ومن بينهم العبرانيون (1).

ما يهمنا في هذا الموضوع هو أصل ذلك الشعب الذي استقر في الشريط الساحلي الضيق بين سلسلة جبال لبنان والبحر الأبيض المتوسط، والمعروفين عند الإغريق القدامى بالفينيقيين أي" الرجال الحمر"phoeniki ، رغم استقرار هذه الأقوام في الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط منذ الألف الثالثة ق م ، إلاّ أنّ الآثار لم تمنحنا أدلة عن منشآت لهم تعود إلى تلك المرحلة ،وحتى الآلهة المعروفة لديهم كلها تعود إلى الألف الثانية ق م (2).

أما المصادر الكلاسيكية فقد اختلفت في تحديد أصل الشعب الفينيقي ، جعلهم "سترابون "(64ق م -19م)من الخليج الفارسي ،لأنه رأى تشابه بالغ بين المقابر الفينيقية على الساحل الشرقي للمتوسط ومقابر سكان الخليج الفارسي ،كما أنّ سكان هذه المنطقة يذكرون أنّ أسماء جزرهم ومدنهم مثل أسماء المدن الفينيقية مثل صور – صيدا –أرواد ...(3)،أما "هيرودوت" (484-420ق م) يرجع ديارهم الأولى إلى سواحل البحر الأحمر (الإريتري)(4).

---

(1) -Moscati, Histoire et civilisation, opcit, P 98.

(2)-أحمد فخري، المرجع السابق، ص ص63-65

(3)-Strabon, op cit , VI,4

(4)- Herodote, op cit, I, 1.

ولو نبحث في أصل كلمة " phoenikis" نجدها بالعربية تعني "الرجال الحمر " ونجد في لفظتي "حمير "-"حميريين "الجذر الثلاثي (ح م ر)الذي مازال يعني في أيامنا "الاحمرار " ، ليس مستبعدا أن يكونوا هؤلاء الحميريون قد أعطوا اسمهم أيضا "للبحر الأحمر" الذي كانوا يقصدونه ، والذي لابد أنهم قد عبروه أثناء رحلتهم الطويلة (1).

رغم اختلاف مقر انتقال الفينيقيين حسب المصادر الكلاسيكية، لكن شبه الجزيرة العربية تبقى دائما منطلقهم العام كباقي الشعوب السامية الأخرى.

وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى حقيقة تاريخية ذكرتها ملاحم رأس شمرا ، يفهم منها أنّ الكنعانيين عاشوا مدة زمنية في صحراء النقب جنوب فلسطين ، ويرجع إليهم فضل تخطيط أهم المدن بالمنطقة "بئر السبع "و"أشدود "،بعد مدة من استقرارهم في فلسطين ،أخذوا طريقهم بمحاذاة الساحل إلى لبنان وسورية (2).

عرفت كلمة فينيقيا كمدلول جغرافي مراحل الامتداد ومراحل التقلص ،فنجد الإغريق والمصريين يتفقون في تسمية سواحل أسيا الصغرى وجزر بحر ايجة فينيقيا في الألف الثالثة ق م. فلقد أطلق المصريون "كفيتيو " على كريت مركز الحضارة الإيجية ،ولكن في العهد البطلمي انحصرت هذه التسمية على سوريا ولبنان فقط (3).

وتدل البقايا الأثرية بمنطقة كريت على ثقافة شعب جديد ،استقر بالمنطقة على الساحل الشرقي لهذه الجزيرة البعيدة عن الأنظار المحصنة طبيعيا ويفهم من كل هذا ،أنه شعب مسالم كالفينيقيين وحسب نتائج التزمين بكربون 14أرخ لهذه الآثار ب 2500 ق م (4).ألم تكن هذه الصفات هي نفس تلك الصفات التي تميز الفينيقيون واليمنيون ،ربما نستطيع أن نطرح نظرية ترجع تأسيس الحضارة الإيجية إلى شعوب سامية لما لا ؟.

---

(1)- جان ما زل ،الحضارة الفينيقية ،ت ربا الخش ،سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع ، 1998،ص31.

(2)- حسين ضاضا ، المرجع السابق ، ص ص 50-52.

(3)- محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص 50.

(4)- محمد ابراهيم السعداني ، تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية واثرية)،ط1،القاهرة ،2008،ص61.

فالفينيقيون ربما كانوا مستقرين على ضفاف البحر الأحمر بسبب ظروف عديدة نزحوا إلى المناطق الأخرى على شكل هجرات متعاقبة ،ربما كان الفضل لواحدة من هذه الموجات في تأسيس أكبر حضارة بحرية في بحر إيجة ، أو شاركوا شعوب المنطقة في ذلك ،لأننا لا نستطيع أن نبعد فكرة المعرفة المبكرة للفينيقيين للملاحة البحرية .

ويعتقد الباحث شارل جولان Charles Guillain "بأنّ المجتمعات الملاحية القديمة شبيهة بالجنين الذي يخرج من بطن أمه ويتجه مباشرة إلى صدرها ، نفس الشيء للإنسان الذي يولد في منطقة قريبة إلى البحر أو المحيط أول شيء يلاحظه ،هو أنّ البحر مصدر رز قه "(1) وحتي أساطير اليونانيين كانت ترجع تأسيس المدن اليونانية إلى سلالة نصف إلهية هبطت من السفن قادمة من بلاد بعيدة من الشرق ،ومن بين أبطال هذه الأسطورة كادموس Cadmus *مؤسس طيبة وشقيقة فونيكس phoinix الفينيقي الأصل (2).

قبل أن تغادر الشعوب السامية أراضيها الأولى في شبه الجزيرة العربية فلقد. عاشت حضارتها الأولى من 100.000 ق م وإلى غاية 10.000ق م ،ففي هذه المرحلة التي دامت حوالي مائة ألف سنة (الدورة الجليدية الرابعة) كانت أوروبا مغطاة بالجليد ، في حين كانت شبه الجزيرة العربية تتمتع بالاخضرار في كل المواسم .

ربما هناك من يرفض هذه الفرضية، لأنّ جزء منها مبني على أحداث أسطورية تجمع بين الحقيقة والخيال، وهذا ما يجعل هذا النوع من النصوص تفقد صحتها،و كما هو الحال كل الأساطير عبارة عن فلكلور يمر عبر الأجيال،تضاف إليه أشياء تنقص منه أشياء أخرى ولكن المعنى في كثير من الأحيان يبقى موجودا،وإن أعتمد على مجموعة من الأساطير للوصول إلى حقيقة تاريخية إذن لمالا نعتمد على هذه الأسطورة لبناء هذه الحقيقة المتعلقة بشعب سامي؟.

---

(1)-Charles Guillain, document sur l’histoire, la géographie et le commerce de l’Afrique orientale, t1, paris, libraire de la société de géographie 1856,63.

(2)- محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص17.عن الاسطورة أنظر : *Histoire universelle depuis le commencement du monde jusqu’à présent, traduiten français par une société de gens de lettres, t 3, paris 1780.

2- التعمير السامي للساحل الفينيقي وظهور دويلات المدن الفينيقية

تأثر الساحل الفينيقي بقوى ثابتة وطيدة الأركان (مصر وبلاد الرافدين) وأخرى متحركة شديدة الاضطراب (حوض البحر الإيجي والهنود الأوروبيين) ،وهذا الظرف أثر في التوجيه الجغرافي والحضاري للشعب الفينيقي ،وفي نفس الوقت جعلهم بارعون في اختيار مناطق لبناء مدنهم ، وهذا ما جعلهم يمنحون لكل جزء من الساحل الفينيقي دورا اقتصاديا ، إذ جعلوا تواجدهم بالمنطقة يتماشى مع جغرافيتها المعقدة .

فضل الكنعانيون السهل الساحلي الضيق في فلسطين والمنطقة الساحلية في أوغاريت وإليهم يرجع الفضل في تأسيس أقدم المدن في فلسطين وكل الساحل الفينيقي ، نجدها تتميز بصغر حجمها في مرتفعات يسهل الدفاع عنها ، وكانت تقوم بوظيفة السوق المحلية وفيها مكان العبادة وحصن، يلجأ إليه السكان في وقت الخطر .أما مدن الساحل الفينيقي همها الوحيد هوالاشتغال بالزراعة في السهل الساحلي الضيق ولم تكن النتوءات الصخرية تشجع على إنشاء موانئ اللهم إلاّ في النقط القليلة التي كانت في صلات تجارية مع مصر مثلا "جبيل Byblos "وأوغاريت Ugarit"مع الدجلة والفرّت(1)وكون المجتمع الفينيقي مسالم ومحب للأمن نجد كل المدن تقريبا اجتمعت خلف جبال لبنان الغربية لأنها عقبة تقف في وجه كل أي غاز ، أما قلة المدن في جبال أمانوس والناصرية فدليل على انعدام الأمن فيها (2) .

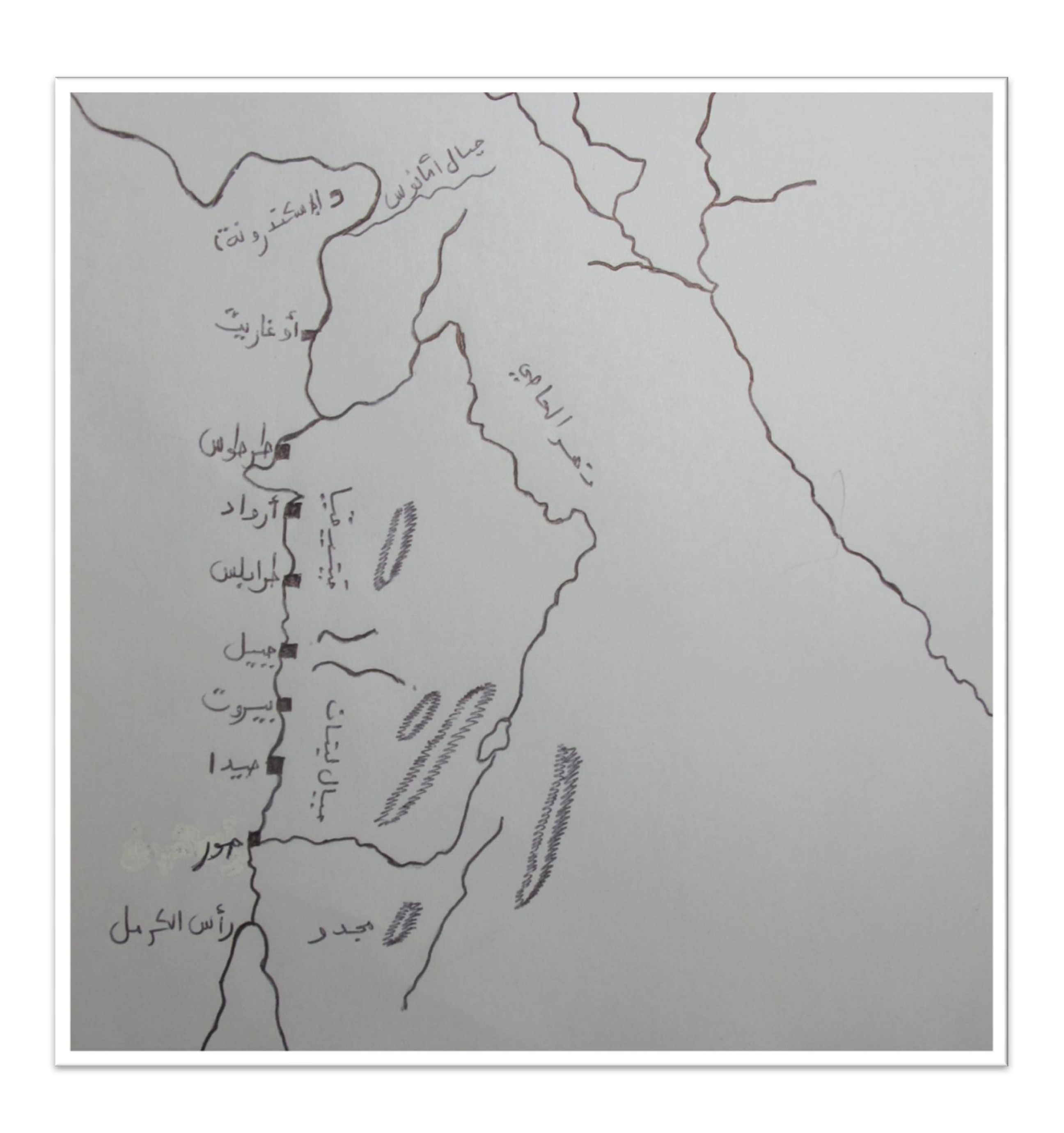
تدل الآثار أن عدد المدن يبلغ حوالي خمسة وعشرين مدينة بالإضافة إلى غير ذلك من المدن التي ضاعت معالمها أو اندثرت أسماؤها ،كان النظام المعتمد عليه هو "المدينة الدولة " المتحالفة في الحرب والمتناثرة في السلم وهذا النظام كان نتيجة لكثرة الحواجز الطبيعية التي تجعل المواصلات صعبة . نحاول أن نعطي ملخص عام حول المدن الفينيقية مع إظهار أبرز ميزة لكل واحدة منهما حتى نعطي ولو فكرة عن دور كل مدينة في التاريخ الفينيقي. ينظرالخريطة رقم (1)

---

(1)- محمد السيد غلاب المرجع السابق، ص ص 220.

(2)-نفسه،ص121

المقياس



خريطة رقم (1) تمثل "سوريا و الساحل الفينيقي "

0 30 60 90 120 150 كلم

المفتاح■ المدن الفينيقية

//// السلاسل الجبلية

أ- رأس شمرا

كان التوجيه الجغرافي والحضاري لهذه المدينة مع بلاد الرافدين وحضارات البحر الإيجي ،هذه العلاقة التي أظهرها التشابه البالغ بين الفخار المطلي في "العبيد " و "جمدة ناصر" في أوغاريت، وقد كانت شمال سورية منطقة نفوذ عراقية في بداية الألف الرابعة ق م ، أمّا علاقة أوغاريت بحضارات البحر الإيجي ،تعود إلى الألف الثالثة ق م أين بدأ الفخار الكنعاني يبرز مميزاته العامة التي تربطه بالفخار القبرصي(1).ولقد تميزت العلاقات الأوغاريتية المصرية بالتأخر حتى الألف الثانية ق م وأقدم دليل لهذه العلاقة هي خراطيش تحمل اسم حاكم مصري ما بين 1970- 1936ق م (2).

أهتم الأوغاريتين بتدوين أمورهم الدينية والأدبية والسياسية بأبجدية خاصة بهم حيث اختزلوا الرموز المسمارية وجعلوا منها عملية بسيطة لتسهيل استعمالها في جميع ميادين الحياة ، واللغة الأوغاريتية مبنية على أسس تشترك اللغات السامية الأخرى (العبرية – الآرامية –العربية)(3).

ب- جبيل Byblos

تعتبر من أقدم المدن في العالم القديم ، تقع عند مصب نهر أدونيس (نهر إبراهيم الحالي) نستطيع أن نتحدث عليها على أساس، أنها مدينة مصرية وترجع علاقة مصر بجبيل إلى عصور ما قبل التاريخ ،حيث يظهر الأثر المصري في طبقات أثار هذه المدينة التي تعود إلى البدايات الأولى للألف الثالثة ق م ويشير حجر" بالرمو" من جهته إلى الأخشاب التي كانت يجلبها الملك سنفروا مِؤسس الأسرة المصرية الرابعة من المنطقة ، وحتى المحاولات الأولى في الأبجدية الفينيقية تشبه الكتابة المصرية في أقدم عصورها.

---

(1)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص20.

(2)- محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص ص 229-230.

(3)- محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية، ط2، سوريا، دمشق 2007، ص ص 85-87.

ج- مدينة أرواد

تعتبر مدينة أرواد في طليعة المدن الفينيقية الهامة في جنوب مدينة أوغاريت ، وهي قائمة على جزيرة صغيرة بمحاذاة الشاطئ ولعبت دور فعال قد يكون في المستوى الذي قامت به كل من جبيل – صيدا – صور تعددت الآراء حول مؤسسي هذه المدينة كما ورد اسمها بعدة صيغ : أرواد –أربادArvad – الأربادييينArvadiens ، ويعود تاريخ تأسيسها إلى الألف الخامسة ق م ،ربما من طرف سكان المنطقة (1)أما سترابون نجده يعزو تأسيسها إلى مواطنين صيداويين (2).

د- مدينة صيدا

كثيرا ما يشير الكتاب المقدس إلى الصيداويين للتعبير عن الفينيقيين مما يوحي إلى أنّ صيدا كانت لها سيادة على المدن الفينيقية الأخرى ،وحسب جوستان Justin يعود تاريخ تأسيسها إلى الألف الثالثة ق م تحدث في هذا الموضوع قائلا "حينما استقر الفينيقيون على أقرب شاطئ بحري بنوا مدينة أطلقوا عليها اسم صيدا ..."

استقر الصيداويون في منف وكونوا جالية لصناعة المعدن وفي عهد الدولة المصرية الحديثة أعتبر ميناء صيدا بمثابة قاعدة عسكرية مصرية تنزل فيه الجيوش المصرية لمواجهة إقليم غرب أسيا سواء لتأديب حكام المدن أو لجمع الجزية من المدن الفينيقية ، ولقد تمتعت صيدا بمكانة هامة في حوض البحر الأبيض المتوسط وتوسع نفوذها حتى جزيرة قبرص .أسس التجار الصيدا ويون مستوطنات وامتدت سياديهم حتى رودس وجزر بحر ايجة حتى الساحل اليوناني(3) .

---

(1)- Dumont Alain, LaGenésee de la création a la mort d'Abraham, T1, Paris, 2012, P272.

(2)-Strabon, op cit, XVI, 2,13.

(3) - حسين ظاظا ، المرجع السابق ،ص ص 54-55.

و- مدينة صور Tyr

قامت مدينة صور على رأس داخل بحر تحميه صخرة ، وهذه الجزيرة كانت ميناءا أمنا للمراكب أثناء العاصفة ، وملجأ للسكان أثناء النزاع ، تتكون من حييّن أحدهما على الشاطئ والثاني على الجزيرة ،وذكر بلين الكبيرفي كتابه التاريخ الطبيعي أنّ هذه الجزيرة الصخرية أوصلها الإسكندر المقدوني بالرصيف القاري (1).

أما فيما يخص تأسيسها فيقول هيرودوت أثناء زيارته لصور، بأنّ كهنة معبد "ملقارت " أكدوا له بأنّ المعبد بني في نفس الوقت الذي بنيت فيه المدينة (2)ربما يعود تاريخ تأسيسها إلى حوالي 2300 ق م ويرجع تأسيس صور إلى سكان صيداويين ، هناك من المؤرخين لا يأخذ بهذا الرأي، لأنه لا ينطبق مع الأحداث التاريخية، لأنّ تأسيس أقدم مستوطنة فينيقية يؤرخ بحوالي 1110ق م، لا يعقل أن يتسنى لمدينة ناشئة أن تتطور بهذه السرعة (3) .

ومن أشهر ملوكها نذكر "أحرام "الأول (935-919ق م) وإتوبعل الأول (887-886ق م) ، كان أحيرام الأول معاصر للنبي والحكيم "سليمان " بن داوود وقد زوده بطاقم من المهندسين والفنانين لبناء معبد أرشليم وقصره الخاص (4).

كانت صور في عهد ازدهارها سيدة البحار وكان أسطولها يجوب البحر من سواحل أيونيا (أسيا الصغرى)إلى بلاد المغرب وحتى جبل طارق وجزر القصدير في المحيط الأطلسي، بل حتى جزر بريطانيا وفي أول مرة في التاريخ البشري يتم الاتصال بين الشرق والغرب.

---

(1)- Pline Ancien, Histoire naturelle, Ed. d’Émile Littré, paris ,1848-1850 ,V,17-2.

(2)- Hérodote, op cit, II, 44.

(3)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 26.

(4)- Frédérique Heiberg, le roi Salomon et son temps, tra.sm.Guillenim, Paris, Payot, 1957, PP141-142.

3- المظاهر الحضارية الفينيقية

إن أهم ما أعطاه الفينيقيون للحضارة البشرية ،هم أنهم نقلوا المؤثرات الحضارية من الشرق إلى الغرب وكانوا بمثابة تيار واصل بين عالمين مختلفين بفضل إتقانهم للملاحة البحرية التي مكّنتهم من التعرف على مختلف بقاع العالم القديم .

أ- المؤسسة الدينية الكنعانية

اختلفت مرجعيات الديانة الكنعانية فهناك مقتطفات منها في العهد القديم ، وما دونه الإغريق والرومان ، لكن منذ 1929 م ،أصبحت الديانة أكثر وضوحا بفضل ما توصل إليه علماء الآثار أثناء تنقيباتهم بموقع "رأس شمرا " من نصوص ميتولوجيه، يعود تاريخها إلى القرنين الرابع والثاني عشر ق م (1)مثل كل ديانات الشرق الأدنى القديم،تتميز الديانة الفينيقية بتعدد الآلهة واتخاذ إله واحد عدة صفات و وظائف من حين لأخر،وحتى جنسا، الإله يتراوح بين الذكورة والأنوثة (2).

تنقسم الآلهة الفينيقية إلى جيلين ، الجيل الأول يترأسه "إيل " المترامي في أحضان الطبيعة الرطبة، أما الجيل الثاني كان تحت سلطة الإله "بعل" تتصارع فيه الخصوبة والجفاف ، حيث كان الإله يعبر عن الطبيعة ،أما الإلهة الأنثى فلم تكن سوى إعلان لقوة الإله وتظهر خواصه فتقابله ، أعتبر "البعل" الإله العظيم و"عشتروت "الإلهة الكبرى و في غالب الأحيان تظهر الآلهة كثالوث في مرتبة عليا يسير على بقية الآلهة مثل" ثالوث صيدون "المتكون من البعل – عشتروت – أشمون و"ثالوث جبيل "إيل – تموز – بعلة (3).

اعتاد الفينيقيون التعبد لألهتهم سواء في الهواء الطلق أو في المعابد ،التي كانت تحت سلطة الكهنة الذين كرّسوا حياتهم لحب الإله تحت إمارة كاهن أكبر ويقال لهم " قد يشيم"

---

(1)- خزعل الماجدي ، المعتقدات الكنعانية ،ط1،الأردن ، عمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ،2001،ص59.

(2)- S- moscati, L’orient avent Les Grecs, op cit, P236.

(3)- خزعل الماجدي ، المرجع السابق ، ص ص 35-36.

أي "قديسين " ، والتقرب من الآلهة، استمر الفينيقيون زمنا طويلا في تقديم القرابين وبشكل خاص التضحية بالأطفال وابتداء من القرن السادس ق م، اخذوا تدريجيا يستعيضون عن التضحية بالأطفال بتقديم القرابين من الحيوانات (1).

لا ندري ما هو سبب اضطراب المجمع الإلهي الفينيقي ، ربما يعود إلى طبيعة ديانتهم المبنية على الظواهر الطبيعية التي تتميز بعدم الثبات والاستقرار ، كما أن الطبيعة تعيش فصولها الأربعة أين تموت فيها وتحي من جديد ، وهذا له علاقة بالمعتقد الفينيقي الذي كان قائما على فكرة "وجود حياة ثانية " بعد الموت .

ب- الأبجدية الفينيقية

توصل الفينيقيون إلى ابتكار أروع ماعرفه الإنسان في تاريخه الطويل ، ولا شكّ أنّ نشرهم للأبجدية في أرجاء العالم القديم هو أهم ما قاموا به، واكتشف الأثري فلندر بيتري Flinders Petrie 1905 أقدم وثيقة مكتوبة بأبجدية تشبه جزئيا الهيروغليفية (2)أنظر الصورة رقم (1)

بعد ذلك استطاع العالم الأمريكي أولبرايتAlbright 1948 فك رموزها وأرجع تاريخ كتابتها إلى حوالي 1500-1400 ق م (3) ولم تكن هذه الأبجدية وليدة الصدفة، كما كان يعتقد من قبل، بل كانت نتيجة محاولات عديدة ترمي بجذورها إلى الألف الثالثة ق م وأقدم محاولاتها كانت منقوشة على الحجر والبرونز.وقد وجدت أثارها بجبيل (4)اهتمت النخبة الاوغاريتية على الرموز المسمارية كأساس لمحاولاتهم في تنظيم أبجدية يعتمدون عليها في حياتهم اليومية وتتكون من 22 حرفا ، ثم أصبحت الأبجدية ثابتة ابتداء من القرن

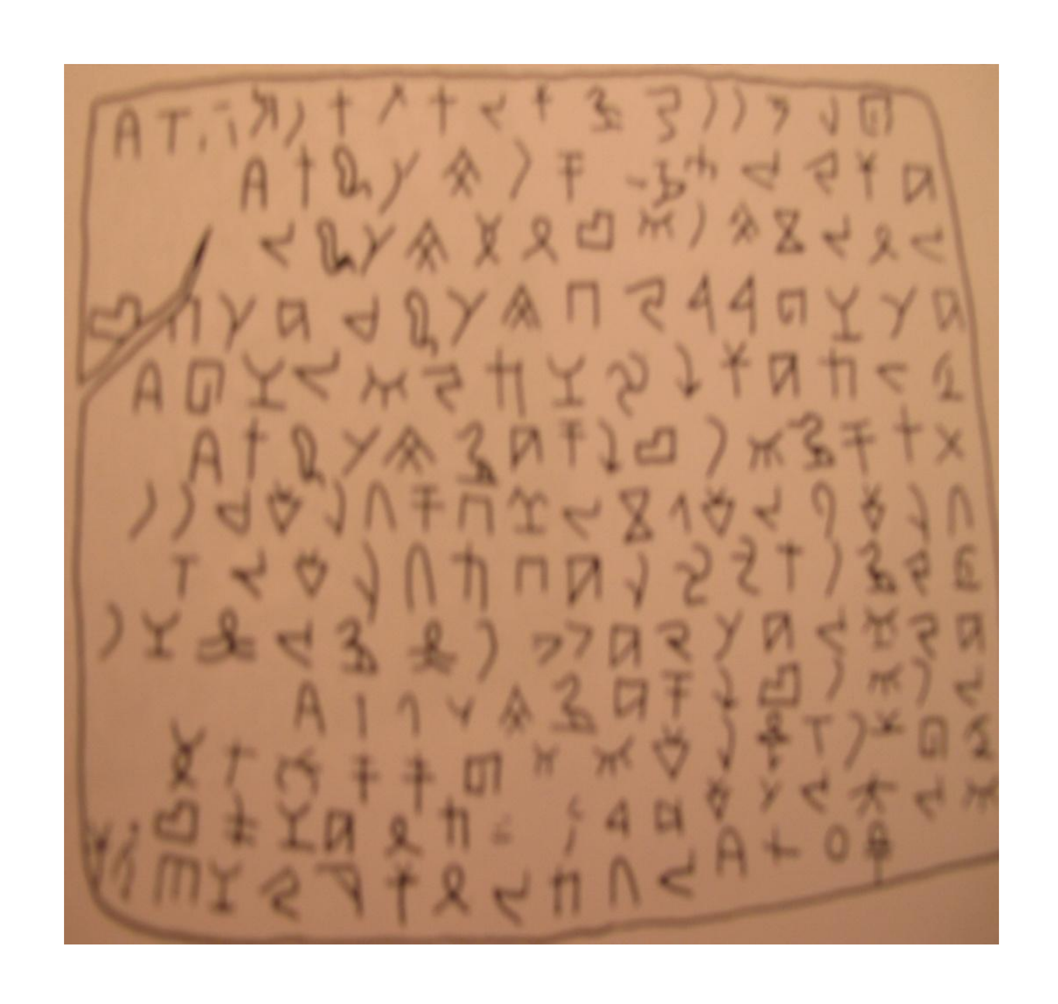
---

(1)- s- moscati, Histoire et civilisation, P121.

(2)-Ibid, P 122.

(3)- احمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم ،المرجع السابق، ص 117.

(1)-(J)Boulos, les peuples et les civilisations du proche Orient (Essai d’une histoire comparée origine à nos jours), T2, Paris, publie en collaboration avec l’école pratique des haute études 1962, P107.



الصورة رقم(1): رموز بروتو سينائية

الثاني عشرق م، وتقرأ من اليمين إلى اليسار ،حيث تنعدم فيها الأصوات مثل عائلة اللغات السامية التي تفرعت منها (العبرانية – الآرامية – العربية) .

ومنذ ذلك الحين فرضت الكتابة الفينيقية نفسها في العالم القديم لتميزها بالخفة والسهولة وكانت متداولة لدى الجميع وأحسن دليل على ذلك بعض الوثائق المكتوبة بهذه الأبجدية تمّ العثور عنها شمال سوريا ويعود تاريخ تدوينها إلى القرن الثامن ق م ،ويرجح العلماء على أنّ الأبجدية الفينيقية هي الأصل الذي اشتقت منه الخطوط السامية الأخرى (العبرية – الآرامية – السبأية)وهي أصل الإغريقية والأتروسكية ، وعن هؤلاء جاءت الحروف اللاتينية(1) .

ج- اقتصاد المدن الفينيقية

نلمس من خلال دراستنا للمدن الفينيقية نوع من التخصص الاقتصادي التي تميزت به كل مجموعة من المدن عن الأخرى، وذلك راجع إلى طبيعة المنطقة التضاريسية التي تحكمت في المسار التاريخي للمجتمع متماشية مع متطلبات الإنسان.

1- المدينة الفينيقية

ما يميز المدن الفينيقية هو ذلك السور المنيع الذي يحيط بها يظهر ذلك جليا من النقوش التي زينت بها البوابات البرونزية للملك الأشوري "شلمنصرالثالث " (859-824 ق م)، ونظر لمساحة المدن المحدودة اعتمد على زيادة طوابق (2)، ويؤكد هذه الحقيقة الجغرافي سترابون في القرن الأول ق م منازل صور وأرواد تتكون من عدة طوابق ،وفيما يخص تخطيط البيوت ، نجدها تشمل على حوانيت ومخازن وبها حمامات مع نظام متقن لتصريف المياه ، وعادة ما تكون البيوت مطلة على فناء داخلي،و لتوفير المياه اعتمدواعلى بناء خزانات (صهاريج) (3).

---

(1)- (M). Gras –(P).Rouillard-J.Teixidore, L'universPhénicien, Paris, Imprimerie Herissey, 1962, P107.

(2)- محمد أبو محاسن عصفور،المدن الفينيقية،بيروت ،دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،1981 ص ص 99-100

(3)- Strabon, opcit, XVI, 2, 12,23.

2- الزراعة

ارتبطت قرى السهول الساحلية والمرتفعات بخدمة الأرض ، ولا تلعب فيها التجارة والصناعة إلاّ دورا ثانويا ، ولهذا التمييز علاقة بالبيئة التي لعبت دورها في شخصية الشعب الفينيقي ، جعلتهم أكثر ذكاء وشجاعة ، استغلوا كل الأراضي الصالحة للزراعة ، كما هيأ المزارع الفينيقي جبال لبنان إلى مدرجات لربح تلك المنحدرات وحفظ مياه الأمطار، التي تتحول إلى سيول ربما تضيع وتجرف التربة (1) لم تكن الزراعة خصية فينيقية، بل عرفتها المنطقة منذ العصر الحجري الحديث .وقد عثر على فؤوس يدوية (حجرية) ، وأخرى من معدن البرونز برأس شمرا(2).

إضافة إلى ما ذكر في التوراة عن بلاد كنعان ودوره في إنتاج الزيتون والعنب الأصلي ،حتى سترابون تحدث بدوره عن النبيذ الفينيقي، الذي كان يصدر إلى مصر (3) كان هذا المحصول دائم في الساحل الفينيقي منذ القدم انتشرت زراعته في الإقليم الأوسط من رأس الخنزيرة إلى طرابلس جنوبا .

3- الصناعة

تخصصت المدن الساحلية بالصناعة والتجارة وأكثر ما اشتهر به الفينيقيون هو صناعتهم للأنسجة المصبوغة باللون الأرجواني ، الذي يستخلصونه من الأصداف والقواقع البحرية ، ومن بين المدن التي اشتهرت بهذا النوع من الصناعة " صور"وهم أوائل الشعوب اشتغالا بهذا الميدان، كما تميزوا بحرفة الصياغة وتركوا من بين أثارهم موازين الصاغة ومثاقيلهم في رأس شمرا التي تعود لحوالي القرن 16 ق م (4).

---

(1)- محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص 431.

(2)- محمد أبو محاسن عصفور، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، مطبعة المصري، مصر،1962، ص ص 105-106.

(3)-strabon,op cit ,XVI,2 ,9

(4)- محمد السيد غلاب ،المرجع السابق، ص 436.

4- التجارة

بفضل الموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به المدن الفينيقية ، واعتمادا على اكبر ثروة غابية امتلكتها جبال لبنان ،اكتسب الفينيقيون نشاط جعلهم أسياد البحار ،ولقد مارست جبيل وأوغاريت الملاحة البحرية منذ الألف الثالثة ق م ، ولكن في هذه المرحلة العلاقات لم تتعدى مصر وبلاد الرافدين ، وجزر بحر ايجة ،ابتداء من القرن الثاني عشر والثامن ق م ازدهرت التجارة البحرية الفينيقية وأشاد النبي حزقيال Ezéchiel بأسواق صور والتجار الذين كانوا يقصدونها (1).

ومنذ مطلع الألف الثاني ق م بدأ الصوريون يستقرون في نقاط كثيرة من الساحل المتوسطي وكسبوا منافذ جديدة وأمنة ، حيث وفروا لتجارتهم أسواق بعيدة لم يبلغها أحد سواهم ، وأسسوا أكبر المحطات التجارية قادس و لكسوس(Lixus)وقرطاجة(Carthage).

لم تقتصر التجارة الفينيقية على تصدير مواد الخام العضوية مثل الأخشاب من جبال لبنان أو المعادن من أقصى الغرب أو صباغتهم الأرجوانية المشهورة ،بل تاجروا أيضا بسلع الهند وشبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا التي تصل إليهم بفضل التجار اليمنيين (2)وبذلك كان مجال التجارة يشمل الهلال الخصيب وأسيا الصغرى وجزر بحر إيجة ومصر، أما بالنسبة للحوض الغربي للمتوسط فقد كانت لهم علاقات تجارية بمستوطناتهم خاصة قرطاجة .

لم تشير النصوص المسمارية إلى سيطرة الأشوريين على التجارة الفينيقية ، بالعكس بعض الوثائق تبين بأنّ الملوك الأشوريين، شجعوا التجارة الفردية وهناك نص للملك "تجلات فلاصر الثالث "(744-727 ق م)الذي يعطي تسريح لتجارة الفينيقيين في أخشاب لبنان (3).

---

(1)-la bible, Ezéchiel, 27 :1-6.

(2)- مادلين هورس ميادين ،تاريخ قرطاج ،ص،المرجع السابق، ص 36-37.

(3)-(M) .Gras,(P).Rouillard,(J).Teixidore,Lunivers Pheniciens,op citPP103-104.

بناءا على كل ما ذكرناه في هذا الجزء، نستنتج بأنّ الشعب الفينيقي يمثل جزء من تلك الهجرات السامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية ابتداء من حوالي الألف الثالثة ق م ، ورغم تعدد الآراء حول المنطقة الأصلية التي انتقلت منها هذه الموجة ، إلاّ أنّ المنطلق يبقى دائما شبه الجزيرة العربية و حسب النصوص الميتولجية لرأس شمرا سلكت هذه القبائل الطريق الساحلي لغرب الجزيرة العربية مرورا بالحجاز ومنها دخلوا إلى فلسطين أسسوا أول المدن بالمنطقة "أشدود "و"بئر السبع" ومنها انتشروا إلى بقية الساحل.

من خلال بعض المظاهر الحضارية الفينيقية يتبين لنا بأنهم استطاعوا أن يتأقلموا مع الظروف الجغرافية المحاطة بهم ، بل جعلتهم أكثر حنكة وذكاء وشجاعة لأنهم عرفوا كيف يوزعون أنشطتهم الاقتصادية على كل قطعة أرضية ، خصصوا الزراعة في السهول الساحلية الضيقة وفي المرتفعات على شكل مدرجات للاستفادة أكثر بخصوبتها واستغلال مياه الأمطار التي ربما تقوم بجرف التربة .

أما بالنسبة للتجارة والصناعة فلقد كانت نصيب المدن الساحلية ربما لسبب قربها إلى الموانئ ،التي تتخذ مسؤولية نقل السلع مباشرة إلى حوض غرب البحر الأبيض المتوسط وبفضل التجارة تمكنوا من نشر أبجديتهم في مختلف بقاع العالم القديم سواء في الحوض الشرقي أو في الحوض الغربي .

وبفضل أيضا وساطتهم التجارية مع تجار شبه الجزيرة العربية (اليمن)، ربطوا علاقات بين جهات العالم الأربعة وبدون شك كانوا مؤثرين في أحداث الشرق الأدنى ، لأنّ التجارة بقيت دائما تحت سيطرتهم مهما كانت الظروف السياسية وأحسن دليل على ذلك الوثائق الأشورية التي سبق أن تحدثنا عنها .

أروع ما قام به التجار الفينيقيون هو استكشافهم لأراضي جديدة بعيدة عن ديارهم ، وتأسيسهم لمستوطنات تجارية سهّلت عليهم العملية التجارية باعتبارها أسواقا تروج فيها السلع الشرقية مقابل المواد الخامة التي يتحصلون عليها من أهالي شمال إفريقيا والسواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط (مرسيليا – شبه جزيرة أيبيريا) جزر (قبرص – سردينيا

– كورسيكا...)، بل وصلوا حتى الجزر البريطانية، وهذا مجرد لمحة عن حركة الاستيطان الفينيقية لأنها تشكل جزء من حضارتها.

ولكي نتوسع أكثر في هذا الموضوع يجدر بنا أن نبحث عن أبرز العوامل التي دفعت بالفينيقيين إلى الهجرة نحو أقاليم جديدة ونحاول أن نتبع مسارهم عبر كل المناطق التي استوطنوها وذلك بداية بالحوض الشرقي للمتوسط إلى الحوض الغربي للمتوسط.

II-عوامل التوسع الفينيقي

لقد كانت من وراء حركة الاستيطان الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط مجموعة من العوامل التي كانت سببا في تركهم للساحل الفينيقي بأرض جديدة بعيدة عن كل ما كانت تعيشه المدن الفينيقية، لذلك يجدر بنا دراسة بعض الجوانب المتعلقة بهذا الجزء من الهلال الخصيب والتي تتلخص في العامل جغرافي والعامل الاجتماعي والعامل الاقتصادي والسياسي.

1-العامل الجغرافي

يمتدّ الساحل الفينيقي من خليج الإسكندرونة شمالا حتى صحراء سناء جنوبا، تحدّه من ناحية الشرق سلاسل جبلية من جبل الأمانوس شمالا – وهي جزء من جبل كاسيوس – الجبال أنصارية و جبل فلسطين جنوبا و كلّها متشابهة من الناحية الفيزيائية (1) بدون أن ننسى جبال لبنان بجزأيها الشرقي والغربي .

و إلى الغرب نجد حوض البحر الأبيض المتوسط بجزره المتناثرة والتي كانت العامل الأساسي في ظهور وتطوّر فن الملاحة البحرية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، في الحوض الشرقي للمتوسط خاصة بين الأناضوليين و القبرصيين(2)،ربما هذا ما نشط الفينيقين ليقبلون أكثر على التجارة البحرية حسب "دوسو "التجارة مرت بمرحلتين :

-المرحلة الأولى متعلقة بالتجار الكنعانيين، الذين كانوا يعتمدون تجارة القوافل المنتقلة بين البحر الأبيض المتوسط و البحر الأحمر.

-أما المرحلة الثانية و التي بدأت في الألف الثالثة قبل الميلاد ،أثناء استقرارهم في صيدا – صور –جبيل الواقعة في الجزء الجنوبي من الساحل الفينيقي فاعتمدوا على أخشاب

---

(1)-(E) VAUMAS, « LE Djebel Ansarieh »In : R. G. A, N° 48-2, volume 48, 1960, P268.

(2)(-B.G) PEDRO, « Les Phéniciens : Leurs Prédécesseurs et les étapes de leurs Colonisation on occident »In : C.R.A.I, N° 3, volume 116, 1972, P464.

غابات لبنان في بناء سفنهم التي مكنتهم من الدخول في مغامرات بحرية طويلة،جعلت منهم أسطورة تتغنى بها الشعوب على مرّ التاريخ(1).

ينحصر الساحل الفينيقي بين قارات العالم القديم (أسيا –إفريقيا- أوروبا) وهذه الوضعية الجغرافية جعلت منه مستودع كل السلع التجارية التي تأتيه من مختلف أرجاء المعمورة كما يمثل أيضا حلبة صراع بين عطاء حضارات مختلفة ، و في نفس الوقت كان معرض لغزوات مصرية بابلية –أشورية – حيثية وغيرها من الأمم حيث احتلوها كلها أو جزءا منها.(2)

وبالرغم من الامتداد الطويل للساحل الشرقي للمتوسط الذي يصل إلى حوالي أربعة مئة وأربعين كيلومترا، إلا أنّ التواجد الفينيقي الكبير ينحصر في القطاع الجنوبي للساحل أي من طرابلس إلى حيفا ،و يشرف على هذا القطاع جبال لبنان الغربية التي لا تكاد تترك سهلا ساحليا يذكر بينها وبين البحر في بعض المناطق نجدها تشرف عليه مباشرة.

أما بالنسبة للقطاع الشمالي الذي يمتدّ من خليج الاسكندرونة إلى رأس الخنزيرة رغم اتساع السهل الساحلي، و خصوبة التربة بين جبال الأمانوس و جبل قزل طاغ و ثراء هذا الأخير بغابات الأرز و السنديان لم تذكر الآثار الكتابية إلا القليل من القرى التي كان لها وجود بالمنطقة ،هذا الجزء من الساحل كان حلقة اتّصال بين العالم السامي في الجنوب والعالم الحيثي والإغريقي من الشمال الغربي بفضل الطريق التجاري الذي اتخذ مساره عبر الساحل غربا نحو إقليم كيليكيا ثم أسيا الصغرى و كانت مدينة أسوس مخزنا للسلع الأسيوية. نفس الملاحظة نسجلها بالنسبة للقطاع الأوسط والذي ينحصر بين رأس الخنزيرة شمالا حتى طرابلس جنوبا ،إذ يمكن اعتبار الجزء الشمالي لهذا القطاع

---

(1)-(R) Dussaud « Le Commerce des anciens Phéniciens a la lumière du poème des dieux gracieux et beaux », In : R- S, N°17- 1, volume 17, 1936 ,pp 60 – 59.

(2)- فيليب حتي, (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين),ت جورج حداد ,الجزء الأول,بيروت,1951, 64.

أقدم الأراضي التي عمرت في سوريا ،و تتلخص أهميته في أقدم ميناء كان يجمع بين شمال العراق و البحر الأبيض المتوسط وهو "رأس شمرا" على بعد 12 كلم من اللاذقية والى الجنوب من هذا القطاع نجد مدينة "أرواد " التي بنيت على جزيرة صخرية (1)

ونخلص أنّ هذه الظروف الجغرافية ، أدّت إلى تكوين مجتمع يتجه في نشاطه الاقتصادي نحو الملاحة البحرية،و ساعد هذا الوضع على قيام حضارة ساميّة فينيقية خاصة بهم ، تأثرت بما وراء البحار كما هيّأ لهم أيضا هذا الجزء من الهلال الخصيب ، عنصري السلامة والأمن اللذان كانا من خصوصيات هذا الشعب قبل أن يشرع في تأسيس أية مدينة، لذلك ازدحمت مدنهم وأصبحوا مرغمين على البحث على أراض جديدة.

2-العامل الإجتماعي :

بناءا على المميزات الجغرافية التي طبعت الإقليم الفينيقي، نستنتج أن المدن الفينيقية انحصرت في الشريط الساحلي الضيق بين طرابلس و حيفا وراء جبال لبنان الغربية، التي جعلت منه منطقة منعزلة عن العالم الخارجي.هذه الوضعية كانت من اختيار هذه الشريحة من المجتمع السامي – الكنعانيون الفينيقيون – المحب للسلم والأمن.

لقد أرغمت جغرافية المنطقة الفينيقيين على أن يتبنوا نظام دويلات المدن المبني على مبدأ الاستقلال السياسي ،بعضها عن البعض وكل واحدة منها تهتم بمصالحها الذاتية .وحول كل منها مساحة أرض تكون إمارتها .وهذه كانت عادة صغيرة الحجم لا تزيد عن الأرض اللازمة لإنتاج الغذاء لحاجة السكان .

وهذا ما سبّب الاكتظاظ السكاني الذي أصبحت تعاني منه، سواء بدخول موجات سامية جديدة أو تعرض الساحل الشرقي للمتوسط لدخول أقوام أخرى أمثال شعوب البحر.فهذا الوضع لعب دورا في دخول المجتمع الفينيقي في مغامرات بحرية طويلة للبحث عن

---

(1)- محمد السيد غلاب, المرجع السابق, ص341

أرباح تجعلهم في اتّصال دائم مع شعوب أخرى، خاصة بعدما اكتشفوا قيمة المعادن التي كانت متوفرة في حوض البحر المتوسط.

هذا ما شجع ظهور طبقة الأثرياء، والتي تحولت بمرور الوقت إلى مجالس شيوخ وازدادت هذه الأسر التجارية الكبرى ثراءا وأصبحت تتحكم في كل ميادين الحياة. ولعلها ظاهرة طبيعية في دولة تعتمد في مواردها الرئيسية على التجارة فالطابع التجاري مسيطرا على كل ميادين الحياة(1).

في نفس الوقت خلقت طبقة من الدهماء التي لا تملك شيئا والذين كانوا مدعيات للقلق الاجتماعي والسياسي. هؤلاء لم يجدوا أمامهم سوى الهجرة إلى مناطق وتأسيس أوطان جديدة (2)، كما أصبحت الطبقة العامة بمثابة ثروة، يستعملها الأثرياء كعامل نشيط لإسكان الأراضي الجديدة من جهة والاعتماد عليها كيد عاملة من جهة أخرى.

و حتى عليسه "ديدون"* اعتمدت أثناء سفرها إلى الحوض الغربي للمتوسط على عامة الشعب الذين كانوا أنصارا لها كالبحارة والأجراء –العبيد وغيرهم أبحروا بمراكبهم ووصلوا إلى قبرص التي كادت السيطرة الفينيقية تشملها بكاملها .كما رافقها كبير كهنة الجزيرة و انتهت الرحلة بتأسيس "عليسه "لمدينة جديدة أي "قرت- حدشت"(3).

هذا الوضع يجعل المجتمع الفينيقي يدخل مرحلة جديدة في تاريخه الطويل. ومن هذه النقطة تبدأ حركة الاستكشاف التي تدفع بظهور علاقات تجارية مع مجتمعات جديدة تختلف من الناحية الحضارية عن التي تعاملوا معها من قبل(حضارات الشرق الأدنى.

---

(1) - محمد أبو المحاسن عصفور , المدن الفينيقية , المرجع السابق, ص107

(2)-محمد السيد غلاب, المرجع السابق, ص471

*عليسة ديدون هي ابنة الملك ماتان Matan و أخت بيقماليون ، تزوجت عليسة بخالها عشرباص كبير كهنة ملقرط ، وحسب الأسطورة هي مؤسسة قرطاجة .للمزيد من المعلومات عن

Justin,Histoire Universelle ,op cit,XVIII,19,V

(3)-مادلين هورس ميادان, " تاريخ قرطاج "،المرجع السابق، ,ص ص 38-39.

وبحر إيجه)، والتي تتطور إلى تأسيس محطات تجارية ثم مستوطنات تجمع بين عطاء المجتمع الفينيقي، وكذا ثقافات المجتمعات الجديدة التي احتكت بها في الجانب الأخر من البحر الأبيض المتوسط

وربما النقص الذي كانت تعاني منه تلك الشعوب كان عاملا مساعدا في تأسيسهم للمستوطنات التي تأتي في المرحلة الأخيرة من هذه المغامرة.إن صحّ التعبير، ولا ننسى بأنّ إتقان الفينيقيين للعملية التجارية كان ثمرة جهود سابقة مارسوها عن طريق البر والبحر في ديارهم الأولى، وهم بذالك مطورون لحرفة التجارة التي جعلتهم يعرّفون بها.

3-العامل الاقتصادي:

إنّنا لا نستطيع أن نتحدث عن أمر من الأمور المتعلقة بالفينيقيين من دون أن نشير إلى الموقع الاستراتيجي الذي يحتله الساحل الفينيقي باعتباره همزة وصل بين العالمين الشرقي والغربي من جهة ، وعامل ساعد الفينيقيين على احتراف الملاحة البحرية منذ وقت مبكر من جهة أخرى، خاصة أن الملاحة كانت معروفة لدى شعوب البحر الأبيض المتوسط منذ الألف الثالثة ق م(1).

رغم أنّ الكنعانيين في هذه المرحلة كانوا مستقرين في الأراضي الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر (منطقة اشدود)، إلا أنّهم ليسوا بعيدين عن هذه الشعوب التي كانت طرفا في عمليتهم التجارية . فأثناء نقلهم للسلع التي تأتيهم عبر الطريق الدولي العظيم الذي يبدأ من واد النيل حتى مناجم النحاس والفيروز بسناء وفرع أخر من أراضي البخور في جنوب شبه الجزيرة العربية ومن منطقة سناء يتحوّل الطريق شمالا نحو الساحل الفينيقي(2).

---

(1)(R)Dussaud, (J.G).Février : « LesOriginesdelaMarinePhénicienne ».In : R- S, v17, N1, 19 36, P94.

(2)-فليب حتي , المرجع السابق, ص64

كما انه قد تبين من خلال الأبحاث الأثرية، هناك طريق تجاري هام من فينيقيا إلى قبرص و رودس إلى جزر بحر إيجه، ثم شبه جزيرة اليونان حيث ينتهي في أثينا وكورنت واسبرطة، يدل على ذلك شيوع الأواني القبرصية في رأس شمرة وفلسطين (1).

بدأ الكنعانيون باستغلال الموانئ السورية(صور – صيدا – وجبيل) ابتداء من الألف الثالثة ق م، أين وجدوا أحواضا لبناء سفنهم بالقرب من غابات جبال لبنان (2)،حتى مواقع مدنهم كانت قائمة على رؤوس متوغلة داخل البحر وعلى جزر متقطعة بالقرب من الساحل .فهذا الوضع الجغرافي وفرّ لهم وجود موانئ طبيعية ،جعلت منهم بحارة ماهرين في تاريخ البشرية (3) .

وتؤكد الدلائل التاريخية بأنّ العلاقة بين سوريا ومصر قديمة العهد ولا نستطيع أن نحدد تاريخا دقيقا لها ،فصحراء سناء لم تكن في يوم من الأيام عقبة أو حائلا يمنع السفر أو الانتقال، وهذا ما جعل الطرفين المصري والفينيقي على علاقات دائمة تميزت بإستراد مورد خشب الأرز الذي جلب من تلك الأراضي .(4).

و لقد ازدهرت التجارة الفينيقية بفضل تحكمهم في أكبر مورد اقتصادي ألا وهو أخشاب لبنان ،التي كانت مطلوبة من طرف الشعوب المصنعة في أغراض مختلفة، وكانت أول العلاقات التجارية بين الساحل الفينيقي ومصر والعراق مرتبطة بمورد الخشب. ونتيجة الطلب الكبير على هذه المادة أصبح الفينيقيون يقطعونها ويوفرونها من أماكن أخرى مثل سواحل البحر الأسود وجبال طوروس والقوقاز.

هذه العملية تتطلب يد عاملة ووقت.لهذا قاموا بتأسيس محطات تجارية، وبمرور الوقت تطوّرت إلى مستوطنات أبرز ها في السواحل الجنوبية لأسيا الصغرى "تارس أرتارسوس

---

(1)-محمد السيد غلاب, المرجع السابق, ص416.

(2)-(R) Dussaud : « Le commerce des Anciens Phéniciens », op cit, P60

(3)- محمد الصغير غانم, المرجع السابق, ص ص 45 -46

.(4) - احمد فخري, دراسات في تاريخ الشرق القديم ،المرجع السابق , ص ص 61 – 62

و إلى الغرب ،منها اختار الفينيقيون مرفأين ليكونا محطتين لأساطيلهم التجارية في طريقها إلى جزر بحر ايجه (1)

يتعرض الجانب السوري لذبذبات الأمطار، وما يتلو ذلك من مجاعات بسبب نقص محصول القمح،و في مثل هذه الظروف هذا الوضع دفع بالفينيقيين إلى تأسيس مستعمرات زراعية بالدرجة الأولى في شبه جزيرة أيبيريا شمال منطقة " أبسوس ".و بعدما كانت مصدر منتجات زراعية في العهد الفينيقي، تطورت بعد ذلك في العهد القرطاجي إلى ورشات لتحويل تلك المواد الفلاحية. و هذا دليل على ضخامة الإنتاج الذي تزخر به المنطقة.(2) .

وقد لعب التاجر الفينيقي دورا مهما في ترويج السلع في المناطق المكتشفة ، ومن أهم هذه السلع زيت الزيتون الذي كان يستعمل لأغراض متشعبة منها، صناعة منتجات تجميلية وروجّها الفينيقيون إلى المناطق المكتشفة خاصة الحوض الغربي للمتوسط وكان لدور الوساطة التجارية التي كان يلعبها هؤلاء التجار دخل في معرفتهم كيف يطوّرون حرفا كثيفة الصادرات كصناعة الزجاج و النسيج وتصنيع المعادن المختلفة العامة من مواد خام مستوردة رخيصة الثمن. و فهموا كيف يكيّفون أنفسهم ببراعة بمتطلبات السوق على غرار ما يفعله عادة المنتج هو في الوقت نفسه تاجر.

فلم يتخصصوا في إنتاج سلع ذات نوعية مرتفعة الأثمان وحسب، بل قدّموا كذلك عرضا سلعيا متنوعا يغطي حاجيات عامة الناس. كما أنتجوا سلعا رخيصة جدا يرجح أنّها قامت على المحاكاة والتقليد، قاموا ببيعها إلى جانب الأقمشة الأرجوانية النفيسة(3).

---

(1) – محمد السيد غلاب,الساحل الفينيقي وظهيره، المرجع السابق, ص ص 428 -475

(2)-(R) Mallart « Phéniciens et Carthaginois en Péninsule Ibérique »In : D. H.A, N22, V22, 1996, PP312-315.

(3)-كارلهاينر برنهردت ،"لبنان القديم" ت :ميشيل كيلو,دمشق،سوريا,1999, قدموس للنشر والتوزيع ,ص ص76-122 .

بدأ الفينيقيون (الصوريون) يستقرون في نقاط مختلفة من حوض البحر الأبيض المتوسط، سواء الشرقي أو الغربي في أواخر القرن الثاني عشر، ليضمنوا لتجارتهم منافذ جديدة .و بفضل دأبهم وذكائهم وحسن معرفتهم للطرق التجارية. بالإضافة إلى استقامتهم في التعامل التجاري، تمكنوا من الصمود في وجه المخاطر، وأن يوفروا لتجارتهم أسواق بعيدة والتي حسدوا عليها، فلم يبلغها أحد سواهم (1).

برع الفينيقيون في صناعة المعادن، وفي مزج الحديد بغيره من المعادن هذا ما تطلب منهم البحث عن المواد الخامة.و حسب بلين أول نشاط تعديني لهم كان في جزيرة قبرص أين اشتغلوا باستخراج النحاس في السلسلة الجبلية الجنوبية بالقرب من "تاما سوس" و"صولي"(2).

بحكم قرب جزيرة قبرص من الساحل الفينيقي فهي منذ تاريخ مبكر، تعتبر جزء من الساحل ومكملة له باعتبارها مركز تجاري ساهم في نقل السلع الكريتية إلى أوجاريت (رأس شمرا) ،وابتداء من النصف الثاني من الألف الثانية ق م قبرص محطة تجارية عالمية و تعتبر من أقدم المناطق التي استوطنها الفينيقيون وذلك في حدود القرن التاسع ق م مستوطنوا" كيتيون "التي سوف نتحدث عنها فيما بعد (3).

4-العامل السياسي

لقد كان الجزء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط دوما معرضا للتأثيرات الخارجية وهذا من دون شك راجع إلى موقعه الجغرافي الذي يتوسط قارات العالم القديم (أسيا – إفريقيا- أوروبا).بالتالي هو الجسر الذي تقصده معظم الشعوب عبر المراحل التاريخية الطويلة ، هذا الوضع جعل من الساحل الفينيقي يستقطب تجمعات سكانية متنوعة كان لها الدور في البناء الحضاري لهذه المنطقة .

---

(1)- مادلين هورس ميادن , المرجع السابق , ص 36

(2)-Pline L’ancien, op cit, 34,2 .

(3)-(E) Raptou,(L)Loukopoulou «Mobilité et Migration dans le chypre antique» In : T . M .O M ,1994.pp53-60

فإذا ما عدنا إلى الألف الثانية ق م، مرحلة الحضارة المنوية المتوسطة *نجد بأنّ منطقة اوجاريت(رأس شمرا) ،كانت تحت التأثير الإيجي ،وهي محطة تجارية بحرية ترتكزعليها كل التجارة الإيجية وحتى البحرية ،في هذه المرحلة كانت بيد القبرصيين . أما بالنسبة لجبيل (بيبلوس)فكانت محمية مصرية (1) باعتبارها المورد الوحيد الذي كان يموّن المصريين بمادة الخشب التي يستعملونها في أغراضهم المختلفة.

نستنتج مما سبق بأنّ الساحل الفينيقي في هذه الحقبة التاريخية ينقسم إلى منطقتين حضاريتين متباينتين، شمالية ذات تأثير إيجي و جنوبية ذات التأثير المصري . وإن دلّ هذا الوضع على شيء فإنّه يدل على عدم وجود وحدة سياسية ،أو بتعبير أخر لا توجد تجمعات سكانية محلية بأتم معنى الكلمة .وإنما هذا الشريط الساحلي الضيق ما هو إلاّ منطقة عبور فقط ،بسبب جغرافية المنطقة التي لا تسمح بتكوين وحدة سياسية تتصدى لكل الأخطار الخارجية. فالساحل الفينيقي نعمة ونقمة في نفس الوقت.

أما بالنسبة للكنعانيين **فهم في هذه الفترة أي في بداية الألف الثانية ق م فقد كانوا عبارة عن تجار قوافل ينتقلون بين سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر أي منطقة (أشدود) كوسطاء تجاريين للسلع، التي قد تأتيهم عبر الطريق الدولي الكبير من واد النيل وأراضي البخور بشبه الجزيرة العربية (2). ابتداء من القرن التاسع عشر ق م حوالي 1800ق م استقروا في كل من (صيدا – صور – أرواد) كما شيّدوا الحضارة الزراعية (3).

---

*تعرف أيضا باسم الحضارة الإيجية والكريتية يؤرخ لها فيما بين(2600-1100ق م)ن وتنقسم إلى ثلاثة مراحل مختلفة (المنوية المبكرة – المنوية الوسطى – المتأخرة)

(1)-محمد السيد غلاب ،المرجع السابق ،ص229.

(2)-(J-G)Février « Les Origines de la Marine Phénicienne »,op cit P 94.

**اعتمادنا على تسمية الكنعانيين في هذه المرحلة من تواجدهم بالشرق الأدنى القديم ليس تمييزا بينها وبين تسمية" الفينيقيين " وإنما هما مترادفتان في المعنى ،أما بالنسبة للفرق الموجود بينهما هو أنّ تسمية الفينيقين" لها علاقة باستقرارهم بالساحل الفينيقي ، الذي كان يحمل هذه التسمية قبل ظهورهم بالمنطقة .

(3)- فليب حتي ،المرجع السابق،ص64.

فهم بذلك يمثلون حقبة جديدة في التاريخ الحضاري والسياسي للساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، و يمثلون أول حضارة مستقرة في الساحل الفينيقي.

لو أخذنا مثلا الجانب المصري، فإنه يتعذر علينا تحديد تاريخ بداية الاتصالات بين سكان واد النيل وجيرانهم في سوريا فهناك نقوش كثيرة كدليل على قدم الاتصالات بين الطرفين ،ونجد في واد المغارة في سناء رسومات تمثل بعض ملوك الدولة القديمة أمثال(زوسر – سنفرو – خوفو) يؤدبون بدو تلك المنطقة بسبب إزعاجهم للبعثات المصرية التي تقوم بتعدين النحاس وغيره من خامات المعادن وحجر الفيروز (1).

ثم تضاعفت الآثار التي تبين الحملات العسكرية التي كان يقودها فراعنة مصر، خاصة في القرنين الثامن عشر و السابع عشر ق م، ولكن يجمع علماء الآثار بأنه لا يوجد أدلة تثبت احتمال حدوث احتلال عسكري مصري على سوريا أو أية سيطرة سياسية مباشرة على شؤونها الداخلية .

ارتبط الساحل الفينيقي بالحياة السياسية للدولة المصرية، حيث نجد العلاقات المصرية السورية تتغير بعد طرد الهيكسوس، منذ ذلك الحين أصبح الفراعنة أكثر حرصا على الحدود المصرية من أي هجوم أجنبي، و تعتبر تحركات تحو تمس الثالث الأساس في بناء الإمبراطورية المصرية (2) .

بعد وفاة تحو تمس الثالث ظل نفوذ مصر قويا في فينيقيا في عهد امنو حوتب الثاني وحفيده تحو تمس الرابع و لم تضعف هذه النفوذ إلاّ في عهد امنوحوتب الرابع (اخناتون) (1371-1358) لأنه انشغل بالأمور الدينية ،و دخلت الدويلات السورية في صراعات داخلية حيث شغلت المراسلات المتبادلة مع ملوك الدويلات المصرية حيزا كبيرا من رسائل تل العمارنة تعكس لنا الوضع السياسي في فلسطين والساحل الفينيقي. ولعل أكثر

---

(1)-احمد فخري, المرجع السابق, ص 62.

(2)- عبد القادر الخليل عبد المنعم,علاقات مصر بشرق البحر الأبيض المتوسط حتى نهاية الدولة الحديثة ,القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1981,ص ص 190- 191

الرسائل تمثيلا رسالة " رب عدي " ملك مدينة جبيل يشكو إلى الفرعون تعديات " عازيرو " ملك أمورو(1).

تدهورت الأوضاع السياسية أكثر في القرن الرابع عشرق م ،خاصة بعدما عقد الحيثيون معاهدة م مع ملك امورو، أين دخل هذا الأخير تحت الحماية الحيثية مقابل جزية سنوية ،و هذا ما يدل على تفاقم الأوضاع أكثر بين المدن السورية من جهة و الدولة المصرية من جهة أخرى، ودخول قوة سياسية جديدة إلى الأراضي السورية ،هي الدولة الحيثية التي توسعت في عهد ملكها شوبيلوليوما (1380- 1350)من مدينة اوجاريت شمالا حتى جبيل جنوبا .

وقد بقي الساحل الفينيقي مسرحا للصراع بين الحيثيين والمصريين، اصطدم الطرفين في معركة "قادش "حوالي 1296ق م ،انتهى الأمر بعقد معاهدة التصالح بينهما في حدود 1280ق م، وانقسم الساحل الفينيقي إلى جزء شمالي تحت السيطرة الحيثية وجزء جنوبي تحت السيطرة المصرية (2).

إلا أنّ هذا الوضع لم يدم طويلا بسبب غزوات شعوب البحر التي اجتاحت المنطقة في حدود القرن الثالث عشر ق م. والتي أخذت طريقها من جزر بحر ايجه مرورا على قبرص ودخلوا في صراع ضد الملك الحيثي "شوبيلوليومII ، وصلوا حتى الساحل الفينيقي ودمّروا أوجاريت وبيبلوس وكل المدن الفينيقية كما تقدموا برا وبحرا ،حتى الحدود المصرية والبعض منهم استقر في الجنوب الفينيقي مثل قبيلتي " الزكارا" و " الفليستن " .

لم تستطع المدن الفينيقية في القرن الحادي عشر إقامة مستوطنات في حوض البحر الأبيض المتوسط بسبب انعدام الأمن فيه على غرار هجومات قراصنة وتعتبر رحلة "وان

---

(1)- فراس السواح ، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ،دمشق،منشورات دار علاء الدين ،1999،ص 56-59.

(2)- عبد القادر الخليل عبد المنعم،المرجع السابق ،ص ص 223-224.

أمون" 1100 ق م المبعوث المصري إلى جبيل اكبر دليل على الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها المدن الفينيقية في تلك الفترة (1) .

استرجعت المدن الفينيقية أنفاسها من هجومات شعوب البحر، وفي نفس الوقت من قبضة المصريين و الحيثيين واستطاعت بعض مدن الممالك الفينيقية، أن تستعيد أنفاسها وتزدهر بسرعة فائقة ، ومن ضمن المدن المزدهرة كانت مدينة "صور"و" صيدا"و "جبيل ".

لم تقتصر العوامل السياسية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسع في البحر المتوسط على الصراع المصري والحيثي أو مجئ غزوة شعوب البحر المدمرة ،بل كانت فينيقيا أيضا تعاني من جيرانها في الداخل كالأشوريين والآراميين والعبرانيين والفلسطينيين . بدأ نفوذ الدولة الأشورية يظهر في المنطقة بعد القضاء على الدولة الحيثية التي كانت تحول دون توسعهم نحو الغرب(2).

تعرض الساحل الفينيقي لغرات تأتيه من المدّ الأشوري. ولقد جاء في الوثائق الخاصة بفترة حكم كل من : تجلات فلاسر الأول (1115-1077ق م) ،وأشور بال قال (1074-1057 ق م) ,ادد نيراري الثاني (911-891 ق م) بأنهم تأثروا بالساحل الفينيقي و البحرالأبيض .

و يعتبر حكم أشور ناصر بعل الثاني (883 – 859 ق م) منعطف حاسم في تاريخ التواجد الأشوري بالساحل الفينيقي بسبب القساوة التي كانت تتميز بها الغارات الأشورية المتكررة ،واعتبرت هذه المنطقة لأول مرة في التاريخ الأشوري الحّد الغربي للإمبراطورية الأشورية. وخضعت كل المدن الفينيقية لسلطا نهم .(3)

---

(1)-(P-B) Gimpera, «Les Phéniciens « leurs prédécesseurs et les étapes de leurs colonisation en occident » In : C.R.A.I,N3 ,1972,PP464-467.

(2)- نجيب ميخائيل ابراهيم ،مصر والشرق الأدنى القديم ، ج3،الطبعة الثالثة ،القاهرة،دار المعارف ،1966،ص 119

(3)-(J) Elayi, « Les cites Phéniciennes entre liberté et sujétion »In : D.H. A, N2, V16, 1990, PP96-97.

وهذا ما جعل المدن الفينيقية تتحالف لمواجهة شلمنصرت الثالث (858-824) في معركة" قرقر" في حماه على نهر العاصي ورغم هزيمة "حلف قرقر"، فإنّ الساحل الفينيقي لم يسلم القيادة بسهولة للأشوريين، وكان على شلمنصرت الثالث أن يعود مرارا إلى المنطقة لإعادة فرض السيطرة الأشورية . (1)

المضايقات لم تنته، بل استمرت خاصة في عهد تجلات فلأسر الثالث 744-727 ق م ،الذي أعاد للدولة الأشورية مجدها ،حيث أصبحت السيطرة على هذه الأقطار أكثر دقة وتنظيما .(2)

زوال الممالك الكنعانية القديمة مثل قطنا – قادش جعل الساحل الفينيقي يتعرض لمضايقات من طرف الممالك الآرامية الحديثة مثل مملكة بيت عديني – حماه – دمشق والتي تعتبر حاجزا للسلع الشرقية التي كانت تصل إلى المدن الفينيقية بسبب سيطرة هؤلاء على الطرق التجاريّة البريّة(3) .

و بسبب كل هذه المضايقات التي سبق وأن تحدثنا عنها أصبح الساحل الفينيقي عامل مشترك بين كل النزاعات التي كانت تحدث في هذا الجزء من الهلال الخصيب.وهذا ما دفع بهؤلاء للهجرة إلى ما وراء البحار للبحث عن مواد أولية يتاجرون بها في الأسواق الشرقية.ونظرا لارتيادهم الدائم إلى حوضي البحر الأبيض المتوسط(الشرقي والغربي)، واستغراقهم مدة زمنية في الإبحار كان يتطلب عليهم إنشاء محطات تجارية تطورت فيما بعد إلى مستوطنات دائمة .

---

(1)-فراس السواح ،المرجع السابق ،ص ص 93-101.

(2) -(J) Elayi, op cit, PP 99-100.

(3)-فراس السواح المرجع السابق ص 92.

III-البحرية الفينيقية

تعتبر الملاحة من أقدم الوسائل التي اعتمد عليها الإنسان من أجل الوصول إلى أراض جديدة لغرض استغلالها أحيانا، أو للاستقرار فيها أحيانا أخرى. و الطريق البحري هو الذي مهد لعلاقات قويّة بين شعوب كانت متباعدة جغرافيا وحضاريا ، حيث جعل منها كتلة واحدة نشأت من انصهار حضارة ،أو عدة حضارات ليظهر إلى الوجود مجتمع من أفراد ذي أصول متباعدة تجمع بينهم فروع نمت وترعرعت في بيئة جديدة.

1- نشأتها :

اعتمد إنسان البحر الأبيض المتوسط على الملاحة البحرية منذ العصر النيوليتي بعد اكتشافه لجزر الحوض الشرقي ،خاصة صقلية وكريت (1)، التي استعملها كمحطات يلجأ إليها في حالة ما إذا كانت الظروف الطبيعية قاسية،أولغرض المقايضة مع شعوب المناطق الجديدة .إضافة إلى ذلك فالملاحة البدائية كانت وسائلها بسيطة ولهذا لا يغامر البحار القديم بروحه، بل هو بحاجة ماسة لليابس من حين لأخر. و بالتالي فالملاحة كانت معروفة منذ القدم لدى شعوب البحر الأبيض المتوسط .

و في الألف الثالثة ق م ،كان ينحصر الوجود الكنعاني في المنطقة الجنوبية بفلسطين، أين كانوا يعيشون على شكل شبه رحل، يهتمون بالتجارة البرية بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، أما بالنسبة للتجارة البحرية في هذه الفترة كانت بأيدي القبرصيين ،ويؤكد هذا وجود الفخار القبرصي حاضرا في مواقع أثرية بأريحا (2).

وبعد أن استعاد الكنعانيون الموانئ الفينيقية في نهاية الألف الثالثة ق م ،حيث وجدوا أحواض طبيعية وثروة خشبية استغلوها في بناء السفن . كانت رحلاتهم الأولى عبارة عن الانتقال بين الموانئ السورية ،هذا السفر جنوب شمال جعلهم يكتشفون مهمة النجم القطبي

---

(1)- (R) Dussaud « Le Commerce des anciens Phéniciens », op cit, 60

(2)-(J.G) Février « Les origines de la marine Phénicienne », op cit, P 94

الذي كان يساعدهم على معرفة الاتجاه الصحيح، و أهمية هذا النجم والسبق الفينيقي في اكتشافه جعل قدماء الإغريق يطلقون عليه اسم" النجم الفينيقي"(1).

استطاع الفينيقيون، أن يجعلوا من أنفسهم أسياد البحار. وحسب سترابون* البحرية هي اختصاص الفينيقيين على حساب كل الشعوب البحرية المعروفة كما كانوا محبين ومحترمين لهذه المهنة، وجعلوا من سفنهم منازل بكل تجهيزاتها (2)

2– طبيعة السفن الفينيقية

نلاحظ من خلال السفن الفينيقية الأولى بأنّ هناك تأثير قبرصي على البحرية الفينيقية ،ولكن حسب" فيفري " الأصل يبقى دائما غير معروف(3) وهذا الأمر لا غرابة فيه لأن في هذه المرحلة كانت التجارة البحرية بأيدي شعوب البحر الذين كانوا مستقرين في جزر صقلية – قبرص – سردينيا - و تشهد على ذلك أثارهم الباقية في كريت – فلسطين – ومنها "بقايا الفخار المينوي"(4) .

نميّز في الأسطول الفينيقي نمطين من السفن، هناك سفن تجارية وهناك سفن حربية ولكن ما يهمنا أكثر في موضوع بحثنا هو النوع الأول، والتي كانت تأخذ شكل مستدير تظهر بمقدمة ومؤخرة مرتفعتين وشكل المقدمة غالبا ما يشبه عنق ورأس الطير.ينظر الصورة رقم (2)

تقدمت السفن التجارية أكثر خاصة ،بعدما أصبحت تتوغل في البحار والمحيطات فزود الفينيقيون سفنهم بالمجاديف لتمكنهم الدخول إلى الموانئ أو للخروج منها ويشترط في السفن التجارية الفينيقية سعتها الكبيرة لحمل الكثير من السلع، نجد العديد من النماذج

---

(1)- (R) Dussaud « le commerce des anciens Phéniciens », op cit, P60.

*Strabon, op cit, 16,2-24.

(2)-(V) Bérard, « La méditerranée Phénicienne »In : A. G, N16, T4, 1895, P272.

(3)-(J . G) Février « Les origines de la marine Phénicienne », Op Cit, P93.

(4)-(P- B) Guimpera « les phéniciens : leurs prédécesseurs », Op Cit, P465



الصورة رقم(2): سفن تجارية وحربية فينيقية

منقوشة على جدران قصر " خرسباد "، الذي بني في عهد" سرجون الثاني" ملك أشور في القرن الثامن ق م.

أما في مصر فيرجع أقدم رسم لسفينة فينيقية في منطقة طيبة إلى القرن الخامس عشر ق م(1). وكان الرسم يمثل شكل سفينة مستديرة طرفها الأمامي والخلفي مرفوعان ارتفاعا عموديا وفي مقدمتها يقف بحار يمسك بيده عصا طويلة يجس بها الأعماق وهناك سفينة شراعية فينيقية عثر عليها الأثريون سنة 1914، مرسومة على جانب إحدى التوابيت في مدينة صيدا ،سفينة ذات شكل مستدير، مؤخرتها مرتفعة على شكل رقبة طير البجع ومقدمتها تنتهي بسقيفة حارس، ولها قلع كبير وربع محمول على صاري مركز تدفع بواسطته السفينة وفي المقدمة صاري صغير به قلع يستعان به على تحريك الدفة وتوجه السفينة (2) .

لم تكن السفن الفينيقية كبيرة الأحجام في عصر ما قبل فارس ولم تكن حمولة ،أي منها تتخطى المئتين والخمسين طنا وربما تقيد صناع السفن بتلك الأحجام المتواضعة بسبب صعوبة بناء السفن التي يزيد طولها على خمسين مترا ، فالمرافئ التي كانت تصنع فيها السفن التجارية خلال الشتاء صغيرة ،و محدودة لم تتجاوز مساحة مرفأ جبيل الداخلي المحمي بتحصينات ،وبمكسر الأمواج هكتار مربعا ونصف الهكتار ،وتشير الدلائل بأنّ الملك أحيرا م الأول حمى خليج مرفأ صور الشمالي من العواصف الشتوية ببناء كاسر أمواج هائل ،بلغ طوله مئتين وخمسة وعشرين مترا في حين حمى المرفأ الجنوبي الطولاني التكوين مكسرا طوله سبعمائة وخمسون مترا .(3)

هذا الدليل لا يجعلنا نفهم بأنّ الفينيقيين لا يعرفون الملاحة البحرية، وإنّما ربما كانوا تحت ضغط شعوب البحر، إذن لم يكن باستطاعتهم الإبحار خاصة إذا ما عدنا إلى تاريخ

---

(1)-محمد الصغير غانم ،المرجع السابق ،ص55.

(2)-فليب حتي ،تاريخ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ،ج1،المرجع السابق ،ص150

(3)-كارل هاينز بر نهردت ،المرجع السابق ،ص 126.

التجارة البحرية في هذه المرحلة، التي كانت تحت سيطرة هؤلاء .وفيما يخص تقليد الفينيقيون للسفن القبرصية الأولى، هو دليل على عدم معرفتهم لهذا النوع الضخم من السفن،بتعبير أخر كانوا متعودين على قوارب صغيرة للتنقل بين شاطئي البحر الأحمر(الشرقي و الغربي) وفقر ديارهم الأولى لمورد الخشب الذي كان أساس بناء السفن.

وهم بذلك باستقرارهم في جبيل - صيدا – صور في نهاية الألف الثالث ق م، كان فرصة لإظهار مواهبهم فيما يخص ميدان الملاحة البحرية بقربهم ، و سيطرتهم على أهم" الموارد الخشبية"، التي كانت ترتكز عليه كل حضارات العالم القديم .ومن جهة أخرى استطاعوا أن يدخلوا في مغامرات بحرية طويلة في تاريخ البشرية .وإلاّ كيف نفسر كل هذه الشجاعة والذكاء في الميدان الملاحي ؟ .

3- أهمية حوض البحر الابيض المتوسط

ترجع أهمية البحر الأبيض المتوسط إلى ثلاثة معطيات والتي تتلخص في الجزر وتنوع الموارد.

يعتبر حوض البحر الأبيض المتوسط أكبر وأهم الأحواض الداخلية في العالم، إذ يقع في قلب العالم القديم ممتدا بين إفريقيا جنوبا و أوروبا شمالا وأسيا شرقا (1). لم يشكل يوما ما عائقا أمام الشعوب التي تقطن الأقطار المحاطة به ،بل بالعكس كان الوسيلة التي اتخذها الإنسان من اجل قضاء حاجاته المتنوعة والوصول إلى مناطق بعيدة ،أصبحت بفضله بمرور الوقت قريبة.

كما سبق وأن أشرنا بأن الملاحة البحرية، كانت معروفة لدى شعوب البحر الأبيض المتوسط منذ الألف الثالثة ق م"، وذلك بفضل أهمية الجزر التي يتمتع بها كل من الحوض الشرقي والغربي في تنظيم الرحلات البحرية باعتبارها محطات طبيعية، يعتمد

---

(1)- محمد إبراهيم حسن , القرن الإفريقي وحوض البحر الأحمر "دراسة مقارنة للمظاهر الطبيعية والبشرية والإقليمية" , الإسكندرية ,2001 ص 11

عليها للرسو في الليل أو الاستراحة من عناء السفر الطويل ،كما كانت أيضا ملجأ أثناء غضب الطبيعة.

يمكننا أن نقسم جزر البحر الأبيض المتوسط إلى ثلاثة مجموعات، أولا مجموعة الغرب تشتمل على جزر البليار – كورسيكا – سردينيا – صقلية ،أما مجموعة الشرق المتوسط تشمل على جزيرتي كريت – وقبرص .،أما المجموعة الثالثة فتمثل أرخبيل بحر ايجه - وجزر مالطا التي تعتبر همزة وصل بين العالمين الشرقي والغربي. (1)

وكانت مجموعة الجزر الشرقية أول جزر عرفت، ودخلت ميدان الملاحة البحرية وربما يرجع هذا لقصر المسافة التي تفصل بين جزيرة وأخرى وفي نفس الوقت قربها إلى مراكز الحضارات القديمة.

لقد كان استعمار قبرص من طرف الفينيقيين أمرا قديما جدا كونها أقرب إلى الساحل الشرقي للمتوسط، كما أن مرتفعاتها تغطيها غابات ،وهي أيضا موطن قديم للمعادن ،أهمها النحاس - الذهب – الفضة. بالإضافة إلى ثرائها في ميدان المنتجات الزراعية ، من القمح النبيذ و زيت الزيتون (2) .

ويرجع بعض المؤرخين، ومنهم إبراهيم حسن "العرب "فرع من فروع جنس البحر الأبيض المتوسط الذي كان يسود جنوب أوروبا والحوضين الشرقي والغربي. حيث تشكلت أوصافه الجسدية بتأثير طبيعة هذه المنطقة.

و لقد امتد هذا الجنس إلى نطاق بشري واسع يضّم كل جنوب أسيا ،ولم تفصله عن الدماء المغولية الأسيوية إلا سلسلة جبال الهمالايا. كما اختلطت الدماء العربية في الأطراف الجنوبية بالدماء الزنجية في الحبشة والسودان .(3)

---

(1)- المرجع السابق, ص 19

(2)-(Y.M) Maurice, « Une inscription Phénicienne Royale de Kition, Chypre » In : N4, C.R.A.I V135, 1991, P473

(3)- محمد إبراهيم حسن ,المرجع السابق, ص 12 .

ومن جهة أخرى يمتاز حوض البحر الأبيض المتوسط*بالتباين في المظاهر الطبيعية التضاريسية والمناخية والنباتية وتنوع التربة ،مما أدى إلى خلق أنماط متنوعة من الإنتاج الاقتصادي .و هذا ما يشجع عملية التبادل الاقتصادي بين المناطق المتوسطية فالثروة المعدنية تنعدم في الشرق المتوسطي ،ولكن نجدها متوفرة في المغرب الأطلسي ومصر (الحديد والرصاص) وخام الحديد في الجنوب الأوروبي .(1)

كما نجد معدن النحاس متوفرا في جزيرة قبرص بفضل قدم تقنيات التعدين في هذه الجزيرة.وقد جعلها هذا الأمر تربط علاقات قديمة مع مصر و الأناضول، و ابتداءا من النصف الثاني من الألف الثانية ق م، أصبحت قبرص ذات علاقات أيضا مع الساحل الفينيقي ،وهي بذلك محطة تجارية عالمية خاصة بعدما تأسست مستوطنة كيتيون وسلاميس من طرف الفينيقيين .(2)

وفي الوقت الذي نجد فيه أراضي حوض البحر الأبيض المتوسط تختلف من حيث المظاهر الطبيعية عامة، نجد البعض منها ذات تشابه بالغ ،وعلى سبيل المثال نجد المناخ شبه الجاف ينتشر في المناطق الداخلية من الهضبة المراكشية وهضبة الشطوط بالمغرب الأطلسي وكذلك هضبة الأناضول وسوريا والعراق وفلسطين(3).

هذه العوامل شجعت الفينيقيين الذين وجدوا من الساحل التونسي والشمال الإفريقي إلى الغرب بيئة تشبه بيئتهم، وسهلت عليهم عملية الاستيطان مع شعوب هذه المناطق .

"البحر البيض المتوسط مقفل يكاد يكون بحيرة داخلية ولا يرتفع فيه المد أكثر من قدم واحد إلا عند أطراف الخلجان الطويلة ومن ثم كان البحر خاليا تماما من تيارات المد التي كانت مصدر رعب للبحارة الأولين ويمتاز فوق ذلك بظروف مناخية ملائمة تماما للملاحة البدائية ولاسيما في الجزء الشرقي من البحر. محمد السيد غلاب, المرجع السابق , ص 38

(1)- محمد إبراهيم حسن , المرجع السابق ص 33

(2)-(E) Raptou, (L) Lounkopoulou « Mobilité et migration dans la chypre antique », op cit, P54-60.

(3)-محمد إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص21.

IV-حركة الاستيطان الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط

1- الاستيطان الفينيقي في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط

كانت رغبة الاستعمار الفينيقي تتمثل فيما يلي : التجارة والبحث عن مناجم جديدة للمعادن و أوطان جديدة لم تستغل تجاريا من ناحية، و فتح أسواق جديدة لتصريف السلع والمنتجات الصناعية من ناحية أخرى، ليس معنى هذا أنهم كانوا مضطرين للهجرة والاستعمار في كل حركة من حركات انبعاثهم نحو الخارج، فقد كان هناك عامل التجارة الذي دفعهم إلى الخروج قبل أن يزدحم بهم وطنهم ولاسيما في الحوض الشرقي للمتوسط (1).

والحقيقة فإنّ نزول شعوب البحر(الهند وأوربيين) إلى الساحل الشرقي للمتوسط كان العامل الذي ساعد البحرية الفينيقية على التطور وذلك لأن الفينيقيين تعرفوا لأول مرة وأخذوا على شعوب البحر تقنيات التعدين مكنهم هذا الدور و شجعهم على أخذ مكانة المدن الميكينية التي كانت مسيطرة على الملاحة البحرية(2)، كما ترك لهم فرصة الاستكشاف والارتياد ثم الاستقرار في المناطق التي تخدم مصالحهم الاقتصادية.

تعيدنا النقوش واللقى الأثرية التي تشير إلى وجود المؤسسات الفينيقية في شواطئ أجنبية إلى القرن الثاني عشرق م ،أما قبل ذلك كانت ،التجارة البحرية في يد المدن الميكينية التي انهارت سيطرتها في نهاية القرن الثالث عشر ق م ،وبعد ذلك أصبحت تجارة البحر المتوسط بأيدي شعوب البحر الذين كانوا مستقرين في جزر الحوض الشرقي مثل صقلية وسردينيا. و ابتداءا من القرن الحادي عشر بدأ الفينيقيون يسترجعون أنفاسهم من الاضطرابات التي سببتها شعوب البحر في الحوض الشرقي عامة وفي الساحل الفينيقي خاصة و بدأوا في هجراتهم أولها مستوطنة " كيتيون" في جزيرة قبرص.(3)

---

(1)- غلاب,المرجع السابق, ص ص 471-472

(2)-.كارل ينزبر نهردت:" لبنان القديم, المرجع السابق ،ص 100

(3)-(P- B) Gimpera « les phéniciens : leurs prédécesseurs », op cit, P 466

لقد أسس الفينيقيون مراكز تجارية دائمة لاستقبال وإيواء الحرفيين الفينيقيين وتطوير خدمة الزبائن وتقديم الحماية والتموين للتجارة وطواقم السفن ، وقد تباينت هذه المراكز في أهميتها وطابعها ، إذ كانت مهمتها العامة القيام بوظائف مكاتب تجارية يمكن أن يتشكل حولها بمرور الوقت حي فينيقي خاص ،أقيمت كذلك مؤسسات تجارية فينيقية على الشواطئ غير مستغلة في أماكن الرسو الدوري للسفن، ولقد تطورت المناطق الغنية بالموارد الأولية إلى مدن شكّل الفينيقيين قسما من سكانها وشريحتها العليا.(1)

تأسست أول مستعمراتهم في ساحل قبرص وسواحل أسيا الصغرى الجنوبية ،وهي سواحل كيليكيا وبانثيليا وليكيا وكاريا، وتمتد وراء هذه الأخيرة جزر بحر ايجة وجزر السيكليد والسبوراد ولكن من الصعب تعيين المستوطنات الفينيقية في جزر بحر ايجة ،لأنّ كل المعلومات المتعلقة بها مبنية على أسس أسطورية مثل أخبار كاد موس وغيره الذين أدخلوا الكتابة وفنون الزراعة و الحضارة إلى بلاد اليونان القديمة ،وحسب ما تروي أساطيرهم تشير بلا شك إلى حدوث استعمار فينيقي سابق للإغريق في بلاد اليونان(2).
وسوف نحاول أن نذكر بعض المستوطنات مرتبة حسب الأهمية (كيتيوم –سلا ميس-أمافوستا).ينظر الخريطة رقم (2).

أ-جزيرة قبرص

لقد كان الاستعمار الفينيقي لجزيرة قبرص أمرا قديما جدا كون هذه الأخيرة قريبة من الساحل الفينيقي،وهذه الجزيرة تكتنفها سلسلتان جبليتان تعتبران امتدادا لجبال الأمانوس و كاسيوس على الساحل السوري ،وكانت مرتفعات قبرص تغطيها الغابات، كما أنها موطن قديم للمعادن، أهمها النحاس والذهب والفضة إلى جانب منتجاتها الزراعية من القمح والنبيذ وزيت الزيتون (3).

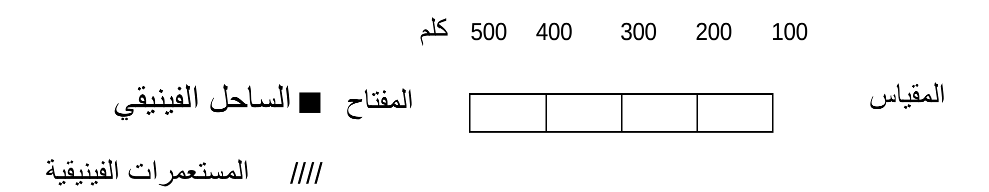
---

(1)- كارل ينزبر نهردت, المرجع السابق , ص 131

(2)- محمد السيدغلاب, المرجع السابق, ص 473

(3)- المرجع نفسه ، ص 473

خريطة رقم (2) تمثل "المستوطنات الفينيقية في القرن الثامن ق م



لجزيرة قبرص مميزاتها الخاصة وشعبها زراعي الأصل، كما كان لها دور في تقنيات التعدين ابتداءا من عصر البرونز، كما أنها ربطت علاقات تجارية عميقة مع المناطق الشرقية ،خاصة (مصر و الأناضول) ابتداءا من النصف الثاني من الألف الثانية ق م فأصبحت قبرص جزءا من فينيقيا باعتبارها الممون الأول لمعدن النحاس وهذا ما جعلها محطة تجارية عالمية ذات مكانة خاصة ، بعدما ظهرت بها بعض المراكز الاقتصادية الفينيقية مثل سلا ميس – كيتيون .(1)

- كيتيونKition

كيتيون(لارنكا الحالية) تقع على الجانب الغربي لخليج عميق، يقع عند الطرف الشرقي لجزيرة قبرص وهي ميناء من جانب ، وقد أقام الفينيقيون على أحد جوانبها ميناء و حواجز الأمواج لتكوين حوض متسع لإيواء أساطيلهم في الميناء ،و في الجانب الأخر يمتد سهل متسع خاص بزراعة الحبوب ،وتشير الأدلة الأثرية إلى أنّ التواجد الفينيقي بقبرص لم يقتصر على المناطق الساحلية فحسب ، بل تقدم إلى الداخل وهذا دليل على أن تواجدهم بالمنطقة لم يكن لغرض تجاري فقط ، بل من قبيل تكوين وطن جديد (2).ينظر الصورة رقم(3)

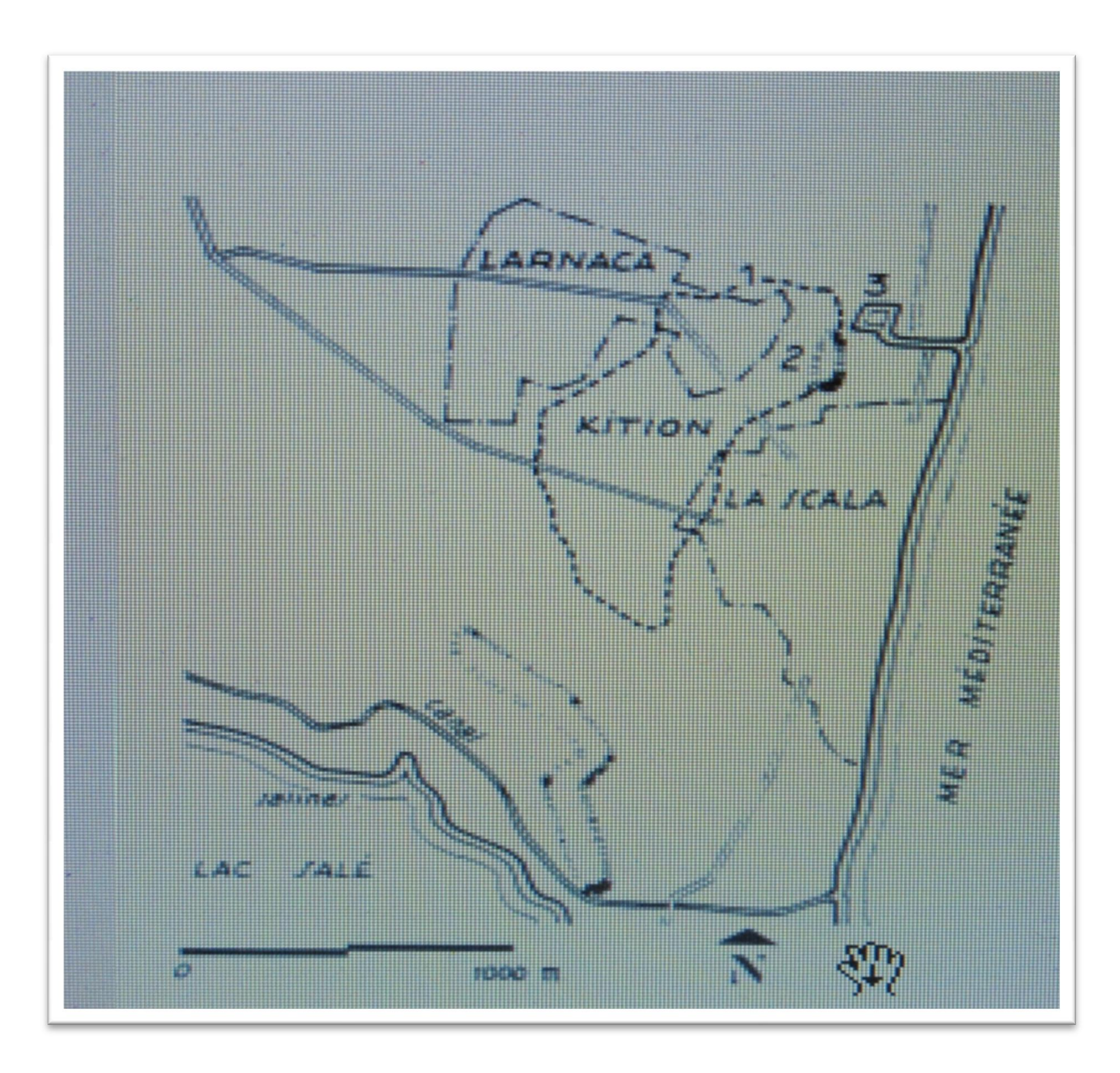
و يمكن التمييز بين نوعين من المقابر في كيتيون، حيث نجد في الجهة الشمالية الغربية مقابر جماعية ،أما بالنسبة للمقابر المتواجدة في العاصمة كيتيون عبارة عن مدافن لشخصيات لها وزن في السلطة ،ويظهر ذلك في نوعية الأحجار المعتمدة لبناء السراديب. بالإضافة إلى مسلات من الخزف تحمل اسم ومهنة المتوفى ، وفي الكثير من الأحيان نجد أنّ هذه الوظيفة متوارثة من الجد إلى الابن لعدة أجيال .(3)

---

(1) –(E) Raptou, (L) Lokopoulou« Mobilité et migration dan‹s la chypre "antique ,op cit, P 57 – 58.

(2)- غلاب المرجع السابق ص 474

(3) - (M) YON : « Nécropoles Phéniciennes De Kition »In :M.O.M, pouilleux, 1998, P119- 122.



الصورة رقم (3) : موقع كيتيون بجزيرة قبرص

لقد توصلت البعثة الفرنسية عام 1973 إلى بقايا معابد في كيتيون، ويبدوأنّها تأسست على أنقاض المعابد القديمة التي تعود في الأصل إلى أهالي المنطقة (1)، وبالتالي فإنّ كثرة المعابد و المقابر دليل على أنّ هناك جالية فينيقية استقرت بالمنطقة لها أجهزة حكم تسير شؤونها بانتظام .

و بينما تخصصت المنطقة الشمالية من الجزيرة للجانب الديني، فإننا نجد الهضبة الشرقية منطقة " بمبولة Bamboula "عبارة عن ميناء متصل بالبحر عبر قناة، وفي نفس الوقت هناك مجموعة من المخازن المتصلة بالمرفأ، وقد أثبتت الأبحاث الجيومرفولوجية و المواد الأثرية المستخرجة، أن الموقع كان منذ فترة البرونز الحديث (القرن الثالث عشرق م) ملجأ بحريا(2).ينظر الصورة رقم (4)

-سلا ميس Salamis وأمافوستا Amafosta

وإلى جانب مستوطنة كيتيون نجد "سلا ميس " ،والتي تقع على خليج يطل على الساحل الفينيقي ، أي مقابل له ،على بعد بضعة أميال جنوبها تقع" امافوستا " وتكاد تكون المستعمرة الفينيقية الوحيدة على الساحل الشمالي، وهي بمثابة مركز صناعي كون امافوستا قريبة من مناجم النحاس، التي كان الفينيقيون يستغلونها بكثرة ،وبالتالي هذه المنطقة لا يبدو أنها عرفت مراكز سكانية مثل كيتيون . (3)

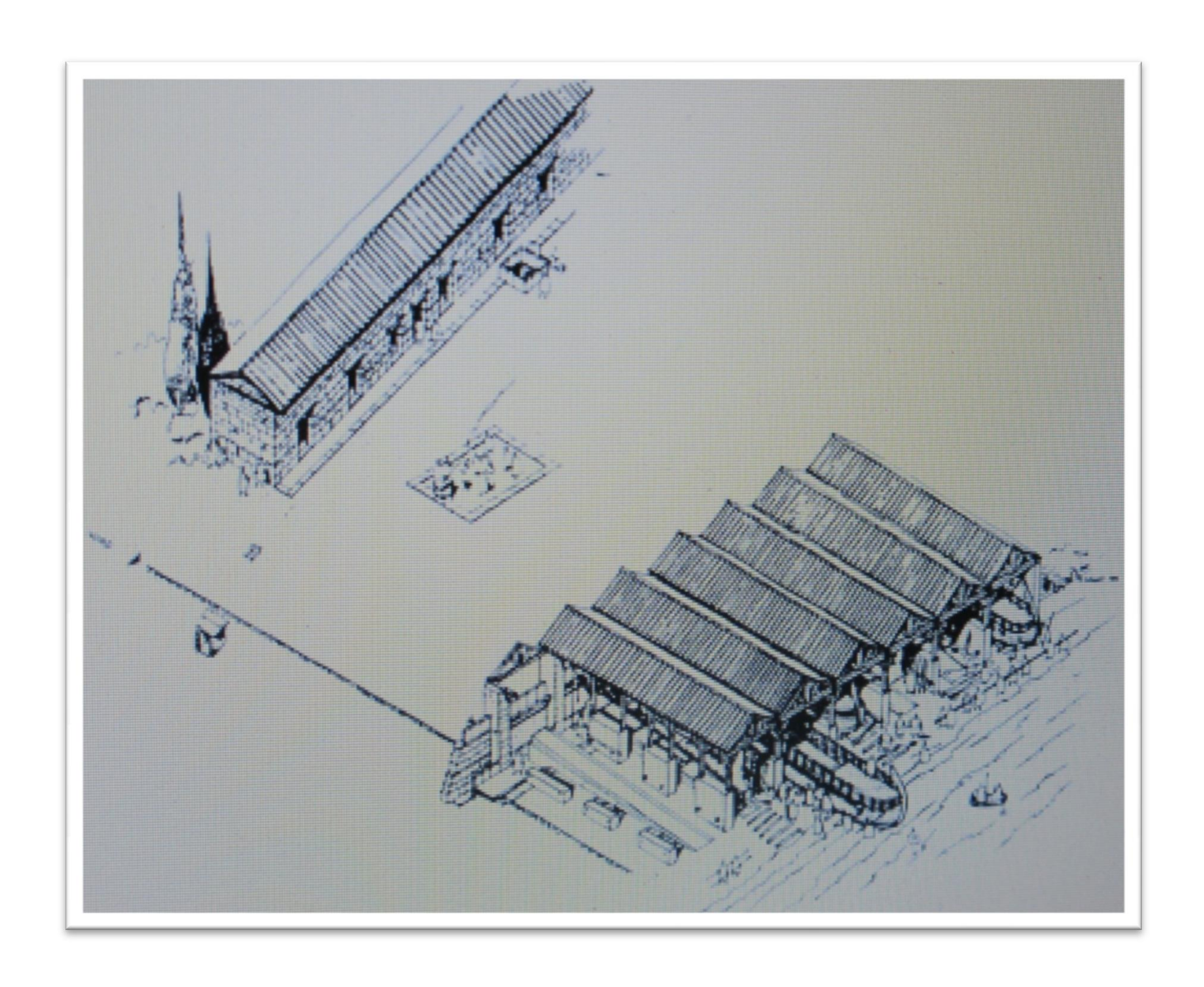
ومن ذلك يمكن أن نقول بأنّ هدف الفينيقيين من وراء الاستيطان في جزيرة قبرص كان اقتصاديا واجتماعيا واستراتيجيا بالدرجة الأولى ،لأنهم لم يكتفوا بالمناطق الساحلية ،وإنّما نجدهم تقريبا في جميع ربوع الجزيرة ،كون هذه الأخيرة قريبة من

---

(1) -(K) VASSOS : « Quartier sacré de Kition » In : C.R.A.I, 1996, V120, N°2, PP229.

(2)-(M) YON : « Les Hangars du port chypre-phénicien de Kition, compagnes 1996 - 1998 (mission française de Kition bamboula) » In :M.O.M, R.S, N° 77, volume 77, 2000, P 97

(3)-محمد السيد غلاب،المرجع السابق، ص474.



الصورة رقم (4) : ترميمات لأثار مستودعات سفن فينيقية بكتيون

الساحل الفينيقي.إضافة إلى ذلك غناها بالمواد الأولية ومنتجات الفلاحة ،ولا ننسى بأنها تشكل همزة وصل بين الحوضين الشرقي والغربي ،بفضلها وصل الفينيقيون إلى شمال إفريقيا ومعظم جزر شبه جزيرة ايبريا بالحوض الغربي للمتوسط.

ب-مستعمرات أسيا الصغرى

قبل أن نتحدث عن التواجد الفينيقي في أسيا الصغرى، يجب أن نشير إلى الوحدة الجغرافية والحضرية التي تجمع بين الساحل الفينيقي و أسيا الصغرى ،وكان اسم فينيقيا القديم يشملها، كما كان يشمل الساحل الفينيقي في سوريا ، و اعتمد عليها الفينيقيون للوصول إلى جزر بحر إيجه و البحر الأسود، إضافة إلى خصوبة التربة في ساحل" كيليكيا"وغابات الصنوبر والسنديان التي تزخر بها جبال طوروس وهي بذلك مورد خشبي لبناء السفن، كما تنتهي بهذه المنطقة تجارة هضبة الأناضول الداخلية وساحل البحر الأسود وساحل البحر الأبيض المتوسط ،وابرز المحطات في كيليكيا نذكر "تارس أر تارسوس"، كما نجد مرفأين في الجهة الغربية "فاسيليس " و"فوينيكس "وما يجدر الإشارة إليه ، هو أن هذه المحطات لم تتطور إلى مستوطنات، بل كانت مجرد مخازن تجارية (1).

ج- مستعمرات جزر بحر ايجه

من الأهمية الإشارة إلى أنّ المعلومات المتعلقة بالتواجد الفينيقي في جزر بحر ايجه كلها مبنية على أحداث أسطورية والقصص القديمة والروايات و أخبار الأبطال الفينيقيين أمثال "كاد موس"، الذين ساهموا في إدخال الكتابة والحضارة إلى بلاد اليونان ، وتحكي الروايات بأنّ "كاد موس" أسس مستوطنة في بلاد اليونان وأعطى لها اسم "كادمي"، كما ترك جزءا من الفينيقيين في جزيرة "تيرا "أين وجدوا مناجم الذهب فاستغلوها(2).

---

(1)- محمد السيد غلاب المرجع السابق ص 475

(2)- M. Connop thirlwall: Histoire des origines de la Grèce antique, traduit de l’anglais par, Adolphe Joanne, Paris, 1852, P 48

وهناك من يشير إلى أن عملية الاستيطان في بحر ايجه، ظلت مستمرة حتى المرحلة الهلنستية من القرن الرابع – القرن الثاني ق م. خاصة المستوطنات الأروادية والصيداوية* في "أثينا " –" ديلوس" – " رودس"(1).

وما يدل على التغلغل الفينيقي في جزر بحر ايجه هو انتشار عبادة الإله الفينيقي " بعل" وإطلاق الأسماء السامية التي تأغرقت فيما بعد.

2- الاستيطان الفينيقي في الحوض الغربي للمتوسط

حاولنا أن نتحدث عن حركة الاستيطان الفينيقية أولا في الحوض الشرقي باعتبار أنّ هذه المنطقة ، قد عرفت ميدان الملاحة البحرية في وقت مبكر، وقد كانت هذه المستوطنات خطوة أمام الفينيقيين في عمليتهم التوسعية، ولكن ما نميزه في مستوطنات الحوض الشرقي للمتوسط ، أنه يغلب عليها الطابع الاقتصادي، اللهم إلا إذا استثنينا مستوطنات قبرص التي كانت وطن فينيقي، وفي نفس الوقت محطات تجارية فينيقية وعالمية ،أما بالنسبة لعملية التوسع الفينيقي في جزر بحر ايجه فأنّها ذات طابع أسطوري ،لا نستطيع أن نتقدم في البحث فيها مادامت الأدلة الأثرية ناقصة، إن لم نقل أنها منعدمة.

يجدر بنا في هذا المقام أن نتحدث عن أبرز المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط بجزءيها الشمالي (سردينيا – جزر الباليار – شبه جزيرة أيبيريا) والجنوبي (ليكسوس – أوتيكا – قرطاجة).

أ- المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط

- جزيرة سردينيا

تشير بعض الدراسات الأثرية التي أنجزت في جزيرة سردينيا بأنّ المستوطنات الفينيقية

(1) – Edward Lipinski : Dieux et Déesses de L’univers phénicien et punique, Paris, Peeters, 1995, P 29

*أي التي أنشأها من مدينة أرواد وصيدا الفينيقيتين

كانت قد انتشرت في القسم الجنوبي من جزيرة سردينيا (1)،و أن أول نظام لتأسيس مدينة عرفته سردينيا كان من طرف الفينيقيين ،ولم يقتصر استقرارهم بالمنطقة على الحدود الساحلية وإنما توغلوا إلى الداخل (2).

وأبرز المدن في جزيرة سردينيا نذكر "تاروس Tharrosونورا Nora", ويرجع بعض المؤرخين ،ومنهم "محمد صغير غانم "بأنّ نزول الفينيقيين في جزيرة سردينيا يعود إلى نهاية الألف الثانية ق م ،وأنّ ذلك صدفة بسبب زوابع بحرية (3) .أما البعض الآخر فيرى بأنّ الفينيقيين لم يلجاؤا إلي سردينيا إلا في القرن السادس ق م ،وكان ذلك عندما اشتدت المنافسة الإغريقية في جزيرة قبرص (4).

وتبقى هذه مجرد أراء، لأنّ ما قدمته الأبحاث الأثرية يثبت بأنّ أقدم أثر كتابي عثر عليه في جزيرة سردينيا يعود إلى القرن التاسع ق م. وهي نقيشة موضوعة في جدار أقدم المعابد بالمدينة العتيقة "نورا " حاليا تدعى " كابو دي بولا " وهي محفوظة في متحف " كاغليلاري " تحت رقم 144 بسر دينيا .

مستوطنة نورا هي عبارة عن شبه جزيرة صغيرة متصلة باليابس عبر شريط ضيق، تأخذ في صورتها من طبيعة المدن الفينيقية في الساحل الفينيقي. واستنادا على نص النقيشة فإنّ نورا تعتبر أول منطقة استقر فيها الفينيقيون أثناء وصولهم إلى جزيرة سردينيا قادمين من قبرص (5) .

---

(1)-محمد الصغير غانم, المرجع السابق, ص83

(2)-Maurice Le Lannou : « La Sardaigne »In :R .G.L,N°26,V26-2 ?P19.

(3)- محمد الصغير غانم, المرجع السابق, ص84

(4)- محمد السيد غلاب, المرجع السابق, ص 481

(5) _(A) Dupont – Sonner: « Nouvelle Lecture d’une inscription Phénicienne archaïque de Nora, en Sardaigne (C. I. S. I 144) »In : C.R.A.I, N°1, volume 2, 1948, P12

لم يكن نزول الفينيقيين بهذه الجزيرة عشوائيا، بل عرفوا أهميتها التي تكمن في اعتبارها محطة لاستقبال السفن التي قد تأتيهم من إفريقيا وصقلية إلى جزر البليار، ثم شبه جزيرة أيبيريا وكانت "تاروس" بسردينيا محطة تجارية تلعب دور المستورد والمصدر في نفس الوقت، كونها ميناء و ورشة للصناعات المتنوعة ، والتي تخدم مصالح شعوب أخرى (1).

- جزيرة صقلية

كانت جزيرة صقلية من بين الجزر التي لفتت انتباه التجار الفينيقيين. فلقد لعبت أولا دور المحطة التجارية التي اعتمدت عليها الملاحة الفينيقية للتوسع في الجهات الأخرى من البحر الأبيض المتوسط. وبالتالي فمن غير الممكن أن يتقدم الفينيقيون في عمليتهم التوسعية من دون الدخول إلى معظم جزر البحر الأبيض المتوسط. خاصة إذا ما أخذنا طبيعة الملاحة البحرية في التاريخ القديم، المعتمدة أساسا على محطات لإتمام السير. وكانت غاية التجار الفينيقيين في دخولهم إلى بعض الجزر بدافع استراتيجي فقط ،وليس لاستغلالها اقتصاديا.

تعارضت الآراء بين النصوص الكلاسيكية والبقايا الأثرية فيما يخص الرقعة الجغرافية التي استغلها الفينيقيون أثناء وصولهم إلى صقلية حيث نجد" توكيديديس" "الذي يتحدث عن انتشار الفينيقيين في جميع أرجاء الجزيرة قبل الدخول الإغريقي وبعد ذلك تراجعوا عن معظم هذه المواقع في الشرق وانحصر وجودهم في الغرب (2).

أما بالنسبة للآثار فإنها تقسم جزيرة صقلية إلى قسمين، حيث نجد معظم الآثار الشرقية ذات طابع إغريقي، أما بالنسبة للمنطقة الغربية، تنتشر فيها الآثار الفينيقية.ويعتقد بعض المؤرخون أنّ غرض الفينيقيين من الاستيطان في جزيرة صقلية كان استراتيجيا أكثر منه تجاريا، كونها قريبه من اوتيكا وقرطاجة في الطرف الأخر.

---

(1) –(M) Sabatino: « Découvertes Phéniciennes a Tharros »In : C.R.A.I, N°3, volume31, 1987, PP 483-484.

(2)- Thucydide, op cit, 6 ,2-6

من بين المدن الفينيقية الهامة في جزيرة صقلية نذكر" موتيا" المبنية على خليج يقابل رأس بونة في بلاد المغرب. وحسب الأدلة الأثرية، قد تكون هذه المدينة تأسست في حوالي القرن الثامن ق م، وبسبب ضغط الإغريق في القرن الرابع ق م ،اتخذ الفينيقيون من" ليليبايوم" عاصمة لهم. بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المدن الفينيقية في جزيرة صقلية أمثال " بانورموس "و"سولكيس"."

أما بالنسبة لجزيرة مالطا فقد وجدت فيها بعض المواقع الأثرية ذات طابع فينيقي ،وهي عبارة عن قبور، وحسب علماء الآثار يعود تاريخها إلى حوالي القرنين التاسع أو الثامن ق م (1).

- جزر الباليار

لقد تبين للفينيقيين وهم في طريقهم إلى جزيرة سردينيا أهمية جزر الباليار المتوفرة على مصادر وموارد أولية .ولقد أثبتت الأبحاث الأثرية ، بأن كل من سردينيا وجزر البليار وجنوب شبه الجزيرة الأيبيرية كان لها علاقات تجارية قبل الوصول الفينيقي. وهذا بانتشار بقايا معدن البرونز في سردينيا (2).

أما عن تاريخ وصول البحارة الفينيقيين إلى جزر الباليار وإقامة مستوطنات بها ،فإنّ الآثار تشير إلى القرنين التاسع والثامن ق م، في الحوض الغربي للمتوسط كله ،ولكن هذا لا يعني بأنّ الفينيقيين لم يتعرفوا على هذا الجزء من الحوض المتوسطي، لأنّ النقوش التي عثر عليها في مستوطنة" نورا "بسردينيا"مثلا تبين وجود نصب ترجع لتاريخ أقدم(3).

ومن كل هذا نستنتج بأنّ الفينيقيين نزلوا بجزر البليار في فترة مبكرة ولكن تأسيسهم لمستوطنة "ابيزا" يعود إلى القرن السابع ق م فقط ،وكان الفينيقيون الذين أسسوا ابيزا قد

(1)- محمد الصغير غانم, المرجع السابق, ص ص 85-86

(2)-Pedro Bosch-Gimpera, « les phéniciens : leurs prédécesseurs », op cit, P467.

(3) – Edward Lipinski, : Dieux et Déesses de L'univers phénicien ,op cit, P27

قدموا من مدينة قرطاجة التي تزعمت المستوطنات الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط ابتداء من القرن السابع ق م ،وقد عثر في جزيرة ابيزا على بعض الآثار لأحواض ، كانت تستعمل لتجفيف الأسماك بالإضافة إلى معبد الإلهة" تانيت" الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث ق م (1).

- شبه جزيرة ابيريا

تعتبر مستوطنة قادس في غرب شبه جزيرة ابيريا من بين المستوطنات الفينيقية الباكرة في الحوض الغربي للمتوسط (2). وكانت تمثل مفترق طرق بين مراكز النحاس والفضة في السلاسل الجبلية القريبة منها ومعدني الرصاص والقصدير من أماكن أخرى.ثم الذهب والعاج من إفريقيا .

وهذا بوقوع تلك القاعدة على الساحل الغربي لأيبيريا على جزيرة صغيرة تبعد أكثر من مئة كيلو مترا إلى الشمال الغربي من جبل طارق (أعمدة هرقل)، وكانت قديما تفصل هذه الجزيرة عن البر مياه قليلة العمق تشكل ملجأ بحريا ممتازا، إلا أن الجزيرة و بمرور الزمن تحولت إلى شبه جزيرة ،وصارت تتصل مع بلدة " سان فرنان دو" (3).

لقد شغلت قضية التأريخ لهذه المستوطنة أذهان المؤرخين و علماء الآثار، بسبب التناقض الموجود بين النصوص الأدبية والبقايا الأثرية، حيث نجد المصادر الأدبية تشير إلى أن تاريخ تأسيسها يعود إلى القرن الثاني عشر ق م.وقد أرخ لها الجغرافي الشهير " سترابون" قبل تاريخ حرب طروادة بفترة زمنية قصيرة ،حيث أسسوا المعبد في الشرق والمدينة في الغرب ،يعود تأسيس هذه المستوطنة حسب ما ذكر في نصوص ستوابون إلى حوالي 1100ق م (4).

---

(1)- محمد الصغير غانم ،المرجع السابق، ص ص 82-83

(2)- المرجع نفسه،ص 78.

(3)- جان ما زيل ،" تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية " ،المرجع السابق, ص 120

(4) – EL Mostapha Moulay Rchid : « Lixus et Gadès réalité et idéologie d’une symétrie »In : D.H.A, N°15, volume15-2,1989, P P 326-327.

إلا أنّ نصوص سترابون تتعارض مع ما توصلت إليه الأبحاث الأثرية في الحوض الغربي للمتوسط عامة .وتشير في مجموعها إلى أنّ الاستيطان الفينيقي يعود إلى القرن الثامن ق م ،وحسب التنقيبات الأثرية دائما أنّ الاستيطان الفينيقي بالمنطقة مرّ بمراحل .و تتلخص في انحصار التواجد الفينيقي في منطقة قادس وذلك في حدود القرن الثامن ق م، وكانت تربط هذه المدينة علاقات اقتصادية مع أهالي" تارتاسوس" وفي القرن السابع ق م، جاءت موجة من الصوريين واستوطنوا الأراضي المجاورة من تارتاسوس ولكن كانوا تحت زعامة قادس مقابل استقلالهم سياسيا ،ذات حدود جغرافية مثل (ملاكا – لبديرا سكسو)بشبه جزيرة ابيريا.(1).

وكانت مستوطنات ابيريا فيما بين الحربين البونيتين الأولى والثانية تحت السيطرة القرطاجية خاصة فيما يخص الجانب الاقتصادي .وبناءا على البقايا الأثرية التي تثبت بأنّ هذه السيطرة كانت تنحصرفي المناطق الساحلية فقط.

أما فيما يخص الاستغلال الفينيقي لهذه المنطقة فإنّه حسب تقارير علماء الآثار، هناك بقايا لمستوطنات فلاحية بجانب" ابوسوس" وعلى ما يبدو، كل الأراضي الواقعة غرب جزر البليار كانت ذات جودة عالية وبالتالي كانت تستغل في الميدان الزراعي(2) .

إضافة إلى المنتجات الفلاحية التي تتمتع بها المنطقة ،هناك جانب أخر اعتمد عليه الفينيقيون أثناء تواجدهم، ويؤكد عالم الآثار الاسباني خوليو مرتيناز بأنّ" في كل مكان من اسبانيا توجد ملاحات قديمة وهناك احتمال كبير، أن يكون قد وجد معمل فينيقي لحفظ الأسماك " ،وهذا ما أكده أيضا "تيمي"(3)

لقد سبق الفينيقيون غيرهم في معرفة معدن القصدير منذ مطلع الألف الأول ق م وهم بذلك لعبوا الدور الذي لعبته شعوب البحر في الألف الثانية ق م، بإدخالهم لأول

---

(1)-Strabon, op cit, I,3-2.

(2)-(R) Plana-Mallaart : « Phéniciens et Carthaginois en Péninsule Ibérique, Par(J.R), El Pozo » », In : D . H. A, N°2, volume22, Année 1996, PP 315 – 316.

(3)-جان ما زيل , المرجع السابق , ص 120

مرة في تاريخ الشرق الأدنى القديم لمعدن الحديد ، و على ما يبدو أن المستوطنات الفينيقية – القرطاجية أخذت طابع خاص بها، بحيث كانت مجالات للاستغلال الاقتصادي ولا سيما استخراج المعادن وتحويل الموارد الفلاحية ، بالإضافة إلى الأسماك المملحة، كل هذه المنتجات كانت تصدرها قرطاجة إلى الشرق أو تستعملها محليا.

- ترشيش

لقد ذكرت ترشيش على أساس أنها القاعدة القديمة التي أعاد استعمالها الفينيقيون في بناء مدينة قادس،وكما قيل عنها في التوراة بأن سفن ترشيش كانت تحمل للملك سليمان كل ثلاث سنوات الذهب والفضة والعاج والقردة (1).

ومن خلال دراستنا للعلاقات الاقتصادية والسياسية التي كانت بين سليمان و أحيرام ملك صور خلال القرن العاشر ق م، ندرك أنّ ترشيش المشار إليها، كانت تحت إشراف البحارة الفينيقيين ،وأنّ المعادن التي ذكرت كان يؤتى بها من قادس التي حلّت محل ترشيش منذ القرن الثاني عشرق م (2).

وقد أشار المؤرخ بلين(Pline) في كتابه التاريخ الطبيعي إلى هذا الموضوع بقوله "أنّ معنى قادس مكان حصين أو قلعة ، وأنّها بنيت في مكان ترشيش القديم..ثم يضيف بأنّ ملك ترشيش أرجانثونيوس (Arganthonios) كان قد سكن مدينة قادس "(3).

إنّ تحديد الموقع الجغرافي لترشيش جعل المؤرخين يقعون في جدال بسبب انعدام المعطيات الأثرية من جهة وتعدد الآراء في النصوص الأدبية من جهة أخرى، حيث نجد سترابون" الذي جعلها تقع على جزيرة بالقرب من المجرى الشرقي والغربي للوادي الكبير " (4) .

---

(1)-La Bible, Rois, x, 22-23.

(2)-Fréderic Thieberger, Le roi Salomon et son temps,op cit , PP 2O2-216.

(3)-PlineAncien, op cit, IV, 120.

(4)-Strabon, op cit, III, 11

كما حدد البعض الأخر موقعها على شبه جزيرة بين الوادي الكبير والنهر ، واتفق الأثري شولتان(Chultan) مع الاقتراح الثاني، الذي اقتبس معلومته من أحد الملاحين الإغريق الذي قام فعلا بزيارة ترشيش أيام وجودها (1)

مما سبق ، نستنتج أنّ كل المعلومات المتعلقة بترشيش مبنية على مجموعة من الآراء ووجهات نظر ، ولا نملك أدلة أثرية تثبت صحة كل ما ذكرناه ،وبالتالي الحديث عن هذه المدينة يكون محدودا وليس بإرادتنا التعمق أكثر في دراستها التي تبدو أسطورية نوعا ما.

ولكن من جهة أخرى هذا الوضع لا يجعلنا نتوقف في البحث عن حقيقة وجود هذه المدينة ، خاصة إذا ما نظرنا إلى الفينيقيين الذين كانوا يجلبون منها المعادن وخاصة الفضة ، وعلى ما يبدو أن الاستيطان الفينيقي بشبه جزيرة ابيريا سبقته مرحلة ذات طابع تجاري فقط والتي تعود إلى القرن الثاني عشر ق م .

ومعرفتهم لمزايا المنطقة التي كانت تتمتع بتربة خصبة وبسواحل بحرية طويلة تأخذ نمطين من الموارد البحرية باعتبارها تجمع بين مناخ البحر الأبيض المتوسط ومناخ المحيط الأطلسي ، هذه العوامل دفعتهم إلى تطوير المنطقة من محطة تجارية إلى مستوطنة وهي "قادس " التي تبعد عن "ترشيش " العتيقة بحوالي أربعين كلم (2).

وكان لمستوطنة ترشيش في عهدها علاقات تجارية خارجية بلغت القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة الإبيرية ،أين توجد مناجم القصدير ، ونظرا لوقوعها في منطقة إستراتيجية على الحدود بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ،فإنّها كانت تربط بين المناطق الواقعة على السواحل المتوسطية والأطلسية (السواحل الغربية لأوروبا ،اسبانيا، البرتغال،بلاد الغال ،بريطانيا)، بدليل انتشار الفؤوس الاسبانية في بريطانيا وبلاد الغال ، وبالمقابل انتشار القدور البريطانية في اسبانيا ، كما وصل الفخار الاسباني

(1)-(S) Gsell: « TARTESSOS » In: J. S, N° 5, Volume 21, 1923, P P 193

(2) -Ibid., P194.

إلى" موغادور"على شواطئ المغرب الأقصى ،وهذه العلاقة انتشرت في كل شمال غرب إفريقيا (1).

لم تتوقف ترشيش في ربط علاقات تجارية مع الحوض الغربي للمتوسط فقط ، بل ربطت أيضا علاقات تجارية مع الشعوب بالحوض الشرقي للمتوسط خاصة الفوسيين*. وذلك في القرنين السابع والسادس ق م ، وربما هذه العلاقة التي تربط ترشيش بالإغريق الذين كانوا من بين المنافسين للقرطاجيين ،هو السبب في نهايتها و التي كانت في القرن الخامس ق م ،ومن الأرجح أن القرطاجيين هم من هدموهها على أخرها (2).

ما نستطيع أن نقوله في ختام كلامنا عن ترشيش هو أن ما دامت الآثار المتعلقة بهذه المدينة نادرة فإنّ الأبحاث أيضا لاتتقدم وحتى أنّ الحديث عنها في النصوص الإغريقية التي غالبا ماتعتمد على الحكايات الشعبية يبقى الإشكال عن ترشيش دائما مطروحا .

ب- المستوطنات الفينيقية في جنوب الحوض الغربي للمتوسط

- مستوطنة ليكسوس

تعتبر ليكسوس من بين المستوطنات الفينيقية الباكرة التي أسسها الفينيقيون على سواحل المحيط الأطلسي وحسب الكتابات التاريخية يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الثاني عشر ق م ،على يد الفينيقيين الذين قدموا من شرقي المتوسط (3). وقد اعتبرها علماء الآثار معاصرة لمستوطنة قادس في شبه الجزيرة الابيرية وتمثل الواحدة من بين ثلاثة مئة محطة التي أسسها التجار الفينيقيون على الساحل الأطلسي (4).

---

(1)- يولي بركوفيتش سيركين, " الحضارة الفينيقية في اسبانية ", ت يوسف ابوفاضل , ط الاولى, بيروت ,1987,ص ص 39-40

(2) –(S) Gsell, op cit, P195.

*الفوسيين هم من أصول إغريقية أسسوا مدينة في أسيا الصغرى على سواحل بحر ايجه ما بين القرن العاشر والسادس ق م توسعوا وأسسوا عدة مستوطنات في الحوض الغربي للمتوسط مثل: نيكايا (نيس) وافينيو بالإضافة إلى بعض المستوطنات في اسبانيا

(3)- محمد الصغير غانم, المرجع السابق, ص87

(4) – El Mostapha Moulay Rchid « Lixus et Gades Réalité et Idéologie d’une symétrie » op cit, P 327.

وقد استنتجت الدراسات المقارنة، أن المسافة التي تفصل " ليكسوس " عن مضيق جبل طارق هي نفس المسافة التي تفصله أيضا عن مستوطنة " قادس " في ايبيريا (1) هذا ما جعل الكثير يعتبرونها قلعة تستعين بها قادس أثناء وجود مشاكل داخلية مع الأهالي أو ضد الإغريق (2) ،الذين أصبحوا منذ القرن السابع ق م، يستمتعون بتجارة المعادن بتر شيش إلى جانب الفوسيين و بالتالي يمكننا أن نفهم بأنّ الهدف من تأسيس "ليكسوس " كان استراتيجيا وتجاريا .

بنيت ليكسوس على تل مرتفع يبعد حوالي أربعة كلم شمال مدينة العرائش الحالية (المغرب الأقصى) وعرفت مدينة ليكسوس في الماضي باسم مدينة " تسميش" أي مدينة الشمس (3).

ولقد أظهرت البقايا الأثرية التي توصل إليها المختصون ، بأن التجار الفينيقيين أسسوا ورشات لصناعة الخزف ليس فقط في هذه المدينة، بل حتى في" موغادور" علما أن القطع الخزفية بهذه المناطق شبيهة بالخزف الذي انتشر في جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية ، وإن دل هذا على شيء، فإنّما يدل على وجود علاقات بين قادس و لكسوس، إضافة إلى ذلك العلاقات لم تتوقف على الحوض الغربي للمتوسط فقط ، بل وصلت حتى مصر ،هذا ما يفسر وجود قطعة أثرية" لخنفساء" ذات أصول مصرية(4).

ما نستطيع أن نختم به حديثنا عن ليكسوس هو أنّها لعبت دورا كبير في مجال إبحار الفينيقيين في المحيط الأطلسي.

---

(1) – Pedro Bosch – Gumpéra, « les phéniciens : leurs prédécesseurs », op cit, P 471.

(2) – (M) Moulay Rchid, op cit, 328

(3)- غانم, المرجع السابق, ص89

(4) –(M) Moulay Rchid« Lixus et Gades…. », op cit, 328

ولقد استعان بها كل من حنون* وسكيلاكيس أثناء رحلتيهما إلى إفريقيا الاستوائية ما بين القرنين الخامس والرابع ق م. ولم يتوقف دورها في هذه النقطة ،بل كانت بمثابة معلم لنهاية الحدود الجغرافية والسياسية للعالم القديم

- مستوطنة أوتيكا

ورد في ملحمة الشاعر اليوناني الشهير هوميروس أن اوديسوس أسر في مصر حيث صادق تاجرا فينيقيا ورافقه إلى لوبيا ،ولعل في ذلك إشارة بعيدة إلى أن الفينيقيين كانوا على صلات تجارية مع لوبيا إن لم تكن لهم فيها مستوطنات .ويبدو أن الفينيقيين سبقوا الإغريق في فتح سواحل إفريقيا في التجارة والاستيطان في تاريخ مبكر يعود للقرن الثاني عشر ق م (1). وأمّا بالنسبة لسترا بون، فقد تحدث عن الفينيقيين الذين كانوا قد بسطوا أقدامهم على أفضل الأماكن في شبه جزيرة أيبيريا وفي ليبيا قبل عصر هوميروس (2)

ما نستنبطه من خلال هذه الفقرات ،هو أن الفينيقيين بزعامة مدينة صور، قد أسسوا محطات تجارية على طول سواحل إفريقيا الشمالية ابتداءا من القرن الثاني عشر ق م. ومن بينها اوتيكا حوالي 1101 ق م، وبطبيعة الحال فإنّ هذه المحطات سبقتها مرحلة الاستكشاف ومرحلة التجارة غير المنتظمة ،وفي نهاية الألف الثاني ق م، وصلوا إلى المحيط الأطلسي كما حصلوا على ذهب السودان، فإنّهم من جهة أخرى وصلوا إلى مناجم الفضة باسبانيا ولا ننسى منجم القصدير بجزر كيستيريدس (3).

---

*رحلة قادها الملك القرطاجي "حانون " حوالي القرن الخامس ق م على طول السواحل الليبية جنوب أعمدة هرقل وهي وثيقة فينيقية ترجمت إلى الإغريقية في حدود القرن التاسع م عثر عليها لأول مرة في "معبد كرونوس " بقرطاجة نشرت سنة 1533 م ودرسها "بوقانفيل" من1954-1957 تم طبعها بعد عامين وهي عبارة عن مذكرات حول المغامرات التي صاحبت هذه الرحلة والتي استطاعت أن تعطي معلومات ذات أهمية تاريخية عن المؤسسات الفينيقية التي انتشرت على طول الساحل الأطلسي والمدن التي أسسها حانون للمزيد من المعلومات انظر:

(M) Euzennat : « le périple d’Hannon »In : C . R .A . I, N° 2, 138Année, 1994.

(1)- محمد السيد غلاب, المرجع السابق, ص 476

(2) – Strabon, op cit, III, 2- 14.

(3) – Charles – André julien, Histoire de L’Afrique du Nord (des origines a 1830,Paris, Payot et Rivages, 1994, P75.

يرى البعض أنّ التيارات الأطلسية هي العامل المساعد على تأسيس محطات ومستوطنات فينيقية على ساحل شمال إفريقيا بدليل أنّ هذه التيارات تفرض الإبحار باتجاه غرب –شرق ،كما كانت أيضا عاملا مساعدا للوصول إلى سواحل المغرب الأطلسية ، فأسسوا ما يقارب ثلاثة مئة محطة تجارية تكون عونا لهم أثناء إبحارهم إلى إفريقيا الاستوائية (1).

وعلى كل حال فإنّ تأسيس اوتيكا لم يكن عشوائيا، وإنما المقصود هو خصوبة تربة المنطقة وما تنتجه من الغلال كالتين والزيتون والقمح، ،وربما هذا ما شجع الفينيقيين إلى الاستقرار فيها ، وتأسيس قرطاجة بعد ذلك في مكان غير بعيد عنها .

وتفيدنا الآثار المادية في تصور الموقع الجغرافي الذي شغلته أوتيكا والتي أقامها الفينيقيون على مرتفع من الأرض بالقرب من مصب نهر مجردة (تونس)، أمّا المسافة التي تفصلها عن مدينة قرطاجة فتقدر بحوالي خمسة عشر ميلا وتعود بقايا أقدم القبور بهذه المنطقة إلى القرن الثامن ق م(2).

و مما سبق ذكره نستنتج ،أن اوتيكا من المدن الفينيقية القديمة في شمال إفريقيا إلى جانب ليكسوس في المغرب الأطلسي .ودورها لا يختلف عن الأدوار التي لعبتها كل المؤسسات الفينيقية سواء في الحوض الشرقي أو الغربي فقد كانت مركز للموارد الفلاحية التي تزخر بها المنطقة لقربها من مصب نهر مجردة الذي يجري في أخصب الأراضي ، كما كانت هذه المدينة أيضا الميناء الذي لا تخلو منه كل المؤسسات الفينيقية أينما كانت.

- مستوطنة قرطاجة

تعتبر قرطاحة أهم المستوطنات الفينيقية في حوض البحر الأبيض المتوسط،ولقد كوّنت مع المستوطنات الفينيقية الأخرى عالما تجاريا كانت بدايته في الساحل الفينيقيفي الشرق

---

(1) – (M) Moulay rchid« Lixus et Gades…. », op cit, P 328.

(2)-محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 91.

ونهايته في المحيط الأطلسي، وبفضلهم إلتقت سلع الشرق بسلع الغرب .وبالتالي التلاقي الحضاري بين مختلف جهات المعمورة ، وكان للموقع الاستراتيجي الذي تحتله قرطاج في شمال شرق إفريقيا دور كبير في التطوّر الاقتصادي والسياسي لها.

وبما اننا قد اخترنا هذه المستوطنة كنموذج في دراسة المقارنة إلى جانب مستوطنة أكسوم اليمنية في الفصل الأخير ، ولذا سوف نسلط الضوء على طبيعة المستوطنة ومميزاتها لاحقا .

بعدما عرّفنا ببعض المستوطنات الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط، توصلنا إلى بناء فكرة عن طبيعة تلك المستوطنات التي تتميز فيما بينها ،فهناك بعض المواقع لا يتعدى دورها الجانب الاقتصادي مثل سلاميس وأمافوستا وهناك مناطق أخرى تجمع بين الاستيطان والتجارة مثل كيتيون في جزيرة قبرص ، أما قرطاجة في شمال إفريقيا فقد انفرد ت بخصائصها عن المستوطنات الفينيقية الأخرى ،وسوف نتعرض لهذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الثالث .

I-اليمنيون

1-الجغرافية والسكان

أ-الموقع الجغرافي

ب-التركيبة السكانية

2-نشأة الدولة اليمنية القديمة

3-المظاهر الحضارية اليمنية

أ-الحياة الدينية

ب-الكتابة

ج-العمارة والفنون

د-المنشأت الاقتصادية

1-نظام المدرجات الزراعية

2-التجارة

II-عوامل التوسع اليمني

1-العامل الجغرافي

2-العامل الإجتماعي

3-العامل الاقتصادي

4-العامل السياسي

III-البحرية اليمنية

1-طبيعة الملاحة العربية

2-السفن العربية

3-أهمية البحر الأحمر

IV-حركة الإستيطان اليمنية

1-الاستيطان اليمني في شمال شبه الجزيرة العربية

أ-مملكة لحيان

ب-مملكة كندة

2-الاستيطان اليمني في العراق والشام

أ-مملكة الغساسنة

ب-مملكة المناذرة

3-الاستيطان اليمني في شرق افريقيا

أ- العلاقات اليمنية الإفريقية

ب-مملكة أكسوم

الفصل الثاني:حركة الاستيطان اليمنية

I-اليمنيون

1- الجغرافية والسكان

أ-الموقع الجغرافي لليمن

يقع اليمن في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية وتخترقه جبال السرة في حدوده الجنوبية وتتخلله مجموعة من الوديان ،خاصة في المنطقة السهلية وفي الهضبة المطلة على عدن وهي عادة ما تتميز بالجفاف وتجري المياه فيها في المواسم المطيرة(1).

عرفت منطقة اليمن لدى الكلاسيكيون بالعربية السعيدة (Arabia Felix)(2) أو العربية الجنوبية، التسمية الأولى بدون شك، تعني طبيعة المنطقة الخصبة وكثرة خيراتها ،أما التسميّة الثانية تعبر عن موقع اليمن بالنسبة للأجزاء الأخرى من شبه الجزيرة العربيّة.

أمّا بالنسبة لتفسير معنى مدلول اليمن فلقد ورد في نصوص سبأ بصيغة "يمنات" و"يمنت" يعني الاخضرار ولكن اختلف الإخباريون حول تفسير هذا المدلول ،فهناك من يقول بأنّ اليمن يمنا ليمنه والشام شاما لشؤمه، والبعض الأخر يرون أن اليمن سميت يمنا لأنها تقع يمين الكعبة. (3)

ومهما يكن من أمر، ومهما كثرت الآراء حول هذه التسميّة، ما نعرفه هو أن اليمن منطقة خصبة يقع في وسط نطاق صحراوي من المحيط الأطلسي غربا حتى حدود الصين الغربية شرقا وفي الشمال، من هذا النطاق يوجد إقليم البحر الأبيض المتوسط، والإقليم الموسمي وهذان الإقليمان يمثلان أكبر تكتلين سكانيين في العالم ويتميز كلّ واحد منهما بمحاصيله الخاصة. (4)

---

(1)- عبد اللطيف عبد الهادي السيد ،المرجع السابق ،ص102.

(2)-Strabon, op cit, XVI ,4.

(3)-بلقاسم رحماني, حضارة العرب القديمة(الحضارة اليمنية نموذجا),قسنطينة 2009, ج1, ص61.

(4)- محمد بيومي مهران, تاريخ العرب قبل الإسلام, الإسكندرية 1994,,ج1 ,ص274

تحيط باليمن ثلاث واجهات بحرية بداية من الشرق الخليج الفارسي (العربي)، ومن الغرب البحر الأريتيري (الأحمر)، ومن الجنوب المحيط الهندي وهو جسر يوصل بين القارة الأسيوية والقارة الإفريقية وبقية مناطق العالم القديم.

ب-التركيبة السكانية

المجتمع اليمنيّ كغيره من المجتمعات مكوّن من عناصر جنسية مختلفة وفدت إلى اليمن في أزمنة بعيدة وامتزجوا بالعنصر الأصلي أثر فيه وتأثر به (1)، ولعل العلاقة بين سكان شبه الجزيرة العربيّة حسب دراسات حديثة ترجع إلى التحركات البشرية الأولى في العصور ما قبل تاريخيّة وأقدم أثر لهذه العلاقة يرجع إلى 8000سنة. (2)

للموقع الجغرافي الدور الكبير في تنوع التركيبة السكانيّة لليمن ،لأن المنطقة عرفت هجرات سكانيّة سواء من الغرب إلى الشرق أو العكس .إضافة إلى ذلك عامل التجارة الذي فرض على المنطقة دخول أقوام أخرى سواء من الهند أو من شرق إفريقيا والكثير منهم ربما استقروا .

وهذا الجوّ يهيأ لجيل جديد ينشا من الثقافة المحلية التي تأثرت بثقافات أخرى هذا ما يجعل القبائل اليمنيّة تتميز من حيث الجنس والمظهر والتحضّر عن قبائل شمال شبه الجزيرة العربيّة (الحجاز ونجد) ،وإن اختلف هذا المجتمع عن المجتمعات العربيّة الأخرى في الهيكل الخارجي فقط، ولكن جوهره يبقى ذو سمات ساميّة تربطه مع شعوب سامية انتشرت في الشرق الأدنى.

2- نشأة الدولة اليمنية القديمة

لقد كانت نواة الاسم (العرب) من اشتقاقه وهي (عريبي – أريبي) و (عرابا- عرابايا) أو (أرابا- أرابايا) ذكرت في نقوش مدوّنات قديمة. منها ما يرجع إلى القرن التاسع ق م

---

(1)-حسين جوهر ،محمد السيد أيوب ،اليمن ،القاهرة ،دار القومية للنشر والتوزيع ،1967،صص10-11.

(2)- (M-L) Inizan, (V-F) Viglia : « Les périples de L'obsidienne à travers la mer rouge », In : J.S, fascicule 2, tome 72, 2002, P P 11 -19.

وحسب علماء اللغات في اللهجات العربية القديمة، أن الكلمة كانت تعني "الباديّة وسكانها "وجاء في القرآن الكريم بنفس المعنى قال تعالى " وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذّن لهم "(1).

تكرر ذكر النقوش الأشوريّة لهذه الكلمة ،نجد نقش لتجلات فلصر الثاني (744-727ق م)، ذكر فيه "زبيبي ملكة ارض عريبي " و" سمس ملكة عريبي " ونفس الشيء ذكر في عهد سرجون الأكدي الثاني وتكرار كلمة "عريبي" مع أسماء ملوك عديدين واحد وراء الاخر دليل على وجود سلطة ومملكة بعينها .

تجدد ذكر هذه الكلمة في جغرافية بطليموس(Ptolemee)مترافقة مرة مع لفظ الصحراء(Deserta) ،ومرة مع لفظ البتراء (Petreae)،ومرة مع لفظ السعيدة (felix) قصد بالأولى بادية الشام والثانية شرق الأردن والثالثة العربية الجنوبية (2) ،هذا مجرد مثال عن إشارات الكلاسيكيون " للعرب " حتى في التوراة ذكر" العرب " في أكثر من موضع وخاطب النبي حزقيال (Ezechiel) "صور" الفينيقية وذكر" العرب الذين كانوا يتاجرون معها إلى جانب الآراميّين والعبرانيّين ..." (3)

ومن خلال هذه النصوص الأشوريّة والعبريّة ،يشعر القارئ بأنّ العرب لم يكونوا جميعا في حالة بداوة تامة فهناك سهول ضيقة على سواحل الجزيرة العربيّة، يتوفر فيها الماء بدرجة تسمح بحياة مستقرة متحضرة قائمة على الزراعة والتجارة ،ومكّنت العرب من إنشاء دول بقي ذكر الكثير منها في التاريخ ،بحذاء الساحل توجد ممالك عربيّة التي قامت على الطريق التجاري الدولي المعروف باسم" طريق البخور".ينظر الخريطة رقم (3)

وسوف نحاول أن نتحدث عن تلك الدويلات لكي نتعرف على بعض الملامح الهامة التي تميز كل واحدة منهم ،وما نريد أن نوضحه قبل بداية حديثنا هو أنّ الدويلات اليمنية

---

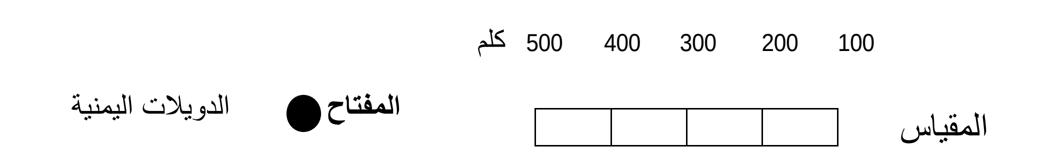
(1)-القران ،سورة التوبة الآية 90.

(2)- محمد عزة ورزة تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار بيروت المكتبة العصرية 1961 ج1 ص ص 13-10

(3)-La Bible, Ezéchiel, op cit, 27 : 21

الخليج الفارسي
حمير
الحبشة
البحر الأحمر
سبأ
حضرموت
قتبان
المحيط الهندي

خريطة رقم(3) "الدويلات اليمنية"



ظهرت إما متعاقبة أو متعاصرة ، وبالتالي يصعب علينا الحديث عنها وفق تسلسل زمني واعتمدنا عن ترتيب متداول في الدراسات المتخصصة بالجزيرة العربية .

أ- دولة اوسان

أقدم نقوش تذكر دولة أوسان تعود إلى القرن الخامس ق م، في أخبار حملة الملك السبئي " كرب ايل وتار " على دولة" أوسان"وملكها" مرتوم "، ربما كانت هذه المملكة قد بسطت نفوذها قبل هزيمتها على الأجزاء الساحليّة وكانت لها علاقة تجاريّة مع الشرق الإفريقي(1).

وحسب سترابون- بناءا على أخبار صاحب كتاب الطواف في البحر الإريتري – كان الساحل الشرقي للقارة الإفريقية يعرف" بالساحل الأوساني "(2)، هذا دليل على عمق الأثر الذي خلفه الأوسانيون في تلك البقاع ولكن هذا لم يساعد الباحثون في تحديد مركز هذه المملكة رغم أن هناك الأدلة التي تشير إلى جنوب قتبان.

وعلى ما يبدو أوسان نافست سبأ واحتكرت التجارة البحريّة وكان شاطئ الشرق الإفريقي واليمني تحت سيطرتها ولم يكن أمام سبأ وقتها إلا أنّ تهتم بالتجارة البريّة و بالزراعة .

تبدو الحياة السياسيّة لأوسان غامضة ومجمل نقوشها يغلب عليها الطابع الدّيني، ولذا لم يتوصل الباحثون إلى إتبّاع التطوّر التاريخي لها. ظلّت قبيلة أوسان باقية بعد زوال حكومتها فترة طويلة ورد ذكرها في نقوش قتبانيّة واسمها ظلّ معروفا ومتداولا في صوّرة من حتى بعد مجيء الإسلام .

ب- دولة المعينية

أقام المعينيّون مملكتهم في الجوف أخصب الأراضي اليمنية وأصلحها للزراعة استنادا

---

(1)- محمد عبد القادر بافقيه,"تاريخ اليمن القديم" بيروت 1985, ص ص 21-24

(2)- Strabon, op cit, XVI, 4-2

الى الدراسات التاريخية والأثرية، هذه الدولة عاشت بين حوالي (1300-630 ق م) تحدث سترابون عن معين وقال بأن مدينتهم هي (Karna) أو (Carna) يعني " قرناو".

كشف الأثري الفرنسي هالفي (Halevy) 1869 عن بعض أثار هذه المملكة ومعظمها تقع على خط واحد تقريبا وسط السهل بين الغرب والشرق وتشمل خربة معين التي تقع في منتصف المسافة بين جبلي "اللوذ" و "يام " عند الفتحة المؤديّة إلى صحراء الربع الخالي في الشرق كما تشمل خرائب " هرم " و " كمنهو" و" براقش " إلى الجنوب الغربي من معين (1).

عرفت الدولة المعينيّة نشاطا تجاريّا واسعا ،وصلت أثارها إلى شمال الحجاز في منطقة (ددن العلا) و(الجيزة) بمصر وجزيرة (ديلوس) اليونانية وحسب الأثريون، هذه المخلفات ليست مجرد علاقات تجارية بسيطة، وإنما هي مستوطنات أو محطات تجارية معينية.

عاشت الدولة المعينيّة مراحل صراع ومراحل سلم وأقامت علاقة خاصة بينها وبين حضرموت، ربما حلف تجاريّ كان يربط بينهما لا أكثر، لأن حضرموت تسيطر على مناطق إنتاج اللبان ومعين بيدها مقاليد الطرق إلى الشمال.

ولكن ابتداء من ظهور لقب " ملك سبأ وذو ريدان " لا نكاد نسمع ذكر لمعين أو " قرناو " ولا نجد لها ذكر فيما وصل من أخبار حملة "اليوس جالوس (24 ق م)، ولعل أنها زالت قرب نهاية القرن الأول ق م (2)

ج- دولة قتبان

أرجع الباحثون بدايات هذه الدولة إلى منتصف القرن التاسع والسابع ق م، ولكن وجودهم الاجتماعي ونشاطهم الاقتصادي يرجع إلى ما قبل ذلك بقرون، فلقد توصل

---

(1)- محمد عبد القادر بافقيه, المرجع السابق, ص ص25-26

(2)-المرجع نفسه،ص ص 27-32

ألبرايت(Albright) وآخرون في تنقيباتهم إلى بقايا كتابات قتبانية بموقع هجرين حميد. اتجهت بعض سطورها من اليسار إلى اليمين مما يعني قدم عهدها.

وأرجع أسلوب كتابتها إلى القرن العاشر ق م (1)،أما أقدم النقوش القتبانية التي تظهرها ككيان سياسي تعود إلى ما بين القرنين السابع والخامس ق م، كانت تحمل اسم الملك " المكرب سمه علي وتر " 6ق م ،في هذه المرحلة كانت قتبان تسيطر على الشريط الساحلي من باب المندب حتى من وراء عدن إلى الشرق، وبفضل إنتاجها المتوفر للبخور استمتعت قتبان بمرحلة من الازدهار والرخاء الاقتصادي قد وضعها سترابون من بين أشهر الدول في إنتاج البخور(2).

د- دولة حضرموت

شغلت منطقة واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة استفادت من واد حضرموت الذي كانت تجري فيه بضعة أنهار صغيرة منها نهر " ميفع " ،كما استفادت من ساحل طويل على بحر العرب (المحيط الهندي)، ومن بين موانئها " قنأ "وسماه الإغريق (Cane) "كاني" .(3).

وحسب تقدير فلبي(Felipy)اندمجت حضرموت في مملكة قتبان في عهد ملكها" السمع ذبيان بن ملك كرب " 650-590 ق م وبعدها دخلت ضمن " سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت " (4) ودخولها في أقاليم عديدة ،جعل الباحثون يختلفون في تحديد إطارها الزماني ،عاصرت حضرموت الدولة المعينية ،وظلت تعرف بهذا الاسم قرونا طويلة بدون انقطاع و لم يزل الاسم بزوال المملكة كما حدث لشقيقاتها.

---

(1)- عبد العزيز صالح,تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة, القاهرة 1992, ص 71.

(2)- محمد عبد القادر بافقيه, المرجع السابق, ص ص33-35.

(3)- Strabon, op cit, XVI, 4-2

(4)- بلقاسم رحماني المرجع السابق ج2 ص ص119- 120

و- دولة سبأ

ذكرت سبأ دون غيرها من الممالك اليمنية القديمة في القران الكريم في سورة "النمل " وسورة تحمل اسمها (سورة سبأ)* ومع ذكرها أيضا في التوراة تلقت هذه الدولة الأهمية الكافيّة من قبل بلين(Pline)، وسترابون أين وصفها بخصوبة أراضيها وتمتع شعبها بخيرات وعائدات تجارتها (1)، ولا شك أنّ النقوش السبئية هي أوثق المصادر التي يمكننا الاعتماد عليها والتي تقدر في السبعينات من القرن الماضي ستة ألاف نقيشة .

تعددت الآراء حول تحديد بداية هذه المملكة، لأن أقدم نقيشة لها تعود إلى القرن العاشر ق م، وبالتالي هذه الحقيقة تتعارض مع قصة سيدنا سليمان وملكة سبأ** التي يجمع المختصون بأنها حدثت في القرن العاشر ق م، ولكن هذا لا ينفي وجود السبأيين في الأراضي المجاورة لمأرب منذ وقت مبكر، ربما لم يعرفوا الكتابة قبل القرن الثامن ق م .

حددّ الباحثون العصر السبئي الأول من (800ق م – 650ق م)، وفي هذه المرحلة حمل حكام سبأ لقب " مكرب " أي مقرب ولعب الملك دور الوسيط بين الشعب والإله وكانت " صراوح " عاصمة المكربين، بينما يمتد العصر السبئي الثاني من (650- 115 ق م)، وكان" كرب ايل وتار " أخر من حمل لقب "مكرب " و أول من سمي " الملك "(2).

و تعتبر فترة حكم هذا الملك حافلة بالتشييدات الاقتصاديّة من مشروعات الريّ وحفر القنوات ،كما وسع حدود دولته وأدخل ضمنها (أوسان والمدن المعينية وبعض القبائل الأخرى) وتلخص أعماله كلها في" نقش النصر " بمدينة صراوح (3).

---

*قال تعالى " لقد كان لسبأ في مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور " سورة سبا الآية15.

(1)- Strabon, op cit, XVI, 4,12

**وردت تفاصيل زيارة ملكة سبأ لسيدنا سليمان وعن الهدايا التي قدمتها إليه من عطر وذهب وأحجار كريمة وحتى الحوار الذي دار بين الطرفين في التوراة سفر الملوك الأول

(2)- بلقاسم رحماني المرجع السابق ج2 ص121.

(3)- أحمد فخري المرجع السابق ص ص 163-164

- أما العصر الثالث هو حكم(دولة سبأ وذي ريدان)، أو ما يعرف بالدولة الحميريّة الأولى حوالي (115ق م- 300م)، سميت بالدولة الحميريّة لبروز قبيلة حمير على مسرح الأحداث ،وهذه المرحلة من أشدّ فترات الجزيرة العربيّة تشوشا وهذا بسب رغبة بعض القبائل في الحكم من بينها (سيخم – خولان ... الخ).(1)

-(دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)، هي أخر دولة في اليمن القديم وتعرف بالدولة الحميريّة الثانية حوالي (300م- 525م) حسب صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري سيطر الحميريّين على سواحل العربيّة الجنوبيّة واحتلوا منطقة عزانيا (Azania) في الساحل الشرقي الإفريقي. (2)

بدأ الضعف يظهر في كيان هذه الدولة في الربع الأخير من القرن الأول ق م، بعدما أصبح الرومان خطرا بالنسبة لهم بتمركزهم في مصر وقربهم للبحر الأحمر، كما كان للتسرب الحبشي منذ القرن 2 ق م، دور في إضعاف الدولة الحميرية حتى سقوطها حوالي 525 م.

3- المظاهر الحضارية اليمنية

أ- الحياة الدينيّة

نلمس في بعض الأسماء الوثنيّة المشتركة بين الشمال والجنوب احتمالات وجود أصل مشترك تعود إليه تلك المعتقدات، حيث تشبه الديانة اليمنية إلى حد كبير الديانات التي انتشرت بين سكان الوديان في العراق ومصر، و نجدها تربط ما يحدث للزرع والسماء وكان "القمر" و"الشمس" من أشهر ألهتهم (3).

---

(1)- محمد عزة ورزة المرجع السابق ص ص63-64

(2)-المرجع نفسه ،63-69.

(3)- عبد الطيف عبد الهادي السيد موسوعة التاريخ الإسلامي (الكتاب الأول) جزيرة العرب قبل الإسلام عصر الجاهلية، ليبيا، 2008، ص124.

تنقش أسماء الآلهة على الآثار النذريّة وشواهد القبور في كثيرمن الأحيان نجد بعض الآلهة تتكرر في أثار ومناطق أخرى فكثير ما ينقل التاجر معه اله قبيلته ليحميه من عناد الطريق الطويل، لم يترك لنا القدماء اليمنيين على أثارهم رسومات لألهتهم سوى الرموز المعبرة عنها ،غالبا ما تكون حيوانات مقدسة (الثور – الوعل – الثعبان – النسر ...الخ) نجدها في بداية أو نهاية النص (النقش). (1)

أول ما يجدر الإشارة إليه ،هو أنّ الديانة اليمنية كانت ديانة فلكية كبقية ديانات الشعوب السامية الشمالية، ومهما اختلفت أسماء الآلهة عند قبائل اليمن وممالكها يمكن إدراجها تحت احد أجزاء ثالوث (الزهرة – الشمس – القمر).

-الإله ايل : اله مشترك لكل المجتمع السامي وهو أقدم أسماء كافة الآلهة القديمة أول نقيشة تحمل هذا الاسم تعود إلى العهد الأكدي الألف الثالثة ق م.

- اله القمر : اله رئيسي لقدماء اليمنيين له أهميّة عظمى، لأنّه المرشد للقوافل في الطرق الصحراويّة الطويلة أثناء الليل، وله تسميات تختلف من مملكة لأخرى المقه (اله السبئيين)، سين (إله رسمي لحضرموت) ولفظ (س ي ن) سبق أن أطلقه الأكاديون والبابليون على ألهتهم وهذا كان اله سامي قديم كان واسع الانتشار.

- اله زهرة (عثتر) : عبدته كل الشعوب السامية تحت اسم واحد نجده مذكر عند عرب الجنوب ومؤنثا عند عرب الشمال

- الالهة الشمس : عموما هذه الآلهة كانت تحتل المرتبة الثالثة في ترتيب المعبودات اليمنية (2) .

وكانت معابد صراوح ومأرب دليل على اهتمام الممالك الجنوبيّة بتشييد معابد ضخمة وأنيقة، حيث كان لكل قبيلة معبد سواء داخل سور المدينة أو خارجه وقد تفنن اليمنيّون في

---

(1)- اسمهان سعيد الجروا ،دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم ،دار الكتاب الحديث ،2003، ص130

(2)-نفسه،ص ص 130-150.

تصميم معابدهم حتى أصبحت موضوعا مقدسا وهيبة ورهبة ،وكانت هذه المناطق تستقبل الناس للعبادة وإقامة الشعائر الدينية وتقديم الهيبات والقرابين التي تكون عبارة عن حيونات أو حرق البخور. (1)

ب- الكتابة

يعتبر خط المسند (الصورة رقم5) ،من الخطوط العتيقة في الجزيرة العربيّة ولم يقتصر استعماله على اليمن فحسب، بل استعمله العرب خارج بلادهم وأبرز المناطق التي عثر فيها على وثائق مسندية " قصر البنات " على طريق القنا ونقش أخر" بالجيزة " في مصر يعود إلى السنة الثانية و العشرين، من حكم بطليموس بن بطليموس ووصل هذا الخط العربي الأصيل إلى جزيرة " ديلوس " اليونانية، كما ذكر السائح الانجليزي " وليام كنت لوفتس William Kennett Loftus بأنه وجد حجر كتب بالمسند في قبر الوركاء بالعراق .(2)

يمكننا أن نميز بين أربع لهجات كتبت بالخط المسند وهي: (السبأية- القتبانية – الحضرمية – المعينية)، وتعتبر السبأية أقدمهم جميعا ،أقدم وثائقها تعود إلى القرن الثامن ق م وعرفت السبأية أوج اتساعها في عهد الملك " كرب ايل وتر " ولم تزول عند سقوط الدولة السبئية وتبناها الحميريّين واستمرت حتى القرن السادس م ،وأعتمد عليها الأحباش في عهد دخولهم اليمن. (3)

تتكون أبجديّة المسند من 29 رومزا للحروف، تمثل أصوات الحروف العربية الحديثة بزيادة صوت واحد ينطق من مخرج قريب من السين أي بين (السين و الشين)، وتمثل نقوش المسند مستوى عال من الدّقة والجمال ولا يعرف أحد حتى اليوم تاريخ بداية هذا الخط ، أما طريقة الكتابة في الغالب تكون من اليمين إلى الشمال وحتى في النصوص

---

(1)- S. Moscati, Histoire et Civilisation des Peuples Sémitique, op cit, P183.

(2)- جواد علي، المرجع السابق،ج8، ص 202

(3)-(R) Christian, « Les Langues de la Péninsule Arabique », In : R. M.M. M, N° 61, 1991, PP93-96.



الصورة رقم(5):الخط المسند

القديمة التي كتبت بالطريقة الحلزونية ويفصل بين كلمة و أخرى عمود رأسي " ا" وعند دخول حرف ذي مقطع واحد كحرف الجر (ب) و(و) العطف في الغالب يفصل بينه وبين الكلمة التي يدخل عليها بالعمود مثل (وب /عثتر).(1)

وتتميز أبجدية المسند بالأصوات الصامتة، لأن اللغة اليمنية موقوفة لا يوجد فيها إعراب على أواخر الألفاظ وهي خطوة متطورة بالنسبة للسامية الأم (2)

عرف المسند فروع انتشرت في شمال شبه الجزيرة العربية (اللهجة الثمودية) بمدائن صالح والجوف (اللهجة اللحيانية) في العلا ددان و(اللهجة الصفوية) جنوب شرق دمشق وكلها اعتمدت على خط المسند(3)، وهناك من يطرح احتمال تفرع أبجديّة المسند من الخط الفينيقي بسبب التشابه البالغ الذي يجمع بينهما، وإن وجدت هناك اختلافات صغيرة بين الخطين هذا راجع إلى الظروف التي تحيط بالفينيقيين وظروف اليمنيين ولا شك أن ذلك كان بسبب دخول بعض المفردات من لغات أخرى ،وكما هو معروف الكتابة تتماشى مع طبيعة الأصوات .

ج- العمارة والفنون

تحدث الكلاسيكيون كثيرا عن ثراء العربيّة الجنوبيّة خاصة بلين* وسترابون** ربما تعرضت هذه النصوص للنقد والرفض قبل بداية الأبحاث الأثرية والتي تعود إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر، وبعد ذلك أصبح العالم يعرف أكثر عن حقيقة هذه الحضارة التي كادت أن تزول إلى الأبد لو لا جهود علماء الآثار أمثال جليزر وهالفي.

---

(1)- أحمد فخري, المرجع السابق, ص ص 191-197.

*أرجع بلين سبب تسمية اليمن بالعربية السعيدة إلى ثروتها الهائلة وتمتعها بعائدات البخور .cit ,XII,30-1-1,. Pline,op

**لانخفي ما ذكره سترابون نقلا عن أرتيميدور أنّ التجارة هي التي جعلت سكان العربية السعيدة يعيشون في قصور أنيقة ويستعملون أواني من ذهب والفضة ويزينون السقوف والأعمدة بالعاج والأحجار الكريمة .19-strabon,itcop,XVI,4

(2)- حسين ظاظا, المرجع السابق, ص 119.

(3)-المرجع نفسه،ص119.

كانت الفرصة للأثري أحمد فخري أن يكوّن فكرة عن العمارة اليمنية أثناء زيارته للمنطقة في الأربعينيات من القرن الماضي. وصف أثار مدينة مأرب المبنيّة بأحجار ضخمة وبقايا تماثيل وكانت الأعمدة حاضرة بشكل كبير في العمارة اليمنيّة التي ربما كانت تستعمل كركائز لسقوفها الثقيلة، ولكن هذه الثروة الأثريّة تعرضت لعمليات النهب والتخريب ،كما اعتبرها البعض مصدر رزقهم بالإتجار بها.

لقد اهتم ملوك اليمن بأشغال البناء وتقريبا كل النقوش تتحدث عن أعمالهم في هذا المجال ،حيث نجد نقش جليزر المرقم (418-419)الذي يحمل معلومات حول الترميمات التي قام بها الملك " كرب – ايل – وتار " على سد مأرب كما أمر ببناء بوابتين و بعض الأبراج. (1)

تطوّرت العمارة اليمنيّة بوفرة المواد الأوليّة التي يعتمد عليها، فالمنطقة غنيّة بأحجار قابلة للنقش والنحت وصالحة للبناء، كما توفرت المواد المساعدة الأخرى كالجبس ولهذا قامت في اليمن بيوت مرتفعة ذات طوابق لا يزال أهل اليمن يهتمون بهذا النوع من القصور.

تعرف المدينة في اليمن " بالهجر " وذكرت في النقوش بهذه الصيغة (ك ه ج ر/ م ر ي ب) بمعنى المدينة مأرب، ونشأت المدن في منطقة توفرت فيها شروط الحياة سواء على سفوح الجبال أو على ضفتي الوديان وعلى السهول الساحلية، وغالبا ما تبنى على مناطق محصنة طبيعيا وبرزت المدن اليمنيّة على أطراف الأودية الشرقية كمراكز حضاريّة وعواصم للممالك اليمنيّة (مأرب) عاصمة سبأ (شبوة) عاصمة حضرموت (تمنع) عاصمة قتبان (قرناو) عاصمة معين ونجران المدينة التجاريّة. (2)

وقد كشفت البعثة الأثرية الفرنسيّة سنة 1979 في منطقة (مشعة) الواقعة على أحد الروافد الجنوبية لواد حضرموت على ثلاث بنايات ضخمة في حالة جيدة ،بها قاعدة

---

(1)- محمد عبد القادر بافقيه, المرجع السابق, ص ص165-166.

(2)- أسمهان سعيد الجروا ,المرجع السابق, ص 195.

تتكوّن من قطع حجريّة ضخمة وطوابق عليا منظمة حول رواق مركزي موجه حسب المحور الأساسي للبناء ومادة البناء تتكون من اللبن والأجر، أما بالنسبة للأرضية فكانت مؤلفة من التراب المرصوص على اللبن وفي بعض الأحيان مطلية بالجبس أو بالحصى أما الطوابق العليا فالأرضية مكونة من التراب المرصوص فوق حصيرة من سعف النخيل .وقد تبلط الجدران مزينة بالزخارف والرسومات الملوّنة وخاصة جدران الممرات والسلالم وأرخت هذه العمارة بالقرن الثامن ق م (1).

اعتمد اليمنيّون على البناء الرأسي ،وذلك ربما لغرض الدفاع عن النفس، لأن المدن كانت تتعرض لاعتداءات ونزاعات قبليّة وحرصوا على الإحاطة بالمدن بأسوار دفاعية لرد الخطر الخارجي ،أما الغرض الثاني فهو حرص سكان تلك المناطق على استغلال أكبر قدر ممكن من الأراضي في الزراعة كون اليمن عبارة عن شريط ينحصر بين البحر والمرتفعات من جهة وبصحراء الربع الخالي من جهة أخرى.

برع أهل اليمن في صناعة الخزف والزجاج والفخار وأواني الشراب كالجرار و أروع ما قاموا به، هو تصميمهم لبعض التماثيل الصغيرة لرجال ونساء وأطفال بعضها من الحجر، والبعض الأخر من المعدن تعكس لنا هذه التماثيل طبيعة المجتمع اليمني وثقافته من خلال الملبس والحلي.

فنن اليمنيّون في صناعتهم لأنواع عديدة من المباخر المنقوشة التي خصصت كل واحدة منهما لنوع من البخور وميزوا بينها عن طريق كتابة أسماء البخور التي تحرق فيها، إضافة إلى ذلك مذابح مصنوعة من المرمر بكل دقة (2).

لا يقتصر الفن اليمني على هذه القطع، بل نكتفي بذكر أمثلة عنها ولكن ما نستطيع أن نقوله في نهاية حديثنا عن موضوع العمارة والفنون في اليمن القديم رغم انعزال هذا

---

(1)-(J-F) Berton : « Rapport sur une mission archéologique dans le wad Hadramaout Yémen de sud en 1979 » In :C.R.A.I, Paris 1980, n°1, Volume 124, P80

(2)- بلقاسم رحماني،ج1 ،المرجع السابق, ص ص 160-161.

المجتمع عن مواقع أكبر حضارات العالم القديم، إلا أنه استطاع أن يكون شخصيته ويترك بصماته في أثار مرّت عليها الآلاف من السنين. وتحدث الفنان اليمني من وراء كل قطعة صنعها بيده وأعطى لها حلّة بذكائه المتميز، ومن خلال تفكيره واعتقاده يظهر بأنه جزء من الأقوام الساميّة التي انتشرت في الهلال الخصيب عامة والساحل الفينيقي خاصة.

د- المنشآت الاقتصاديّة

تعتبر السدود من أهم المنشآت الاروائية التي أقامها القدماء اليمنيون، تتباين مواد بناءها فنجد بعضها مبني من الرمل أو الحصى أو الطين، والبعض الأخر من الحجارة الضخمة وهو أكثر تطوّرا ويمكن تقسيم السدود إلى نوعين :

- السدود التحويلية: تستعمل أساسا لرفع منسوب ميّاه السيول المندفعة في المجرى على الأراضي الزراعيّة.

- سدود خزن وتصريف : تقام في أضيق مكان من الوادي في الموقع الذي يهدأ عنده اندفاع السيل، والهدف من بناء السدود هو رد خطر السيول التي قد تهدد القرى وتجرف التربة والاستفادة من تلك المياه لرّي الأراضي الزراعية في فترة الجفاف. (1)

وحسب البعثة الألمانية التي قامت بدراسة سد مأرب يعود تاريخ انجازه إلى القرن السادس ق م، وتوجد بقايا لسدود قديمة بنفس المنطقة أرخت بحوالي2400ق م وإن كان هذا التأريخ صحيح يمكن أن نعتبر اليمن مهد السدود في العالم .

كما توصلت البعثة الأثرية الفرنسيّة سنة 1993 إلى بقايا أثار لسدين في أحد الأودية بجنوب اليمن ،وكانت تظهر عليهم طبقات عديدة من الجبس تدل على ترميمات عديدة في أزمنة مختلفة، ومن المؤكد أنّ هذه المعالم تحتوي على قنوات صرف الميّاه لإخراج ما هو

---

(1)- أسمهان سعيد الجروا, المرجع السابق, ص 219.

فائض أثناء الفيضان، قنوات أخرى تستعمل لتنقية السد من الرواسب، كما توجد قنوات لتوزيع المياه على الأراضي الزراعيّة. (1)

لم تكن وظيفة هذه السدود لتخزين المياه فقط، بل أكثر من ذلك بيّن فيها اليمني القديم فهمه للظروف المناخيّة التي تعيشها المنطقة واستعملها للتحكم في السيول الجارفة نتيجة الفيضانات العنيفة التي قد تتسبب في تخريب القرى وإتلاف الأراضي الزراعية. ولإنجاز مثل هذه المعالم يجب أن يكون صاحبها ذات دراية باتجاه التيارات في الأودية.

1- نظام المدرجات الزراعية

ترى عالمة الآثار الفرنسية جاكلين بيران (J-pirenne) بأن الزراعة في اليمن القديم عرفت بداياتها الأولى في المرتفعات منذ الألف الثالثة ق م، ،لأن الظروف المناخية ملائمة والزراعة في هذه المناطق لا تحتاج إلى وسائل الري التي لا يستطيع أن يستغنى عنها سكان الأراضي المنخفضة.

نجد بعض علماء الآثار يرجعون تطوّر وسائل الري في المنخفضات ،ودخول الزراعة إليها إلى سكان المرتفعات، لأنهم بحاجة إلى أراض زراعية أخرى وباعتبار الأراضي المنخفضة دائما تتعرض لجرف السيول، اعتمدوا على السدود وقنوات صرف الميّاه للحد من مشكل الفيضان من جهة، والاستفادة من مياه الأمطار من جهة أخرى، وأخيرا لتوسيع المجال الزراعي .(2)

لم يضعف المزارع اليمني أمام منحدرات الجبال، بل برع في بناء مدرجات زراعيّة بالطمي و الأحجار التي يجلبها من ضفتي الوديان، كما استغل مجاري الأنهار القديمة التي تحولت إلى أراض خصبة بفضل تراكم الرواسب فيها. (3)

---

(1)-(H) Dridi, (C-J) Robin : « Deux Barrages du Yémen Antique », In C.R.A.I, Paris 2004, Volume 148, N°1 PP67-79.

(2)-(M) Mouton : « Irrigation et Formation de la société des basses – terres du Yémen », In : R. S, Volume 81 N° 81, Paris 2004, P84.

(3)- بلقاسم رحماني, المرجع السابق ,ج 2, ص 152

2- التجارة :

تحتل العربية الجنوبية موقع جغرافي هام تتوسط قارات العالم القديم، كما يحيط بها ثلاث واجهات بحرية جعلت من سكانها أكبر الملاحين في العالم القديم، ومن المؤكد انّ عرب الجنوب قد عرفوا سر الملاحة في المحيط الهندي وعنهم عرف اليونان القدماء هذا السر المتمثل في هبوب الرياح الموسمية .(1)

اشتهر اليمن بحكم خصائصه المناخية بتوفير أنواع مختلفة من النباتات والأعشاب ذات الروائح الطيّبة والفوائد الصحيّة ومن أهم تلك السلع " اللبان " و" المر " وهي مقدسة لدى اليمنيين بدليل أنّ الملك كان يشرف على تجارتها مباشرة ،كما اشتهرت سلعة " اللادان " و"المر" و"الكندر" والطيوب الأخرى ووجدت إقبالا واسعا في كل بلاد الشرق الأدنى وحوض المتوسط ودخلت تلك الطيوب في تحضير العقاقير الطبيّة وتحنيط الموتى وفي تأدية الطقوس الدينية، وأعتبر محصول البخور المسير الرئيسي والمصدر الهام لثروة الدولة اليمنية حيث ساعد على المبادلات التجارية ووسّع العلاقات الثقافيّة .

تحدثت كثيرا من المصادر الإغريقية والرومانية عن النشاط الاقتصاديّ اليمني وهذا خير دليل عن انتشارها وتوسع خريطتها حتى وصلت إلى جزر بحر إيجه، ولقد حدثتنا التوراة عن زيارة ملكة سبأ للملك سيدنا سليمان وعن الهدايا التي قدمتها الملكة له وأكدّ القرآن الكريم هذه الرواية *.

أما المصادر المصرية، فقد زودتنا بمعلومات تخصّ صلات الفراعنة بمناطق إنتاج البخور وكان ذلك منذ عهد الملك ساحورع حوالي 2470ق م. وتعتبر القافلة التي أرسلتها الملكة حتشبسوت أروع مثال، بفضل تفاصلها المرسومة على جدران معبد الدير البحري تلقى جزية من الملك السبئي (أتي أمر) ،أما في عهد الملك " سنحاريب " فقد استقبل

---

(1)- أنوار عبد العليم, الملاحة وعلوم البحار عند العرب, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, 1979, ص18.

*قال تعالى "فمكث غير بعيد فقال أحطت بماكم يحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين (22)إني وحدت امرأة تملكهم وأتيت من كل شيئ ولها عرش عظيم (23) القران سورة النمل الآية (22)-(23).

مندوبا من الحاكم السبئي (كريبي إيلو) محملا بالهدايا. وأجمع العلماء على أنّ المليكين السبئيين هما نفسهما اللذان جاء ذكرهما في النقوش السبئية (يثع أمر) و(كرب إيل) من حكام سبأ الأوائل. (1).

تمثل هذه المرحلة حكم مكربي سبأ الذين توسّعوا على حساب أراضي الممالك الأخرى، وأصبح سلطانهم يمتد من نجران شمالا حتى السواحل الجنوبيّة لشبه الجزيرة العربيّة ومن سواحل البحر الأحمر حتى حضرموت حيث سيطرت على التجارة الداخليّة والخارجيّة .(2)

ولم تتراجع مكانة التجارة اليمنيّة، إلاّ بتواجد الإغريق ثم الرومان في مصر، وقد أشار إلى ذلك الكلاسيكيون ،أمثال هيرودوت منذ القرن الخامس ق م وسترابون الذي أرجع سبب حملة "إليوس جالوس " على العربيّة الجنوبيّة والحبشة إلى رغبة" أغسطس " في السيطرة على خيرات هذه المناطق مباشرة (3)

ولولا معرفة سكان شبه الجزيرة العربيّة لتقنيات الريّ وقدرتهم على تنظيم التجارة، لما كانوا يصلون إلى الثراء الذي كان نقمة لهم خاصة بعد دخول الإغريق ثم الرومان إلى مصر.

اهتم اليمنيّون بتأسيس مجموعة من المستوطنات خارج إطارهم الجغرافي، تبين بأن السبئيين استوطنوا بعض الأراضي في شرق إفريقيا، كما أسست بعض القبائل العربية ممالك في شمال شبه الجزيرة العربية.

---

(1)- أسمهان سعيد الجروا ,المرجع السابق, ص ص 53-54.

(2)- مهوب أحمد غالب كليب, المرجع السابق,ص336

(3)- Strabon, op cit, 16, 4,22.

II-عوامل التوسع اليمني

لقد كانت وراء حركة الهجرة التي عرفها المجتمع اليمني القديم، مجموعة من الأسباب التي جعلتهم يتضايقون ويتركون الوطن الأم بأرض جديدة للاستعداد لحياة أفضل وذلك بتأسيسهم لمجموعة من المستوطنات ذات طابع عربي جنوبي، ولفهم هذه الظاهرة حاولنا أن نبحث في أهم ميادين يرتكز عليها تطور كل المجتمعات ،والتي تتلخص في أربع عوامل هي : (جغرافية – اجتماعية – اقتصادية – سياسية) .

1- العامل الجغرافي

لقد أثبتت الدراسات الجيولوجيّة أنّ كل الأقاليم المحاطة بالبحر الأحمر والخليج العربي كانت تشكل كتلة واحدة من الناحية الجيولوجية ،وهي نطاق متصل من الأرض قبل تكوّن البحر الأحمر، والدليل هو ذلك التشابه والتناسق بين تعرجات ساحل البحر الأحمر الإفريقي والأسيوي ،وهي تدخل ضمن قارة "جندوانا" ما بين130 و 140 مليون سنة في حوالي أواخر الزمن الجيولوجي الثاني. (1)

وحتى بعد تكوين البحر الأحمر، فإنه لم يكن يوما ما عائقا أمام الهجرة اليمنية إلى شرق أفريقيا، خاصة في جزئه الجنوبي أين توجد أضيق أماكنه المعروفة بمضيق" باب المندب" و تنتشر فيه مجموعة من الجزر فتجعل الانتقال أمرا ميسورا(2) .

ولما كانت الملاحة تتعذر على من يجهل سرّ الريّاح الموسمية ،فمن المؤكد أنّ عرب الجنوب ،قد فهموا هذا السرّ وتوارثه ملاحوهم جيل بعد جيل ولم يجدوا أيّة صعوبة في الانتقال .فالريّاح الشماليّة الشرقية في الشتاء تحملهم إلى ساحل إفريقيا الشرقي والريّاح الجنوبية في فصل الصيف ترجع بهم إلى الساحل اليمني .

---

(1) – محمد خميس الزوكة , جغرافية حوض البحر الأحمر,الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2003،ص39 .

(2)-لطفي عبد الوهاب يحي ،العرب في العصور القديمة ،مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ط1،بيروت ،النهضة العربية ،1979،ص91.

وكان للظروف التضاريسيّة دور في تحديد طرق الهجرات اليمنية من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الحبشة ، فبوجود مجموعة الهضاب والمرتفعات أصبحت السهول ضيقة بينها وبين البحر، وبالتالي يعوق الاتصال بين المنطقة الساحلية والأراضي الداخلية وانعزالها عن قلب القارة الإفريقية(1)،ولقد كان الشريط الساحلي الضيق هو مقصد القبائل العربية ولكن بمرور الزمن تعرفت على مختلف جهات المنطقة وأصبحت تتوسع على حساب الأراضي الداخلية التي لم تكن معروفة لديهم من قبل .

بما أن سواحل البحر الأحمر كانت تشكل كتلة واحدة على الجانبين الإفريقي والأسيوي ، إذن رغم انشقاق الأرض ودخول مياه المحيط الهندي إليه لم يؤثر في مناخ المنطقة، بل التشابه في الظروف المناخية بين جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وساحل إفريقيا المجاور كان له الدور في تنشيط الهجرات ،ولا يحتاج المهاجر إلى فترة زمنية للتأقلم مع طبيعة المنطقة فالمناخ الموسميّ يسود في كلّ من اليمن والحبشة .

ويتميّز حوض البحر الأحمر أيضا بالتباين الكبير في المظاهر الطبيعية التضاريسية والمناخيّة والنباتيّة، مما أدى إلى خلق أنماط متنوعة من الإنتاج الاقتصاديّ تؤدي إلى خلق تكامل اقتصاديّ قويّ. و بالتالي الإنسان بحاجة إلى حركيّة مستمرة من أجل الحصول على مستلزمات الحياة التي ربما لا تتوفر في مجاله الجغرافيّ.

ومن جانب آخر يجدر الإشارة إلى أنّ المساحات الزراعيّة في اليمن محدودة، و كان ارتفاع الكثافة السكانيّة دافع للبحث عن أراض جديدة، تستغل لتلبيّة حاجيات المجتمع لذلك كانت إفريقيا الشرقية مقصد هؤلاء، باعتبارها معروفة لديهم أو بتعبير آخر جزء من أراضيهم وكان البحر الأحمر وسيلة اتصال بينهما .

و بما أنّ التجارة هي أساس الحياة الاقتصادية في المجتمع العربيّ الجنوبيّ. فإنّ سلع اليمن المشهورة كالطيوب والتوابل تمكن التاجر اليمنيّ من التعرّف على مساحات شاسعة

---

(1)- رحماني بلقاسم, المرجع السابق, ج 2 ,ص 105.

من قارات العالم القديم ووصلت عن طريق البرّ والبحر إلى مصر وسورية ومن الشواطئ السورية عبر المتوسط إلى بلاد اليونان والرومان(1)

كما أن موقع اليمن الجغرافيّ جعل منها همزة وصل بين الشرق والغرب لتمرّ بها الطرق التجاريّة، سواء في تلك البريّة التي تخترق شمالي شبه الجزيرة العربية متجهة إلى الساحل الفينيقي أو الطرق البحرّية التي تأتي من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر.

وبالتالي نستنتج بأنّ العامل الجغرافيّ كان له دور في تشجيع الهجرات البشريّة إلى مناطق جديدة، كما كان له دور في احتكاك المجتمع اليمنيّ بالمجتمعات الأخرى بفضل تجارته المربحة أو عن طريق مرور السلع التجارية والتجّار عبر أراضيها التي هي معبر أساسي لكلّ المنتجات الشرقيّة إلى الشمال أو إلى الغرب.

2- العامل الاجتماعي

لقد كان للموقع الجغرافي اليمني دور كبير في الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها سكان المنطقة، إذ عرف هذا الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربيّة نظاما سياسيا يختلف عن الأنظمة المنتشرة في الجهات الأخرى من الجزيرة العربيّة، وكان له تأثير على المجتمع اليمنيّ القديم.

و بفضل المساحات الممتدة من الأراضي الخصبة والأمطار الموسميّة الغزيرة، عرفت منطقة اليمن الأساس الاقتصادي المستمر (غابات طبيعيّة – زراعة – تجارة) هذه الظروف جعلتها تعرف كيف تكون مجتمعات كبيرة تتألف من عدة قبائل، وبالتالي تدخل في إطار ما يعرف بالممالك أو الدويلات وغالبا ما تكون السلطة بيد أقوى قبيلة.

وعاشت هذه التكوينات السياسية سواء كانت متعاصرة أو متعاقبة فيما بينها ،وكل واحدة بتخصصها، بمعنى بعض المناطق تنتج الطيوب والتوابل وبعضها ينتج نوعا آخر من السلع ، وعلى سبيل المثال الدولة المعينيّة في عهدها كانت تسيطر على الطرق

---

(1)- لطفي عبد الوهاب, المرجع السابق, ص 307.

التجاريّة إلى الشمال و بالنسبة لدولة حضرموت كانت بحوزتها أروع أراضي اللبان(1).

لذا نتج عن إتباع هذه السياسة وقوع نزاعات داخليّة بين الدويلات اليمنيّة، وكثر التنافس بين الحكام، مما جعل اليمن معرض لمشاكل داخليّة غالبا ما كانت تؤول إلى حروب طاحنة تستنزف فيها الإمكانيات البشرية وتدخل ممتلكات الدولة المهزومة في طاعة المتفوّقة، وكما هو معروف في المجتمعات العربيّة القديمة أن الأسرة الثريّة هي التي تملك أراضي خصبة أو تجارة مربحة أو تسيطر على الطرق التجارية.

ولقد تحدث " سترابون "عن احتكار الأسرة الوحيدة لأراضي الطيوب وكانت السيطرة في يد الأخ الأكبر (2) وتكرر الحديث في هذا الأمر عند" بلين" في ذكره لملكيّة جماعيّة بين ثلاثة ألاف أسرة لأشجار الطيوب (3).

و إن جعلنا هذه الطبقة في المرتبة الأولى من الهرم الاجتماعي اليمنيّ، فأننا نستنتج بأنّ هناك طبقات أدنى منزلة من الأولى، تستعمل من طرف هؤلاء الأغنياء كثروة بشريّة يستغلونها كيد عاملة في أراض جديدة. وكان هؤلاء البسطاء هي الوسيلة في تطوير أنشطتهم خاصة التجارة التي كانت تلعب دورا هاما في حياة المجتمع اليمنيّ الذي يمثل الوسيط بين تجارة المحيط الهنديّ و البحر الأبيض المتوسط.

يجمع أغلب الدارسين للمجتمع اليمنيّ القديم، أنّه ينقسم إلى طبقات متفاوتة وكان الملوك - رجال البلاط – رجال الدّين – قادة الجيش – كبار الحكام – سادات القبائل هم المتمتعون بالامتيازات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة.

- أما الطبقة الثانيّة و تتألف من السواد وهم غالبيّة النّاس، فلا يملكون من الأراضي إلاّ المساحات الصغيرة والبيوت التي يسكنون فيها.

---

(1)-محمد عبد القادر بافقيه ,المرجع السابق, ص ص 27-32

(2)- Strabon,op cit, XVI,4 -25

(3)- Pline Ancien,op cit, XII,54.2

-الطبقة الثالثة هي الأدنى منزلة في المجتمع اليمنيّ ،وتتكون من الحرفيين – الصنّاع – العبيد – وكانت نظرة العالم آنذاك للحرفيين بالإحتقار. (1)

و إن تمعننا أكثر في البنية الاجتماعية اليمنيّة نستنتج بأنّ هناك القوةّ المنتجة والتي تشكل الجزء الأكبر من المجتمع اليمنيّ، أما الفئة القليلة المتبقية هي المسيطرة على أرباح البلاد وتمثل القوّة المستهلكة.

وإذا ما عدنا إلى النواة الأولى التي تشكلت منها الممالك العربيّة فهي "القبيلة" التي هي معروفة في كل أرجاء شبه الجزيرة العربيّة، ولكن نجد مفهوم هذا التكوين السياسيّ في اليمن يختلف عن مفهوم القبيلة الذي نعرفه ،فبالنسبة لمصطلح" القبيلة "في اليمن القديم فإنّه لا يدل على صلة القرابة بالدم، بل نجد بعض القبائل مبنيّة على أساس الروابط الاقتصادية أو روابط العمل(2) وهناك بعض القبائل تتكوّن من عشائر مختلفة ومن جماعات عمل تمثل مختلف الحرف (3).

و لكن حتى ولو اختلف المفهوم فالأساس يبقى. فعاملي العصبية والثأر قد أديا في مناسبات كثيرة من الصراع بين القبائل، ويصل في بعض الأحيان إلى فترات من العداء الصريح الذي يستمر عقودا بأكملها بين توتر أو منا وشات أو غارات كثيفة متبادلة سواء بين القبائل المتناثرة التي لم تدخل ضمن تكتل سياسي كبير (المملكة) أو بين أحد القبائل والمملكة، إذا كانت هذه الأخيرة في حالة ضعف .وفي الكثير من الأحيان يتعرض المجتمع اليمنيّ لغارات القبائل التي تأتي من الأراضي الصحراوية المجاورة شبيه بما كان يحدث للساحل الفينيقي. (4)

---

(1)- بلقاسم رحماني ،المرجع السابق ،ج 1 ،ص ص 68-69.

(2)- المرجع نفسه، ص 67.

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 141.

(4)-(Ch) Robin : « La pénétration des Arabes nomades au Yémen » ; In : R. M M. e M, N°61, 1991, PP71-88.

وقد أدت كل هذه العوامل إلى تعرض اليمن لاكتظاظ سكاني بسبب ضيق المساحات التي تستغلها الدويلات ،وكما أنّ ارتفاع عدد السكان يفوق إمكانيات الاستيعاب في البلاد وبالتالي تفشي الاضطرابات والخلافات داخل المجتمع ، وهجرة بعض القبائل بحثا عن ارض جديدة، هذا ما عرفته القبائل التي هاجرت إلى شمال الجزيرة العربية.

و نستنتج من كل هذا أنه رغم الاخضرار الذي تمتعت به الأراضي اليمنية إلا أنّ مشاكلها الداخليّة وضيق مساحتها لم يوفر لسكانها الاستقرار التام، ولم تعرف المنطقة استقرارا سياسيا وبالتالي كانت المناطق التي ربطت معها علاقات تجاريّة ملجأها الوحيد للتخفيف من الكثافة السكانيّة من جهة ، ولمزاولة نشاطهم التجاريّ من جهة أخرى

وحسب الآثار الباقية فإنّ الشرق الإفريقي وشمال شبه الجزيرة العربيّة وجزر بحر ايجه و ربما حتى الهند والصين، هي الأقاليم الجديدة التي رسخت فيها مبادئ الثقافة العربيّة الجنوبية ،كما كانت هذه الأقطار مصدر بعض التأثيرات الأجنبية التي عرفتها العربيّة الجنوبيّة .

<u>3- العامل الاقتصادي</u>

لعل ما يميّز المجتمع العربيّ بصفة عامة، واليمني بصفة خاصة ،هو تعلّقهم بالنشاط التجاريّ الذي جعل منهم وسطاء بين سلع متنوعة تبدأ من المحيط الهندي إلى حوض البحر الأحمر ومن جنوب الجزيرة العربيّة إلى الشام والعراق, بدون أن ننسى البحر الأبيض المتوسط.

وقد اشتهر اليمن بحكم خصائصه المناخية بتوفير أنواع مختلفة من النباتات والأعشاب ذات الروائح الطيبة والتي تستخدم لأمور عديدة سواء كانت صحية أو دينية ،كالبان والمر المتوفران بصفة طبيعية في منطقتي ظفار،و بعض الأراضي من حضرموت وإتقانهم لصناعة الطيوب والعطور، التي كانوا يتاجرون بها بصفة دائمة.(1)

---

(1)- اسمهان سعيد الجرو ،المرجع السابق ، ص 56

و بفضل هذه المنتجات تاجر قدماء اليمنييّن، و كوّنوا علاقات تجاريّة مع شعوب الحضارات القديمة كمصر – بلاد النهرين – حضارات البحر الأبيض المتوسط سواء عن طريق المسالك البريّة أو الملاحة البحريّة ،ولم يعتمد التاجر اليمنيّ على سلعه المحلية فقط بل غامر بحياته وقطع مسافات طويلة عن طرق البحر لجلب سلع لم تتوفر في إقليمه الجغرافيّ أو عدم قدرة المنتجات اليمنيّة أن تلبي كلّ متطلبات الشعوب الأخرى.

بحكم الموقع الاستراتيجي الذي يتمتع به اليمن ،ومعرفتهم لمختلف أسرار الملاحة البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، أصبحوا ينقلون البضائع الشرقيّة من الهند وسيلان (التوابل – الكافور – الفلفل – الزنجبيل – الحرير ...الخ) ،ومن إفريقيا الشرقية (العاج – ريش النعام – القرفة - ...الخ) ليصل جزء منها إلى مصر عن طريق البحر الأحمر.

وتماشيا بمحاذاة الساحل حتى منطقة "القصير" من هناك تنقله القوافل إلى النيل، أمّا بالنسبة للجزء الأخر يسلك الطريق البريّ الذي يبدأ من اليمن ليصل إلى العراق والساحل السوري حتى جزر البحر الأبيض المتوسط.

وبما أنّ المجال التجاريّ اليمنيّ كان واسع ، يجمع بين قارات العالم القديم ، فقد كان من الضروري تأسيس محطات تجاريّة خارج حدودها وتكون مواقعها سواء على طرق البريّة للحفاظ على سلامة التاجر من شقاء الطريق الطويل ومن غرات القبائل البدوية التي تعرقل النشاط التجاري ، كما نجد مستوطنات في ما وراء البحار في شرق إفريقيا ، ربما حتى في الهند والصين لأنّه لا يعقل أن يصمد البحار لطول السواحل من دون محطات تأويه من عناء السفر الطويل الذي يستغرق أحيانا سنوات.

بطبيعة الحال تتحوّل مجمل هذه المحطّات التجاريّة إلى مستوطنات تستقبل جاليات من اليمنيين وكانت جنسيتهم تلاحقهم أينما استقروا فكانوا يعرفون في مواطنهم الجديدة باسم المعينيين والسبأيين وتبقى بينهم و بين الوطن الأم في البداية علاقات و مصالح تجاريّة وتتطوّر العلاقات فيما بعد إلى حضاريّة بظهور جيلا جديدا يجمع بين ثقافة أجداده وثقافة المنطقة الجديدة.

ومن الأدلة التي تثبت وجود هذه المستوطنات على سبيل المثال نقش يعود إلى عهد الملك" تجلات فلاسير الثالث (744- 727ق م) الذي تحدث عن وصول نفوذ هذا الأخير إلى عدد من القبائل والمدن من بينها سبأ ثم يذكر في النقش ذاته أنّ هذه المناطق تقع في أقصى الغرب (لدولة أشور) (1).

ونفهم من هذا التصريح بأن هذه المناطق لا تعني الممالك العربية الجنوبية، بل هي مستوطنات أسست لأغراض تجارية، و كما تتكرر هذه النقوش في مواضع أخرى من شمال الجزيرة العربية ونجد منها :

كتابات يمنيّة (معينية) في موضع "العلا" في أعالي الحجاز ، وهي عبارة عن أسماء لآلهة معينيّة ،و يدل على هذا، أنّ المعينين نزلوا في هذا المكان وتركوا أثرا ثقافيّا في من اختلطوا بهم وجاوروهم ،وكان الغرض من تأسيس هذه المستوطنات هو توفير الحماية والخدمات للقوافل المارة من هذا الطريق(2)، و لم تتوقف الآثار المعينية في قارة أسيا، بل عبرت إلى جزر بحر ايجة خاصة جزيرة" ديلوس" التي تتوفر فيها نقوش معينية(3).الصورة رقم (6).

و من دون شك تعتبر هذه النقوش ذات أهمية كبيرة لأنها توضح لنا مدى اتساع المجال التجاري اليمني، وكذا أهمية السلع العربية في تجارة العالم القديم.

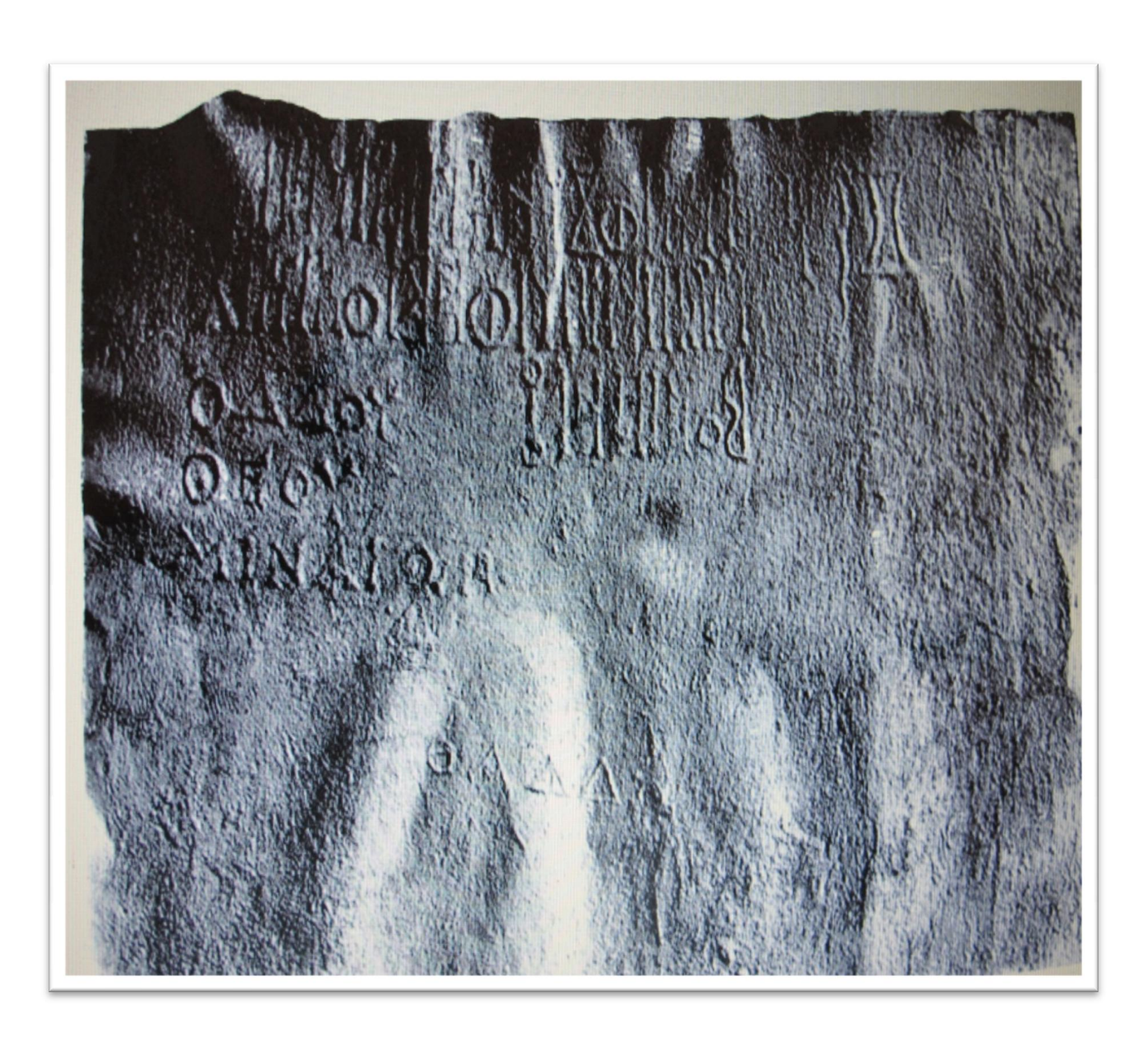
هذه الحقائق التاريخية تسقط بكل الآراء التي تجعل من شبه الجزيرة العربية منطقة معزولة عن العالم الخارجي ، ورغم بعدها عن مختلف جهات المعمورة بسب وقوعها بين ثلاث واجهات بحرية من جهة، وأصعب صحاري العالم من جهة أخرى، إلاّ أنّ التاجر اليمني لم يبقى عاجزا أمام كل هذه الظروف الشاقة، بل واجهها بكل ذكاء ونشاط .

---

(1)- لطفي عبد الوهاب يحيى،المرجع السابق،ص357.

(2)- جواد علي المرجع السابق،ج2،ص ص119-124.

(3)-(Ch) Clermont –Ganneau, « Inscription Bilingue Mineo-Grecque découverte a Délos » In :C.R.A.I,52emeAnnee, N°8, 1908, pp545-560.



الصورة رقم (6) :نقيشة معينية بجزيرة ديلوس

وفيما يخصّ منطقة الحبشة فإنّ العلاقات بينها وبين جنوب شبه الجزيرة العربيّة قديمة لا نستطيع أن نحددها زمنيّا، ربما تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وكما أشرنا في العامل الجغرافي أنّ كل من المنطقتين كتلة واحدة، ربما كان الاتصال بريّا قبل ظهور حوض البحر الأحمر.

4- العامل السياسي

كان للوضع السياسي الذي عاشته الدويلات اليمنية دور في حركة الهجرة نحو أقاليم جديدة ، وكلما كانت الدولة قوية تنشط حركة الهجرة التي هي ذات طابع تجاري ،وهذا ما نلاحظه في بعض فترات التاريخ السياسي اليمني القديم، ولكن حركة الهجرة تنشط أيضا في حالة ضعف الجهاز الإداري وعدم قدرته على تسيير أمور الدولة .

-الصراع الداخلي ودوره في تشجيع وتراجع حركة الهجرة

لقد كسبت الدولة السبأية في الفترة الممتدة ما بين (800-115ق م)وزن سياسي و اقتصادي في حوض البحر الأحمر (شبه الجزيرة العربية و الحبشة) ، حيث امتد نفوذها على حساب دولة معين وأو سان، و ظهرت مستوطنات في الحبشة وفي شمال شبه الجزيرة العربية لعبت دورا كبيرا في التجارة السبئية كما انتشرت مستوطنات أوسانية على السواحل الإفريقية الشرقية ب (بيمبا Pemba) و (زنجبارZanzibar) (1).

ربما كانت هذه الهجرة نتيجة للمضايقات التي كانت تمارسها سبأ على حساب جيرانها المعينيون في الشمال، والأوسانيون في الجنوب الغربي ولقد قام السبئيون في عهد المكرب "يدع إيل "القرن السادس ق م، على توسيع المدن الحدوديّة ومنها المدن المعينية التي دخلت تحت سيطرتهم، وأسكنوا فيها جماعات من السبأيين لينتفعوا بها ويكونوا رقباء على أهلها وسند لدولتهم فيها (2)

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق ،ج3،ص450.

(2)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق ، ص67.

كانت الفترة الممتدة ما بين القرنين الخامس والرابع ق م مظلمة بالنسبة للدولة السبئية وتعرضت لكثير من المتاعب وذلك نتيجة لتمرد الممالك العربية الأخرى عليها ،هذه الظروف مسّت بالوضع السياسي والاقتصادي لسبأ وبالتالي فقدانها السيطرة على البحر الأحمر وسواحل إفريقيا وكذا للطرق التجارية البرية إلى شمال شبه الجزيرة العربية

ذلك أنه كلما ظهرت مشاكل سياسيّة في اليمن كانت سببا في ظهور اضطرابات في المستوطنات بالساحل المقابل، وهذا ما يحد ويعرقل حركة الهجرة أو يضع حدا لها، كما يطالب الولاة بالاستقلال عن الوطن الأم والانفراد بالحكم ما دام الاتصال بها صعب وغير ممكن بسبب الأوضاع الداخليّة والخارجيّة التي تعانيها العربيّة الجنوبيّة.

- نهاية دولة سبأ وظهور الدور الحميري في تشجيع حركة الهجرة

يجدر الإشارة إلى أنّ الأوضاع الداخليّة لم تكن وحدها سببا في نهاية الدولة السبأية وتراجع حركة الهجرة، بل هناك سبب خارجيّ، والمتمثل في تكثيف البطالمة في مصر لنشاطهم التجاري في البحر الأحمر والمحيط الهندي وأحكام سيطرتهم الاقتصاديّة على هذين الامتدادين المائيين. فقد عثر في مصر على أربع نقوش ترجع إلى الفترة الممتدة ما بين 115- 51ق م ، تشير إلى موظفين في حكومة البطالمة مسؤولين عن شؤون البحر الأحمر والمحيط الهنديّ (1).

أما في جنوب شبه الجزيرة العربية فبعد انتقال الزعامة السياسية والاقتصادية في اليمن إلى الحميريين اتخذ ملوكها اسم " ملوك سبأ وذي ريدان " ،وبعد تهدئة الأوضاع الداخلية وجهوا أنظارهم إلى الساحل الإفريقي المقابل وجددوا علاقاتهم مع المستوطنات السبئية القديمة التي تمردت في عهد سبأ ، وشجعوا الهجرات لأغرا ض اقتصادية وتهيئة الوضع لمستوطنات جديدة و تمكنوا من إنشاء " دولة أكسوم "،واستطاعوا في حوالي سنة

---

(1)-(J) Rougé : « La navigation en mer Erythrée dans l’antiquité »In : T. M .O, 1988, PP59-74.

378م ،توحيد كامل أرجاء اليمن وبالتالي حمل الملك الحميري لقب "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت "(1).

وإن كانت الأوضاع الخارجيّة من سوء حظ الدولة السبأية، فإن الدولة الحميريّة بالعكس استفادت من مما كانت تعيشه حكومة البطالمة في مصر من ضعف في أواخر أيامها، لا سيما وأنّ قواتها، قد أخذت في التلاشي أمام الضغط الذي لقيته من الدولة الرومانية.

غير أنّ أهمية الأرباح والتوسعات التي حققتها الدولة الحميريّة كانت سببا في جذب انتباه الرومان ورغبتهم في السيطرة على العربيّة الجنوبيّة، هذا ما حدث فعلا سنة 24ق م في حملة" اليوسو جالوس"، إلا أنّ فشل هذه العملية جعل الرومان يفكرون في حيلة أخرى أكثر ذكاء وحكمة ،وجهوا أنظارهم إلى الأحباش ونظموا علاقات معهم وهذا ما جعل النفوذ الحميري ينحصر في الشرق الإفريقي و كل حوض البحر الأحمر وظهور محاولات الأحباش التدخل في الشأن اليمني الداخلي.

وحسب ما وصلنا من أخبار من صاحب كتاب "الطواف حول البحر الإريتري " أنّ الساحل الإفريقي في القرن الأول الميلادي، كان مركز تجمع التجار العرب في كلّ مكان تقريبا حتى ميناء "رابطة" جنوبا قرب زنجبار – جزء من إريتريا حاليا – كما أكدّ بأن" رئيسها الذي كان من أصل عربيّ جنوبي يحكمها بمقتضى حق قديم يجعلها خاضعة لسيادة المدينة التي تصل إليها أوّل ما تصل إلى ساحل العربية الجنوبية يقصد أهل" موزا" ...يرسلون سفنا يجعلون عليها غالبا بحارة ووكلاء من العرب على معرفة بأهل البلاد ويتزوجون معهم ويعرفون الشاطئ ولغة المنطقة " (2).

إنّ هذه التصريحات لا تدل فقط عن التواجد اليمني بشرق إفريقيا، وإنما ما نفهمه أعمق من ذلك، فمعرفة العرب لغة أهل المنطقة والمصاهرة معهم دليل على قدم وعمق

---

(1)- بلقاسم رحماني ، المرجع السابق ،ج2،ص ص 110-111.

(2)- Anonyme : le périple de la mer Erythrée, opcit, XVI ,66-67.

العلاقة الموجودة بين الطرفين ، كما انّ النشاط التجاري يتطلب من التجار العرب الاستقرار في كل المناطق التي يتاجرون معها ، و في غالب الأحيان نجد بعض المناطق تعرف بأسماء الجاليات العربية التي استوطنتها من قبل .

وعلى ما يبدو أنّ دولة أوسان رغم زوالها على الساحة السياسيّة باليمن ، إلاّ أنّ هناك جزء من ساحل الشرق الإفريقي كان يعرف بالساحل "الأوساني " وكان خاضعا لحكام المعافرين ويرد بهم حكام "سبأ وذي ريدان "(1). ما نفهمه من هذا النص أنّ تلك الأراضي كانت خاضعة لدولة أوسان كما كانت في أوج عهدها ثم بزوالها بقي اسمها يطلق على مستوطناتها القديمة حتى بعد التحاقها فيما بعد بالحميريين.

ما بين القرنين الأول والرابع ميلادي نسجل تغيرات جذرية في الأوضاع السياسية باليمن والحبشة، إذ نسمع للمرة الأولى من تاريخ المنطقة بروز مملكة " أكسوم " كقوة اقتصاديّة وسياسيّة وعسكريّة ،حيث استغلت الأوضاع الداخلية التي تعاني منها الدولة الحميرية من جراء نهوض بعض القبائل والرغبة في الحكم ، يبدو أنّ العربية الجنوبية عاشت وضع سياسي جديد في تاريخها القديم إذ ، لم يكن الصراع راجع لأوضاع داخلية فقط بل هناك تدخل لقوة جديدة خارجية وهي " أكسوم ".

هذه الظروف جعلتها تفرض سلطتها على الشاطئ العربي المقابل. كما أصبح الأحباش طرفا في الصراع اليمني نفسه يحالفون طرف ضد طرف وحاولوا احتلال منطقة" ظفار" لحسابهم (2) لم تقتصر الحركات التوسعية لمملكة أكسوم على اليمن فقط، بل يفهم من عدة نقوش أنّ أكسوم، قد أخضعت الهضبة الحبشية إثر عدد من الحروب هذا ما يثبته النصب التذكاري لعادول".*

---

(1)- Anonyme : le périple de la mer Erythrée, opcit, XVI, 66-67.

(2)- محمد عبد القادر بافقيه ،المرجع السابق ،ص177.

*النصب التذكاري لعدول المكتوب باللغة الإغريقية على عرش ملكي من المرمر الأبيض، أرخت في القرن الثاني أو الثالث م، فقد استخدمه أحد ملوك أكسوم شاهدا عليه ،ونقل النقش البحار" كوسماس cosmas" في كتابه الطبوغرافية المسيحية ولكن النقش كان غير واضح وبالتالي لم يعرف بعد عن اسم الملك صاحب النقش..Moscat, Histoire et civilisation, op cit, P215

لم يكن الشرق الإفريقي الإقليم الوحيد الذي قصدته القبائل اليمنية ، بل حتى شمال شبه الجزيرة العربية عرف دخول مواجات من الهجرات المتتالية في أزمنة مختلفة والتي استطاعت أن تكون كتل سياسية (اللحيانيين والكنديين والغساسنة والمناذرة)لها وزن في الساحة الدولية لاسيما المجال التجاري .

وان اتخذت مستوطنة أكسوم طابع تجاري بحري، فإنّ مستوطنات الشمال كانت تهتم بالتجارة البرية ، كونها تأسست على طرق تجارية تعتمد عليها القوافل العربية في نقلها لسلع المحيط الهندي إلى الشرق الأدنى القديم، والتي تأخذ طريقها إلى البحرالابيض المتوسط عن طريق وساطة تجارية اتخذ مسؤوليتها قوم سامي أخر وهو الفينيقيون.

لقد كان الجمل هي الوسيلة التي اعتمدت عليها القبائل العربية في تجارتها البرية مع شمال شبه الجزيرة العربية ،وكانت الملاحة البحرية هي الوسيلة الثانية التي استخدمها المهاجرون اليمنيون أثناء انتقالهم إلى الساحل الإفريقي المقابل ، و يجدر بنا أن ندرس هذا الجانب المتعلق بالبحرية اليمنية التي كانت دائما محل نقاش وجدال بين الباحثين نظرا لنقص المادة الأثرية التي توضح لنا طبيعة الملاحة العربية عامة واليمنية خاصة ، وبالتالي ،متى نشأت الملاحة البحرية اليمنية ؟وإن كانت هناك ملاحة ، ما هي طبيعة السفن اليمنية ؟وكيف ساهم البحر الأحمر في تنشيط حركة الهجرة ؟.

III- البحرية اليمنية

لقد أتاح الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربيّة إمكانات واسعة في مجال التجارة البحريّة، فهي تقع في وسط ثلاث واجهات بحرية الخليج الفارسي(العربيّ) من الشرق و البحر الأحمر من الغرب والمحيط الهندي(بحر العرب) من الجنوب، إضافة إلى ذلك وبحكم هذا الموقع الجغرافي كانت الجزيرة العربية على صلة بثلاثة مراكز حضاريّة : مصر في الشمال الغربي وبلاد النهرين في الشمال الشرقيّ وفارس إلى الشرق.

1- طبيعة الملاحة العربيّة

لقد كانت البحار من أقدم الوسائل التي اعتمد عليها الإنسان من أجل الوصول إلى مناطق أخرى، قصد إشباع حاجياته اليومية التي ربما لا تتوفر في إقليمه الجغرافي الأصلي ، خاصة إذا كان البحر أو المحيط يشكلان جزء من الأرض التي ينتمي إليها، فبالتالي من دون شك أن تكون لديه خبرة بأمور الملاحة البحرية ، هذا ما نراه لدى كل الشعوب البحرية (التي تعيش قريبة إلى البحار أو المحيطات)مثل الفينيقيون ،الإغريق والرومان منذ أزمنة بعيدة .

ولهذا فإنّ فن الملاحة البحرية لا يقتصر على كل الشعوب، لأنه يتطلب شروط ولو بدائية يعتمد عليها البحار أثناء السفر الطويل ، علما أنّ انعدام الوسائل الملاحية المتطورة لدى الشعوب القديمة كان الدافع الذي جعل الإنسان يعتمد في رحلاته على الظروف الطبيعية الخاصة بالمنطقة التي يبحر فيها وهذا ما يعطي للملاحة القديمة طبيعة محدودة، بمعنى لا يستطيع البحار أن يغامر بحياته في كل بحار العالم .(1)

وهذا ما يجعلنا نتفهم تأخر شعوب البحر الأبيض المتوسط* (الإغريق و الرومان) في مغامراتهم بالبحر الأحمر ، فرغم معرفتهم لفن الملاحة البحرية في وقت مبكر، إلاّ

---

(1)-(P)Pomey : « L'art de la navigation dans l'antiquité » ;In :C. V .K,1997,PP90.

* اعتمد إنسان البحر الأبيض المتوسط على الملاحة البحرية منذ العصر النيوليتي بعد اكتشافه لجزر الحوض الشرقي خاصة صقلية وكريت

أنهم لم يستطيعوا الإبحار في البحر الأحمر، وذلك باعتبارهم لا يعرفون طبيعة المنطقة التي تبدو لهم غريبة بمقارنتها بطبيعة البحر الأبيض المتوسط.

رغم كلّ هذه الإمكانيات المتوفرة للجزيرة العربيّة، إلا أنه يتعذر علينا الحديث عن "ملاحة عربيّة " بكل راحة وحرّية، وهذا بطبيعة الحال راجع إلى نقص الأدلة الأثريّة والأدبيّة. ولم ترد في كتابات المسند التي عثر عليها أخبار أسفار العرب البحريّة، لا إلى سواحل إفريقيا ولا إلى سواحل الهند (1).

ولقد لفتت أهمية البحر الأحمر انتباه العديد من القوى القديمة، كانت مصر في مقدمتها باعتبار أن الأراضي المحاطة بهذا الحوض امتداد طبيعي لها من جانب، ومصدر تجارتها من جانب أخر لجلب البخور – الطيوب – الأعشاب الطبية اللازمة للتحنيط ... الخ.

ويرجع اهتمام مصر بالملاحة في البحر الأحمرإلى تاريخ قديم جدا مرتبط بالبعثات التجاريّة إلى بلاد" بونت" منذ الأسرتين الرابعة والخامسة 2470-2340ق م، وتجددت البعثات المصريّة في عهد الدولة الحديثة بأمر من الملكة" حتشبسوت " الأسرة الثامنة عشر , وأيّام الفرعون" نخاؤ " الأسرة السادسة والعشرين أي القرن السادس ق م(2).

وكانت هذه البعثات شبيهة ببعثات الكشف العلمي الحديث، لأنّ الهدف منها هو الكشف عن أسرار الملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي ،هذا الجزء من العالم الذي كان يمثل نقطة ضعف القوى الحضاريّة الكبرى : مصر – الإغريق و الرومان فيما بعد.

أما بالنسبة لتاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية القديم فإنه متعلق بالبحر الأحمر لأنه لم يكن منفذها الحيوي فقط، بل كان يمثل المصدر الأساسي لاقتصادها ، وبالتالي يلاحظ بأن ازدهار الحضارة اليمنية مرتبط بحركة التجارة عبر البحر الأحمر سواء إلى الغرب(إفريقيا) أو إلى الشرق (الهند والصين)،وتضعف هذه الحضارة كلما تدهورت التجارة عبر البحر الأحمر .

---

(1)- جواد علي،المفصل في تاريخ العرب ، المرجع السابق، ج7، ص262.

(2)- النور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ،المرجع السابق ،ص ص 15-16.

وكما سبق أن أشرنا في بداية حديثنا عن الملاحة اليمنية القديمة، فإنها ليست معروفة ولا نملك أدلة تثبت وجودها رغم وقوع هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية بين واجهتين بحريتين (البحر الأحمر والمحيط الهندي).

بدأت الملاحة العربيّة تظهر جليّة ابتداء من الإستعمار المقدوني ،وقويت الصلة بين موانئ البحر الأحمر والسواحل الهنديّة ،ورغم سيطرة البطالمة بعد اليونان لمدة طويلة إلا أنّ عرب الجنوب كانوا هم المسيطرون على التجارة البحريّة مع الهند طول الوقت (1)،و يصف المؤرخ اليوناني اجاثاركيدس عرب سبأ على أنهم ملاحون مهرة ومحاربون أشداء يبحرون في سفن كبيرة للبلاد التي تنتج العطور وكانت لهم فيها مستعمرات ...الخ"(2).

و طوال العصر المتأغرق والقسم الأكبر من الإمبراطورية الرومانية، ظهر النشاط التجاريّ العربيّ في صوّر مختلفة ،أو بتعبير أخر نستطيع أن نتحدث عن بحريّة عربيّة، فهناك بعض النقوش التي تثبت وجودها ومن بينها نقش يرجع للقرن الثالث ق م، وفيه نجد تاجرا معينيّا هو " زيد ايل بن زيد " يتاجر بالمرّ و القليمة للمعابد المصرية مقابل الأقمشة المصرية المصنوعة من الكتان،و يقوم بهذا النشاط في سفينة خاصة (3)

ولم يتوقف نشاط التجارة العربيّة في البحر الأحمر، بل عبرت إلى البحر الأبيض المتوسط واستطاع العرب أن يربطوا علاقات تجاريّة مع اليونان، ربما كان لهذا الاتصال علاقة بالجاليات الإغريقية التي استقرت في كلّ من جزيرة سقطرة وبعض المناطق من المحيط الهندي (4)، وتعتبر الكتابات المعينية والسبأية التي تركها تجّار العرب في جزيرة "ديلوس " ببحر ايجه دليل قاطع على عمق هذه العلاقات.

---

(1)- النور عبد العليم،المرجع السابق ،ص262.

(2)- Hérodote ,op cit, IV -42.

(3)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص330.

(4)- (Ch) Clermont –Ganneau **:** « Inscription Bilingue Mineo-Grecque découverte a Délos »: op cit, PP545-560.

غير أنّ هذه الأخيرة تتراجع في القرن الأول ق م، بسبب تراجع النشاط التجاري العربي في البحر الأحمر،وهذا ما يفسر انعدام وجود نقوش ،ولقد كان لتكثيف البطالمة في مصر لنشاطهم التجاريّ في البحر الأحمر والمحيط الهندي وسيطرتهم على زمام الأمور، خاصة بعد اكتشاف البحار اليوناني هبا لوس * لقيمة الريّاح الموسميّة في تسهيل رحلات السفن عبر المحيط الهنديّ.

من خلال ما ذكره لنا صاحب كتاب" الطواف حول البحر الأرتيري عن ميناء موزا قرب (مخا حاليا)** وعن انتشار التجّار العرب وارتباطهم التجاريّ بشعوب أخرى خارج المنطقة العربية(1)، نستنتج بأن النشاط البحري العربي عاد من جديد مع العصر الإمبراطوري الروماني في القرن الأول الميلادي .

لم يتوقف وصف هذا المؤرخ لميناء موزا، بل تحدث تقريبا عن كلّ الموانئ على الساحل المصري المطل على البحر الأحمر و سواحل إفريقيا الشرقيّة والهند ، ما يجدر الإشارة إليه هو أن ، هذا المؤرخ المجهول استطاع أن يعطي لنا فكرة عن البحريّة العربيّة التي لم نستطيع أن نكونّها من قبل.

ولكن الاضمحلال أصاب عرب الجنوب في القرن الرابع الميلادي، بسبب تدخل الإمبراطورية البيزنطية وتحريضهم للأحباش على مناوشة العرب في بلادهم لمدة طويلة ،بقصد السيطرة على البحر الأحمر في باب المندب ونجح الأحباش في أن يحلوا محل العرب في نقل تجارة الهند لفترة (2).

---

*هو تاجر إغريقي يحتمل أنه عاش في القرن الأول ق م كشف طرق الافادة من الرياح الموسمية في الإبحار إلى الهند

*مخا مدينة ساحلية وميناء قديم ، تقع في محافظة تعز التي تبعد 256 كلم عن العاصمة صنعاء تحدث عنها صاحب كتاب الطواف حول البحر الارتيري على أساس أنها كانت مدينة وميناء ذات شهرة في عهده

(1)- Anonyme, Op cit ,21.

(2)-النور عبد العليم، المرجع السابق، ص19.

هناك بعض المستشرقين ينكرون فكرة معرفة العرب للملاحة البحريّة، و لم تكن لهم دراية بالبحر، ربما هذه الآراء لها علاقة بمسألة انعدام الأدلة الأثريّة فيما يخص هذا الميدان ،ولكن ليس دليل كاف لإنكار معرفة العرب لفنون البحار ،لأن كل إنسان ولد بالقرب من واجهة بحريّة فهو يتجه إليه بالغريزة كالرضيع الذي يتجه إلى صدر أمه بعد ولادته، وإلا كيف نفسر احتفاظ العرب بسرّ الريّاح الموسميّة بالمحيط الهندي الذي كان مفتاح الطريق إلى أقصى شرق الكرة الأرضية؟.

زيادة على ذلك توصل علماء الآثار إلى الكشف عن رسومات في الصحراء الشرقيّة لمصر لسفن ترتفع مقدمتها ومؤخرتها، كانت تمخر عباب البحر الأحمر منذ عصر ما قبل الأسرات المصرية، سفن لم تكن معروفة في وادي النيل ولكنّها كانت معروفة في بلاد ما بين النهرين وفي شواطئ المحيط الهندي، لما لم تكن هذه السفن عينّة لتلك التي اعتمد عليها اليمنيون في أسفارهم الطويلة (1).

---

(1)-أحمد فخري ،المرجع السابق ،ص132

2- السفن العربيّة

لقد سبقت الإشارة إلى أنّ شبه الجزيرة العربية تتوسط ثلاث واجهات بحريّة وبالتالي نستطيع أن نقول بأن المنطقة لها فرصة في مجال الملاحة البحرية، التي كانت وسيلة للاتجار والبحث عن أراض جديدة ،ولكن في نفس الوقت نجد هذا الجزء من العالم يفتقر إلى مورد الخشب الذي لا تستطيع أية دولة بحرية الاستغناء عنه ،باعتباره الوسيلة الوحيدة لركوب البحر لا غنى عنها ،هكذا تتبادر إلى أذهاننا إشكالية عالقة حول طبيعة السفن العربية .

تحتاج صناعة السفن الكبيرة إلى أخشاب قويّة ومسامير من حديد تستعمل في ربط الألواح بعضها ببعض ، ولم تتيسر هذه الأشياء في جزيرة العرب ، فالخشب الصالح لبناء السفن غير موجود في كثير من أنحائها، ولذا اعتمدوا على السفن الصغيرة التي ليس في مقدورها اختراق أفاق البحار الكبيرة والمحيطات والتجول بحرّية في أيّة ناحيّة كانت من نواحي البحر الواسعة ولم يكن لها إلا السير في محاذاة السواحل .

وقد صنع العرب القدماء قواربهم وسفنهم بأيديهم مستعينين بالخشب المستورد أو المحليّ في مواضيع مختلفة في سواحل جزيرة العرب ، ولا سيما سواحل الخليج (1).

كما كانت التجارة العربية تتم بواسطة قوارب شراعية صغيرة وتستخدم الألياف لربط الألواح ببعضها(2)، ولهذا السبب كانت هذه القوارب في طريقها إلى شرق إفريقيا تستعين بالجزر من أجل الوصول إلى البّر الإفريقي في مأمن ،ولعبت قصر المسافة دورا في هذه المهمة،و إن تحدثنا عن الجانب الأخر ونقصد به الهند وسيلان ، ربما كان الملاحون يسيرون بمحاذاة السواحل هذا ما يجعل الرحلة البحريّة تستغرق مدة طويلة نظرا لخطورة هذه المسالك .

---

(1)- جواد علي ، المرجع السابق ،ج7،ص ص 256-257.

(2)- اسمهان سعيد الجرو، المرجع السابق ،ص71.

ولكن صغر حجم السفن أو كبرها لا يجعلنا نستنكر معرفة اليمنيين لأخطر وسيلة تجاريّة عرفها الإنسان القديم ألا وهي الملاحة البحرية، فطرق الطواف البدائية هي الوسائل التي انتقلت بواسطتها الحضارات البشريّة عبر المحيطات في الأزمنة القديمة.

لهذا لا يعقل ذهاب قبائل عربية إلى السواحل الإفريقية بغير ركوب سفن ولا يعقل أن يكونوا قد ذهبوا إليها بسفن أجنبية. ولقد وردت أسماء على الأثار المصرية قريبة إلى الأصل عربي ومن بينها (خبستيو) في نصوص حتشبسوت التي تعود إلى الألف الثانية ق م، ويجمع أغلب الباحثين أنّ كلمة (خبستو) شبيهة لكلمة (حبش) وهو اسم قبيلة عربية جنوبية كانت تسكن منطقة" مهرة" (1).

يظهر لنا جليا أنّ خروج العرب واستقرارهم في مناطق أخرى وراء البحار كان قبل العهد البطلمي والروماني بفترة زمنية بعيدة ،ولهذا معرفة العرب للملاحة العربية ليست مرتبطة بتأثير شعوب، أخرى وإنّما كانت لها جذورها التاريخية ، وما جاء في العهد اليوناني – الروماني ما هو إلاّ مرحلة من مراحل تطوّر البحرية العربية إن صحّ التعبير .

ما نستطيع أن نقوله هو أن، تاريخ ظهور وسائل الإبحار كان يتبع تاريخ الإنسانية، وكل مستلزمات الحياة تبدأ بشكل بدائي، ثم تتطور بتطور العقل البشري، و تماشيا مع ما توفره الطبيعة المحلية.

3- أهمية البحر الأحمر

رغم صعوبة مسالك شبه الجزيرة العربية، إلاّ أنّها لم تكن يوما معزولة عن العالم الخارجي وكان البحر الأحمر جسر عبور بين سواحل إفريقيا الشرقية وأسيا الجنوبية إلى ما نسميه اليوم الشرق الأقصى من جهة، والبحر المتوسط من جهة أخرى، وكما كان أيضا همزة وصل بين العالم المتوسطي و المحيط الهندي .

---

(1)- بلقاسم رحماني ،المرجع السابق ،ج2،ص ص 43-44.

يقع البحر الأحمر بين دائرتي عرض 15°و30°شمالا وخطي طول 32°و42°شرقا ويمتد طوليا لمسافة 2،250 كلم في الاتجاه العام بين الشمال الغربي والجنوب الشرقي ليفصل بين شمال شرق إفريقيا وجنوب غرب أسيا. تنقسم النهاية الشمالية للبحر إلى خليجين ضيقين تفصل شبه جزيرة سناء فيما بينهما تعرف النهاية الغربية بخليج السويس وتعرف النهاية الشرقية بخليج العقبة ،حيث يتصف البحر الأحمر بالضيق يتراوح عرضه بين 145 كلم و362كلم كأقصى عرض له أمام سواحل إريتريا(1).

كما أنّ عرض البحر الأحمر عند باب المندب يضيق إلى درجة يسهل لمن يقف على أحد شاطئيه رؤية الشاطئ المقابل في الأوقات التي يكون فيها الجو صحوا، فإنه يحقّ لنا أن نستنتج بأنّ أول لقاء بين سكان الشاطئين العربي والإفريقي تمّ عن طريق ذلك المضيق(2).

ونتيجة للخصائص العامة المشار إليها سابقا، لم يشكلّ البحر الأحمر حاجزا مانعا بين العالمين الإفريقي و الأسيوي اللذين يخترقهما في اتجاهه بين الشمال الغربي والجنوب الشرقي، بل إنه على العكس من ذلك أسهم باختراقه للنظام الصحراوي الكبير بالمزج بين الخصائص البشريّة والحضارية التي تميزت بالتجانس والتفاعل فيما بينها طوال مراحل التاريخ القديم والحديث على حدّ سواء ،بفضله أكتسب سكان المناطق المجاورة فن الملاحة البحرية التي سهلت عليهم الانتقال من سواحل أسيا الغربية إلى البر الإفريقي المجاور.

حسب الدراسات الجيولوجية فإنّ ظهور البحر الأحمر مرتبط بتشقق قارة جندوانا القديمة حوالي 140-130مليون سنة أواخر الزمن الجيولوجي الثاني ، وكانت الأقاليم المحيطة بكل من البحر الأحمر والخليج العربي وحدة واحدة من الناحية الجيولوجية ،حيث كانت تشكّل نطاق متصل من الأرض قبل تكوّن البحر الأحمر، والدليل على ذلك التشابه

(1)- محمد خميس الزوكة ،جغرافية حوض البحر الأحمر ،المرجع السابق ،ص17.

(2)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص91.

والتناسق الكبير بين تعرجات ساحل البحر الأحمر الإفريقي والأسيوي مع بعضها البعض خلال فترات جيولوجية قديمة قبل تباعدهما (1).

وعلى ضوء هذه المعطيات يعتقد جمع كبير من الباحثين أنّ أقدم الهجرات من جنوب شبه الجزيرة العربية نحو الشرق الإفريقي تعود إلى ما قبل التاريخ مع أخر الفترات الجليدية ، وكان هذا الاتّصال يتم بريّا وليس بحريّا ما دامت المنطقة كتلة واحدة في هذه المرحلة الزمنية المتوغلة في القدم ،وإذا تحدثنا عن هجرات في هذه الحقبة إذن هناك ثقافات مشتركة ولو بدائية ،توصل علماء الآثار إلى بقايا من حجر الصوان كدليل لأقدم أثر لعلاقات تجمع بين العربيّة الجنوبية وإفريقيا الشرقية ،والتي تعود إلى العصر النيوليتي حوالي 8000 سنة وحسب دراسات معمقة تبين بأنّ تلك الأدوات كانت ذات أصول أثيوبيّة (2).

فالتشابه في الظروف المناخية بين جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وساحل إفريقيا المجاور كان له الدور في تنشيط الهجرات ولا يحتاج المهاجر إلى فترة زمنية للتأقلم مع طبيعة المنطقة ،فالمناخ الموسمي يسود في كلّ من اليمن والحبشة ،في نفس الوقت يمتاز حوض البحر الأحمر بالتباين الكبير في المظاهر الطبيعية التضاريسيّة والمناخية والنباتية، مما أدّى إلى خلق أنماط متنوعة من الإنتاج الاقتصادي، تؤدي إلى خلق تكامل اقتصادي قوي (3).و كان الإنسان بحاجة إلى الحركية المستمرة من أجل الحصول على مستلزمات الحياة التي ربما لا تتوفر في مجاله الجغرافيّ المعروف، وبفضل الواجهات البحرية الثلاث المحاطة بشبه الجزيرة العربية ، عرف العرب سر الرياح الموسمية في المحيط الهندي و توارثه ملاحوهم جيلا بعد جيل وحافظوا عليه للانفراد وللاستمتاع بالملاحة في هذا الجزء من العالم القديم، الذي كان مصدر أكثر السلع طلبا من طرف أكبر حضارات عرفتها البشريّة في تاريخها الطويل.

---

(1)- محمد خميس الزوكة ، المرجع السابق ،ص 39.

(2)-(M-L) Inizan,(V-f) : « Les périples de L’obsidienne à travers la mer rouge », In : J. A, fascicule 2, tome 72, 2002, P.P 11-19.

(3)- محمد إبراهيم حسن، القرن الإفريقي وحوض البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 17.

IV- حركة الاستيطان اليمنية

عرف المجتمع اليمني توسعات خارج حدوده الجغرافية عن طريق تأسيس مجموعة من المستوطنات ، و طبيعة المنطقة أعطت لهم فرصة التعرّف على العالم الخارجي باعتبارها أكبر منتج لسلع أكثر طلبا من قبل أكبر حضارات العالم القديم ،إضافة إلى ذلك موقعهم الجغرافي جعل منهم وسطاء تجاريّين بين سلع المحيط الهندي والشرق الأدنى ، وحوض البحر الأبيض المتوسط .هذا الأمر تطلب منهم مؤسسات دائمة خارج إقليمهم الجغرافيّ لتسهيل العملية التجارية مع شعوب العالم القديم وسوف نبدأ بدراسة المستوطنات في شمال العربية إتباعا للإطار الجغرافي وليس للتسلسل الزمني الذي يبدو معقدا نوعا ما .ينظر الخريطة رقم (4)

1- الاستيطان اليمني شمال شبه الجزيرة العربية

لقد شهدت الدولة السبأية في النصف الثاني للألف الأول ق م، تطورات اقتصادية وسياسية وسيطرت على المنطقة وعلى التجارة وما يتبعها من تأثيرات اقتصادية و ثقافية وهذا ما شجعها على ربط علاقات تجارية دولية منذ القرن العاشر ق م ، ويظهر ذلك من خلال سجلات الملك سليمان عندما ذكر أن ملكة سبأ قد زارته في القدس وهي محملة بالهدايا الثمينة ،تجدد الحديث عن سبأ في حوليات الملك الأشوري" تجلات بلاسير الثالث" على أساس أنه حارب مناطق سبأية. أما الملك سرجون الثاني فقد أشار إلى الهدايا التي كان يحصل عليها من حاكم سبئ أسمه "يثيع أمر ". (1)

يفهم من خلال النصوص أنّ هذه الأماكن لم يقصد بها الدولة السبأية الجنوبية، وإنما هي مستوطنة تابعة للكيان السياسي الجنوبي، وكما هو معروف لدى الجاليات العربية أينما ذهبت تحتفظ بجنسيتها ولقد استعانت سبأ في النصف الثاني من القرن السابع ق م، وبداية القرن السادس ق م، بشبكة من المستوطنات لمراقبة طرق القوافل التجارية في

(1)- مهيوب غالب أحمد كليب ، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول ق م ، المرجع السابق ،ص ص 336-337.



خريطة رقم (4)تمثل بعض مواقع مستوطنات يمنية شمال شبه الجزيرة العربية

10000ميل

المقياس :

معظم شبه الجزيرة العربية، خاصة بعدما سيطرت على كل المناطق الساحلية المعروفة بإنتاج البخور التي تقع ضمن الأراضي الحضرمية.

ولكن قبل نهاية القرن السادس ق م، حدثت تغيرات في موازين القوى باليمن وظهور اتحاد سياسي -اقتصادي لغير صالح سبأ، وهذا الوضع شجع بظهور الدولة المعينية التي سيطرت على التجارة البحرية وجزء من التجارة البرية وبعدما كانت القوافل التجارية اليمنية تعتمد على بعض القبائل البدوية لنقل البضائع إلى الشرق الأدنى وحوض البحر الأبيض المتوسط وهذه العملية كانت تكلفها مبالغ كبيرة ،أخذت تستعين بمجموعة من المستوطنات الشمالية التي تكون عونا لها في تجارتها مع العالم الشمالي.

أ - مملكة لحيان

عثر على كتابات معينية خارج أرض اليمن في موضع (العلا) وبينها عددا من الكتابات اللحيانية المتأثرة باللهجة المعينية (الصورة رقم 7)،وذلك يدل على نزول المعينيين في المنطقة الواقعة بأعالي الحجاز وفي المملكة الأردنية الهاشمية ،وفي جنوب فلسطين(1)، ولقد وردت أراء عديدة لمؤرخين ، فبعضهم يرجع أصل اللحيانيين من ثمود ،في حين يرى فريق أخر أنّهم من عرب الجنوب ،دليل ذلك وجود اسم "لحيان " في نصوص عربية جنوبية .

يجمع الباحثون على أنّ جالية من المعينيّن كانت تقيم في(العلا) أي (ديدان)غرب ما يعرف اليوم بالسعودية ، بمعنى هذه الأرض كانت مستوطنة معينية في الأصل ، واستقلت بشؤونها بعد ضعف حكومة معين وانقطعت صلتها بالوطن الأم في اليمن وحكمها الديدانيون بعد ذلك، ولكن حكمهم لم يدم طويلا وسقطت في أيدي اللحيانييّن ،وكونوا دولة مستقلة هي دولة لحيان، ومن أشهر مدنها (ددان) وهي خرائب (العلا) الخريبة في الوقت الحاضر والحجر (2).

---

(1)-جواد على ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،المرجع السابق ،ص ص

(2)- رحماني بلقاسم ، المرجع السابق ،ج1،ص 219





صورة رقم (7) تمثل : نقوش لحيانية

وتجدر الإشارة إلى قلة المادة التاريخية حول هذه المستوطنة ، ولذلك اختلف المؤرخون حول تاريخ نشأتها وسقوطها : منهم من أرخ لها بالقرن الثاني ق م ونهاية القرن الثالث بعد الميلاد، وبعضهم يرى أنّها قامت على تشجيع البطالمة في القرن الثالث ق م ،ونهايتها كانت على يد الأنباط الذين استولوا على أحد المدن اللحيانية وهي(الحجر) عام 65 ق م، ومدينة (ديدان)عام 9 ق م، مستندين على شاهد قبر عثر عليه في العلا، يرجع إلى أيام الملك النبطي الحارث الرابع 9 ق م – 40 م (1) وحتى سترابون لم يشر إلى مملكة لحيان أثناء حديثه عن حملة "اليوس جالوس " على اليمن عام 24 ق م .

لا يختلف طابع هذه المستوطنة عن طابع المستوطنات اليمنية في شرق إفريقيا و المتمثل في الطابع التجاري ،إذ أننّا إذا ما نظرنا إلى خريطة الطرق التجارية للشرق الادنى القديم نجد هذه المنطقة هي مركز من مراكز المواصلات المهمّة التي تربط جزيرةالعرب ببلاد العراق وببلاد الشام ومصر.

فهي تقع على الطريق البري الموازي للبحر الأحمر أين تمّر القوافل العربية بسلع إفريقيا والهند وبقية أسيا إلى الساحل السوري والتي تأخذ طريقها إلى البحر الأبيض المتوسط عن طريق الفينيقيين . وكانت ديدان وبقية مدن هذه الأراضي ملتقى حضارات وثقافات متنوعة وكذلك ملتقى العرب ،عرب الجنوب وعرب الشمال.

ب- مملكة كندة

كندة قبيلة قحطا نية في عرف النسابين ، تنسب إلى" ثور بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ" ،وثور هو كندة(2) عرفت كندة في النصوص العربية الجنوبية باسم (كدّت) بتشديد الدال إذ ورد في نقش

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص ص 241-245.

(2)-ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، القاهرة، 1962، ص399.

يعود إلى أيّام الملك " شعر أوتر "ملك سبأ و ذي ريدان على أساس أنّها انضمت إلى حلف معاد للملك المذكور(1).

نستخلص من هذا النص حقيقتين أولهما أنّ كندة ذات أصول عربية جنوبية، أما الحقيقة الثانية أنها كانت ذات كيان سياسي مستقل في القرن الأول ق م، وذلك تماشيا مع مرحلة حكم الملك السبئي " شعر أوتر "ولكن سرعان ما فقدت كندة استقلالها وأصبحت تابعة لدولة "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت* " هذا سبب من أسباب هجرة هؤلاء فرارا بأنفسهم من الفناء .(2)

لقد ظهر خلاف كبير بين الإخباريين حول نسب كندة ولعل هذا الأمر راجع إلى اختلاطهم بعرب الشمال بعد هجرتهم ،وهذا الأمر يمس كلّ الشعوب المتنقلة ،لأنّ الإنسان كثيرا ما يتأقلم مع الأرض الجديدة ويفقد ما يربطه بوطن الأم، خاصة إذا ما عدنا إلى طبيعة الأراضي التي استقر فيها الكنديون ب (نجد) على الطريق التجاري الذي يربط اليمن بالساحل الفينيقي الذي يتميز بالحركيّة المستمرّة ،وعدم الاستقرار إضافة إلى ذلك تعتبر كل الأراضي الواقعة شمال شبه الجزيرة العربية كحّد فاصل بين حياة التنقل والترحال في الجنوب، وحياة الحضر في الشمال فكندة ليست على مأمن من القبائل البدويّة التي تبحث عن مصدر رزقها منذ القدم.

---

(1)-(R) Christian, « Le royaume Hujrid, dit "royaume de Kinda"entre Himyar et Byzance » In :C.R.A.I, V140, N2, 1996, P665.

*نقصد بدولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت (الدولة الحميرية الثانية 300م-525م)وهي أخر دولة في اليمن القديم .

(2)- بيومي مهران، المرجع السابق، ص 364.

2-الاستيطان اليمني في العراق والشام

تقريبا كلما تغيّرت المنطقة التي قصدتها القبائل العربية تتغير طبيعة تلك المستوطنات التي تنشأ بمرور الزمن، وهذا ما نلمسه من تلك الدويلات اليمنية التي ظهرت في كلّ من العراق والشام ربما هذه الميزة التي سوف نتحدث عنها كانت وليدة الظروف السياسيّة التي كان يعيشها الشرق الأدنى القديم، ولابد إذن أن نعرف أسباب خروج القبائل العربية إلى الشمال ،وما هي هذه الظروف التي جعلتها تأخذ ميزة تجعلها تختلف عن باقي المستوطنات اليمنيّة الأخرى؟.

حددت الروايات العربيّة تاريخ هجرة كلّ من الغساسنة والمناذرة بانهيار سدّ مأرب ثم حدوث سيل العرم ، ولكن السؤال الذي نطرحه هو:

هل نستطيع أن نؤرخ بناء على انهيار هذا السدّ؟ علما أنّ هذا الأخير حسب ما توصلت إليه الأبحاث الأثرية أنه تعرض لعدّة ترميمات وهذا ما يفسرّ إتلافه لمرّات عدة ومن هنا نستنتج، بأنّ هذا التاريخ مشكوك فيه اللهم إلا إذا أخذنا أخر مرة أصلح فيه السدّ عام 543م، أيّام أبرهة الحبشي(1).

لقد كان انهيار هذا السدّ وراء الخسائر التي حلت بالدولة الحميريّة باليمن وتراجع اقتصادها الذي كان مبني بالدرجة الأولى على الزراعة والتجارة ، كان سببا في هجرة قبائل بأسرها من جنوب بلاد العرب إلى شمالها بحثا عن أرض جديدة.

وربما ضعف دولة تدمر في الشمال كان دافعا قويّا وفرصة أمام القبائل العربية لتدخل إلى عالم أخر غير عالم البداوة المتداول لديها، خاصة إذا ما عدنا إلى طبيعة تدمر التي كانت تعتبر محطة للقوافل التجاريّة وحصن أمام غارات القبائل البدويّة التي تهدد السلم والأمن في العالم الشمالي أي الحضر.

---

(1)-(H) Dridi, (C-J) Robin : « Deux Barrages du Yémen Antique », op cit,PP67-79.

أ- مملكة الغساسنة

أصل الغساسنة يسوده نوع من الغموض، وذلك راجع لقلة المصادر وهذا ما جعل المؤرخين العرب أنفسهم يختلفون في تحديد عدد الملوك وأسمائهم إضافة إلى التشابه البالغ بين أسماء ملوك الغساسنة وملوك المناذرة .ويرجع هذا الغموض إلى اختلاط أخبار "ال غسان" بالقبائل العربيّة الاخرى التي سبقتهم إلى بلاد الشام (1).

لكن المتفق عليه بين المؤرخين العرب هو أنهم من عرب الجنوب هاجروا من اليمن واستوطنوا أرض حوران حيث كان هناك قوم يعرفون "بالضجاعمة" من قبائل بني سليح بن حلوان. ثم استقروّا هناك ورضخوا لحكم الرومان ودانوا بالنصرانيّة من قبل مجيئ" ال غسان" ثم اعترفت الدولة البيزنطيّة بهم ووضعتهم تحت حمايتها واتّخذتهم أعوانا لها ضدّ المناذرة والفرس حوالي القرن الخامس م (2).

ومن ثم فقد كان الغساسنة أول من شيد ملكا للعرب هناك، و لقد استقر الغساسنة في نواحي الجنوب الشرقي من دمشق على مقربة من الطرف الشمالي لطريق النقل الهام الذي يربط بين" مأرب" في الجنوب و"دمشق" في الشمال.

على أية حال لا أدلة تتحدث عن توسع الغساسنة على حساب الأراضي المجاورة لها أو سيطرتهم على المدن الكبرى في الشام كتدمر وبصرى ودمشق إذ أنّ هذه كانت محصنة تتمركز فيها الحامية البيزنطية، وإذا داهمهم الخطر كانوا يتجهون إلى الصحراء فكانت تغنيهم عن المدن المحصنة (3).

لقد تمتعت الأراضي الجديدة التي استقر فيها الغساسنة بموقع استراتيجي هام يربط بين المشرق وعالم البحر الأبيض المتوسط ،فأصبحوا بذلك يسيطرون على الطرق

(1)- بلقاسم رحماني ، المرجع السابق ، ج2،ص 233.

(2)- المرجع نفسه ،ص 234.

(3)-محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ،ج2،ص ص 449-451.

التجارية الدولية التي كانت تمر عبر أراضيهم، خاصة بعد ضعف نفوذ العربية الجنوبية وسقوط دولة "تدمر".

ورغم نقص المادة التاريخية حول تاريخ الغساسنة، إلا أنّ الآثار المادية تثبت مدى ازدهارها ،وذلك بتشييدهم للعديد من القلاع والقصور والحصون كقصر صرح الغدير والقصر الأبيض والقلعة الزرقاء.

ب- مملكة المناذرة

استمرّت الهجرات اليمنية نحو تخوم شبه الجزيرة العربية الشمالية الشرقية واستقرت جماعات المهاجرين في وادي الفرات و الملاحظ ، أنّ هذه الهجرات كانت تتزايد بصفة خاصة في الأوقات التي تضعف فيها الحكومات في العراق .

وفي أوائل القرن الثالث الميلادي ،وإبان الاضطرابات التي أعقبت سقوط الأسرة البارثيّة وقيّام الأسرة الساسانية وفدت طلائع عربيّة من قبائل تنوخ اليمنية. وسكنت غرب الفرات وبمرور الوقت تحوّلت الخيّام إلى مدينة عرفت ب "الحيرة " والتي تحوّلت إلى إمارة فيما بعد.

و تقع الحيرة قريبا من مدينة بابل القديمة وجنوب الكوفة، فقد غدت بحكم موقعها الجغرافي مركزا هاما للقوافل لم يسع الساسانيّون إهماله ،وهذا ما جعلهم يضعوها تحت حمايتهم (1).

لا نعرف تاريخ الحيرة على وجه التحقيق. ولكن ليس هناك من شك في أنّها مدينة قديمة. ولعل أقدم ما وصلنا عنها، إنّما هي كتابة ترجع إلى حوالي 132م ذكرت فيها المدينة تحت اسم "حيراتا " هذا وقد اشتهرت المدينة باسم" حيرة النعمان " عند

---

(1)-محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ،ج2،ص ص 449-451.

المؤخرين العرب . و"الحيرة مدينة العرب" عند المؤرخين السريان وأمّا" التلمود" فقد أطلق عليها اسم "حيراتا دي طيبة " أي "معسكر العرب وحيرة العرب " (1)

لقد كان مصير هاتان المملكتين واحد تابعتين للإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية وكانتا بمثابة مركزي حراسة لهما على حدود الصحراء،ونتج عن هذه السياسة التي سارت عليها القوتان القديمتان دوام الحرب بين أبناء العمومة أي الغساسنة والمناذرة .

وهكذا قامت دولة الغساسنة للروم ودولة المناذرة للفرس دور الحاجز الذي يقيهم شر الهجمات التي تأتيهم من البدو من أطراف الصحراء، وربما ما يفسّر هذا الأمر هو أن كل من الغساسنة والمناذرة ليست لهم دراية بأمور الدولة، وهذا ما جعلهم تحت حماية البيزنطيين والفارسين حتى يتوصلوا إلى بناء كياناتهم السياسية على غرار تنظيمات تلك القوى.

ويعتقد المختص سباتينو موسكاتي، أنّ القبائل العربية بعدما تدخل إلى أرض جديدة تترك كل ما يربطها بحياة البداوة ويتكرر هذا الوضع مع القبائل الجديدة (2) ،وهذه الميزة مشتركة بين كلّ الشعوب الساميّة التي دخلت إلى العراق القديم مثل الأكديّين، وإن دّل هذا فإنه يدل على سرعة تأقلمهم مع حضارات جديدة ورغبتهم في التعرّف على منتجات شعوب أخرى.

ولقد كان الشرق الإفريقي هو أيضا بدوره جزء من الأقاليم الجغرافية التي استوطنتها القبائل اليمنية منذ القدم ، علما أن العلاقات التي تربط بين الطرف العربي والإفريقي تضرب بجذورها إلى عصور ماقبل التاريخ، وهذا ماجعل مجمل الباحثين يفكرون في وجود تراث ثقافي مشترك بين اليمنيين والأحباش. وسوف نفسر كل هذه الأفكار في المبحث الخاص بحركة الاستيطان اليمنية في الشرق الإفريقي .

---

(1)-جواد علي ،المرجع السابق ،ج3،ص ص 156-157.

(2)- sabatino moscati,histoire et civilisation des peuples sémitiques , op cit ,p190.

3- الاستيطان اليمني في شرق افريقيا

أ- العلاقات اليمنية الإفريقية

تعتبر الرحلة التي أمرت بها الملكة حتشبسوت الملقبة بالفرعون المرأة إلى بلاد "بونت" من أشهر و أروع رحلات المصريين إلى ذلك البلد الأسطوري ، لأنها استطاعت أن تعكس للعالم عن طريق المناظر التي رسمت على جدار الدير البحري في البر الغربي لمدينة الأقصر، حقائق علمية ساهمت في إعطاء فكرة عن طبيعة المنطقة الجغرافيّة والنباتيّة والحيوانية والبشريّةومنها :

- إنّ مناظر أهل بونت في معبد الفرعون ساحورع(الأسرة الخامسة) ومناظرهم على جدرا الدير البحري وبعض مقابر طيبة للأسرة الثامنة عشر، تبين أنهم من جنس يشبه كثيرا جنس المصريّين ويتفق معهم في أكثر الملامح والملبس.

- جميع ما ذكره المصريون عن خيرات بونت يمكن الحصول عليه من الشاطئ الأسيوي وأكثره محلي وبعضه يأتي إليها بوساطة تجارية .

- إنّ أحسن أنواع البخور لا تنبت في الشاطئ الإفريقي، بل في ظفار وجزيرة سقطرة* وكلّها على الشاطئ الجنوبي لجزيرة العرب (1).

لم تتوقف الأثار العائدة لعهد حتشبسوت في رسم مناظر بونت، بل تعدّت ذلك إلى ذكر كلمة "خبستيو " التي كتبت بمخصص شعب ، و جعلتهم النصوص المصرية " المنتمون لأرض الإله "، فالمقصود بأرض الإله في النصوص المصرية المناطق الشرقية التي كانت الجزيرة العربية جزءا منها، وبالتالي فربما هذا الاسم يدل على أحد القبائل اليمنية المعروفة باسم "حبشات "(2).

---

*سوقطرة جزيرة يمنية تقع عند مدخل خليج عدن قابلة رأس القرن الافريقي والمعروف في اليمن باسم رأس عسير وتمتد بين الشرق والغرب لمسافة 113كلم (70ميلا) .محمد خميس الزوكة ن المرجع السابق ،ص26.

(1)-أحمد فحري ،دراسات في تاريخ الشرق القديم ،المرجع السابق،ص 139.

(2)- بلقاسم رحماني ، المرجع السابق ، ج2،ص45.

والهدف من كلّ ما ذكرناه هو إظهار عمق العلاقة التي تربط بين الطرفين اليمني و الإفريقي وعممنا في استخدامنا تسمية إفريقيا، لأنه لا يعقل أن ينحصر تمركزهم في الحبشة فقط ، ربما هناك من يرفض الأدلة التي اعتمدنا عليها باعتبار "بونت " منطقة جغرافية غير معروفة بدقة ، ولكن العلماء أجمعوا على أنّ هذه التسمية تشمل كلّ ما نعرفه اليوم باسم جنوب جزيرة العرب والصومال و ارتيريا .

وإن دلّت هذه الحقائق على شيء ،فإنها تدل على قدم العلاقات بين اليمن والقارة الإفريقية عامة وبالتالي نستطيع أن نسقط بكل الآراء التي ترجع تاريخ العلاقات بين اليمن والشرق الإفريقي إلى القرن السابع ق م، وهذا ما يجعلنا نفهم بأنّ تأخر الآثار العربية في الحبشة إلى القرنين السابع والسادس ق م ، لا يدل على حداثة الاتصال بين الطرفين، وإنما ذلك يعود إلى تأخر ظهور مستوطنات عربية لا أكثر لأننا لا نستطيع أن ننكر ذلك الاتصال الحتمي الذي يربط الساحل الغربي لجنوب شبه الجزيرة العربية والساحل الإفريقي الشرقي الذي فرضه التكوين البنيوي للمنطقة . فالمسافة بين الشاطئين يمكن اجتيازها بالقوارب البدائية التي كانت متوفرة لدى كلّ الشعوب البحرية القديمة.

وبطبيعة الحال توصلت الدراسات الأثرية إلى إثبات تلك العلاقة ، والتي تضرب بجذورها إلى عصور ما قبل التاريخ بدليل أنّ هناك ثقافات مشتركة بين الشرق الإفريقي وجنوب غرب الجزيرة العربية والتي تتلخص في بقايا أدوات مصنوعة من حجر الصوان (1).ولهذا يذكر" شتولمان "، أنّ تحركات هذه الأقوام بدأت مع أخر الفترات الجليدية وسمي هذه الجماعات بطلائع الحاميين، في حين يذهب آخرون إلى أنّه من باب المندب دخلت جماعات " البوشمن " و" الأقزام " والسلالة الزنجية منذ العصر الحجري القديم (2).

---

(1)-(M – L) inizan,(V- F) viglia, Les périples de L'Obsidienne à travers la mer rouge, op cit،pp11-19.

(2)- بلقاسم رحماني ،المرجع السابق ،ج2،ص106

و لم تقتصر الهجرات اليمنية على العصورالأولى فقط ،بل استمرت على الدوام سوءا أكانت هذه الهجرات راجعة إلى اضطرابات داخلية أو لأغراض تجارية، ولكن مهما يكن من أمر فإنّ هناك مجموعة من الظروف كما سبق وأن تحدثنا عنها هي السبب الأساسي في تنشيط هذه الظاهرة البشرية من فترة زمنية لأخرى والتي انتهت بتأسيس مستوطنة تابعة للدولة المركزية باليمن لهي مملكة "أكسوم "وللتعرف على هذه المملكة يجب علينا أن نطرح إشكالا: فمن هي مملكة أكسوم ؟وأين تمركزت ؟وكيف كان مسارها التاريخيّ؟.

ب- مملكة أكسوم

يظهر من خلال الأثار التي توصل إليها الباحثون أن الحبشة مرّت بمراحل تاريخية مختلفة ولكلّ مرحلة منها خصائصها ومميّزاتها التي تجعلها تختلف عن سابقتها .

وتعتبر الهجرات العربية هي بدايات التاريخ القديم لها ، ولهذا قسم الباحثون تاريخ المنطقة إلى ثلاثة مراحل وهي:

أ-المرحلة السبأية حوالي القرن السابع ق م إلى القرن الأول الميلادي في هذه المرحلة احتل اليمنيون موقع الصدارة بحكم تفوقهم الحضاري وكوّنوا مملكة قويّة اتخذت من أكسوم* مقرا لها .

ب- المرحلة الأكسومية ما قبل المسيحية من منتصف القرن الأول الميلادي إلى منتصف القرن الرابع الميلادي(نقصد به تاريخ دخول المسيحية إلى الحبشة) ، عرفت هذه الفترة تأثير الحضارة الرومانية ،يظهر ذلك من خلال البقايا الفخاريّة وقطع نقدية خاصة من معدن الذهب و الفضة ،وهذا دليل على ازدهار المملكة الأكسومية .

ج- المرحلة الأكسومية المسيحية من منتصف القرن الرابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي ازدوجت هذه الفترة بين الإزهار والتدهور . (1).

---

(1)- (H) de contenson : « les principales étapes de l’Ethiopie antique », In :C.E.A, vol2, n°5, 1961, pp22-23.

*حسب أحد الباحثين اليمنيين صيغة اسم أكسوم تذكر بالعربية الجنوبية (أمغول) وجذر الاسم (ك س م) يذكّر باسم ناحية (كسمة) في ريمة الحالية .

ومن خلال تقسيمات المختصين تبين لنا، بأنّ التواجد اليمني بالحبشة مرّ بمرحلتين تاريخيتين متشابهتين ومختلفتين في نفس الوقت ،وتتمثل الأولى في مرحلة" ياحا "أما الثانية فهي مرحلة "أكسوم "التي هي موضوع دراستنا إلى جانب "قرطاجة "الفينيقية ، وبالتالي يجدر بنا أن نترك كل ما يتعلق بتطور أحداث هذه المستوطنة إلى الفصل الثالث أين نعرف بها أكثر .

مما سبق نستنتج، بأن عرب الجنوب لهم الدور في إدخال الحبشة إلى مراحلها التاريخية ،لذا امتدت تأثيراتهم إلى المنطقة عن طريق الهجرات اليمنية المستمرة وقد تمكّن المهاجرون من تأسيس مستوطنات في شمال الحبشة على غرار ما كان سائدا في جنوب الجزيرة العربية .وبحكم تفوقهم الحضاري على حساب أهالي المنطقة احتلوا مواقع الصدارة وتقريبا حوالي القرن الأول للميلاد ،ظهر كيان سياسي في الحبشة ذات ثقافة عربية جنوبية إفريقية وهو "مملكة أكسوم " كثالث قوة دولية إلى جانب الفرس والروم .

وبالتالي تعتبر المنطقة الجنوبية من حوض البحر الأحمر منطقة حضارية واحدة مثّل فيهما البحر الأحمر ومضيق باب المندب عملي وصل أكثر منهما عاملي فصل ،امتدت التأثيرات العربية إلى أكسوم لكي تشمل اللغة – العقائد – أساليب الزراعة –والري .

نستخلص مما سبق ،بأنّ وراء حركة الهجرة الفينيقية واليمنية مجموعة من العوامل التي كانت دافعا قويا لترك الإطار الجغرافي الأصلي بمواقع جديدة لتأسيس مستوطنات يكون مقرهم الجديد ويعوضهم عن الوطن الأم. و اختيار هؤلاء لأوطان جديدة ليست عملية عشوائية ، كما يضن البعض ، بل اختيار ذكي له أهدافه المسطرة من قبل تخدم مصالحهم ، خاصة إذا ما عدنا إلى عماد الاقتصاد الفينيقي واليمني المتمثل في التجارة والوساطة التجارية البرية منها والبحرية.

بحيث نجد كل المستوطنات سواء كانت الفينيقية أو اليمنية تتمركز بالقرب من الطرق التجارية البرية والبحرية أو الموانئ أو مراكز السلع تخدم المصالح الاقتصادية للمجتمعين الفينيقي واليمني ،ولم نسمع بتأسيس مستوطنة خاصة بهما في منطقة لا تخدمهم ،وإلاّ كيف نفسر تطور كل المراكز من محطات تجارية بسيطة إلى مستوطنات

دائمة لمجتمعات جديدة تترك بصماتها الحضارية في الأماكن التي كانت على صلة بها و يتجلى ذلك في الآثار الحضارية الفينيقية في حوض البحر الأبيض المتوسط والآثار الحضارية اليمنية في شمال شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا .

ومن هنا ظهر لنا بأنّ هناك نقاط تشابه تجمع بين الطرفين الفينيقي واليمني ولا يجب أن نترك هذه الملاحظة عالقة، فهي بحاجة إلى الدراسة والبحث ، ولهذا حاولنا أن نأخذ نموذج من المستوطنات الفينيقية ونموذج من المستوطنات اليمنية لمقارنتها وكانت "قرطاجة الفينيقية "في شمال القارة الإفريقية ، و"أكسوم "اليمنية في شرق إفريقيا أفضل عينة تعكس لنا ذلك الشبه الكبير سواء من ناحية تطورهما التاريخي من محطات تجارية بسيطة إلى مستوطنات تابعة للوطن الأم، ثم إلى إمبراطوريات ذات وزن سياسي كبير إلى جانب القوى السياسية الأخرى بالعالم القديم والانفصال النهائي عن الوطن الأم ، أو من ناحية التأثير الحضاري على أهالي المناطق الجديدة

ومثل هذه المواضيع تتطلب دراسة مقارنة حتى نتوصل إلى إظهار الشبه الذي يربط بين القومين ليس فقط من ناحية الاستيطان، ولكن حتى في الجوانب الحضارية الأخرى وربما كان هذا الأمر يتعدى وجه التشابه فقط بل يصل إلى فرضية انتماء إلى أصل واحد مشترك .

أ-مستوطنة قرطاجة

I-قرطاجة النشأة والتطور

1-تأسيس قرطاجة

2-الناحية الطبوغرافية لمدينة قرطاجة

3-علاقات قرطاجة مع صور

4-قرطاجة من محطة تجارية إلى امبراطورية

II-التنظيم السياسي والاقتصادي

1-النظام السياسي

2-النظام الاقتصادي

2-1-الزراعة

2-2-الصناعة

2-3-التجارة

III-الحياة الاجتماعية والثقافية

1-الحياة الاجتماعية

2-الحياة الدينية

3-الكتابة

IV-المنشآت العمرانية

1-العمارة المدنية

2-العمارة الدينية

3-المرافئ

ب- مستوطنة أكسوم

I-مصادر تاريخ أكسوم

1-أكسوم بين الأسطورة والتاريخ

2- مصادر دراسة تاريخ أكسوم

2-1-المصادر الأثرية

2-2-المصادر غير المباشرة

3-مملكة أكسوم بين المصادر المادية والكتابية

II-تاريخ الحبشة القديم

1-مراحل التواجد اليمني بالحبشة

2-أكسوم من مستوطنة إلى امبراطورية

III-الحياة الاجتماعية والثقافية

1-التركيبة السكانية

2-اللغة والكتابة الاكسومية

3-الديانة الأكسومية

IV-الأنشطة الاقتصادية في أكسوم

1-الزراعة

2-التجارة

V-العمارة الأكسومية

1-العمارة المدنية

2-العمارة الدينية

ج-جدول مقارن لمستوطنتي قرطاجة وأكسوم

أ-مستوطنة قرطاجة

I-قرطاجة النشأة والتطور

1- تأسيس قرطاجة

تكاد تتفق المصادر الأدبية اعتبار سنة 814ق م، سنة تأسيس مستوطنة قرطاجة (1)وحسب الروايات، يعود تأسيسها إلى الأميرة عليسة التي فرّت من شقيقها بقماليون بكنوز زوجها عشر باص الذي اغتاله صهره و عرفت كيف تحتال على شقيقها ، وأبحرت بأموال زوجها ومؤيديها إلى قبرص ، ومنها إلى إفريقيا بعد أن انظم إليها في قبرص كاهن (يونو) الذي ضمن لنفسه ولأسرته من بعده الإشراف الديني في المدينة الجديدة، وفي افريقيا ابتاعت عليسة قطعة أرض بمقدار جلد ثور قطعت الجلد إلى أشرطة صغيرة ،أحاطت بمساحة تكفي لبناء مدينة (2)

إنّ الروايات التي تتحدث عن تاريخ تأسيس قرطاجة تقدم أهمية تاريخية، لكنها لا تخرج عن الطابع الأسطوري، ولهذا لا يمكننا أن نعتمد عليها بصورة مطلقة لبناء حقيقة تاريخية ، مما يصعب على الباحثين تحديد الظروف الحقيقية لتأسيس هذه المدينة .

على ضوء هذه الروايات ،يمكن الاستنتاج بأنّ تأسيس قرطاجة كان نتيجة للصراع بين القصر والمعبد ، لكن هذه الفرضية تصطدم بغياب البغضاء والعداوة بين قرطاجة وصور في النصوص الكلاسيكية ،حيث أخبرنا هؤلاء بالتقدير الكبير الذي كانت تكنه قرطاجة لمدينة صور(3) ،والمتمثل في تقديم القرابين سنويا لمعبد الإله ملقارت عن طريق سفارة قرطاجية (4).

---

(1) – يضع تيما يوس تأسيس قرطاجة بثمانية وثلاثين سنة قبل الأولمبياد الأول وهو يوافق السنة 776ق م ،ويذكر فيلنيوس باتركولوس أنّ قرطاجة عاشت 667 سنة وهو ما يقودنا إلى سنة 813ق م . حول مختلف يظر Gsell,op-cit,PP397-399

(2)- Justin, Histoire universel, XVIII, 4,5

(3)- جوليان(شارل أندري) ،تاريخ افريقيا الشمالية ،ج1،ت محمد مزالي ،البشير سلامة ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1969،ص87.

(1)- Gsell, op cit, t1, 397

فإذا افترضنا أنّ الأميرة عليسة هربت من بطش أخيها ، فكيف نفسر هذه العلاقة التي تربط المدينة الجديدة بصور؟ فهل هذه الأسطورة هي في الحقيقة دعاية تخفي الأهداف الحقيقية للفينيقيين في تأسيسهم لهذه المدينة الإستراتيجية؟، خاصة إذا ما لاحظنا إلى المسافة القصيرة التي تفصلها عن" أتيكا " المستوطنة الفينيقية الأولى هل كل هذا مدبرا وربما كان تأسيس قرطاجة من طرف عضو من البيت الملكي، فقد جعلها تكسب المكانة والشهرة التي تمتعت بها فيما بعد على حساب المستوطنات الأخرى بغربي البحر الأبيض المتوسط .

2- الناحية الطبوغرافية لمدينة قرطاجة

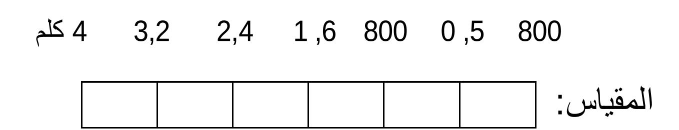
لقد اعتمد الفينيقيون في بناء مدنهم على المناطق المحصنة طبيعيا، هذه الميزة جعلتهم ينفردون بها مقارنتهم مع الشعوب السامية الأخرى واتبعتهم أينما بسطوا نفوذهم ، هذا ما يجعلنا نفهم من وراء ذلك حبهم للسلام وابتعادهم على كل المشاكل ،كما أنّ كونهم دائمي التنقل والترحال ويستغرقون مده زمنية طويلة بعيدين عن منازلهم ،وربما هذه الظروف أرغمتهم على وضع منازلهم في مأمن .ينظر الخريطة رقم (5).

وبالتالي براعتهم في معرفة اختيارهم للأقاليم التي تتماشى مع طبيعة مدنهم جعلتهم يتكيفون بسرعة مع المناطق الجديدة التي يستوطنونها ،لقد ساعدهم هذا العامل على تأسيس عدة مستوطنات ومحطات تجارية بحوضي البحر الأبيض المتوسط ،وكما كان لهم الدور في اكتشاف مناطق جديدة لم يتعرّف عليها العالم من قبل ،وذلك من خلال ربطهم لعلاقات بين حضارات مختلفة في مختلف جهات المعمورة .

امتازت قرطاجة بجودة موقعها الاستراتيجي ،على شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة وببحيرتي تونس وأريانة من الجهتين الأخريين ،أما من الخلف فأنها محمية بمرتفع برصا ، الذي بني في قمته معبد الإله "أشمون " ولا تتصل قرطاجة باليابس إلاّ عن طريق برزخ ضيق يبلغ طوله أربعة كيلومترات ونصف.

خريطة رقم(5) تمثل "موقع مدينة قرطاجة "

800 0 ,5 800 1 ,6 2,4 3,2 4 كلم

المقياس: 

وتشهد البقايا الأثرية على أنّ المدينة مقسمة إلى أحياء سكنية متميزة حسب الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع القرطاجي ،وهي أحياء صلامبو- بيرصا – ميغارة وحسب الأبحاث الأثرية لسنة 1940، يعتير حي" صلامبو" أقدمهم جميعا وذلك بالاستناد إلى بقايا معبد الإلهة " تانيت " التي يؤرخ لها بمنتصف القرن الثامن ق م(1).

و يتوسط معبد الإله "أشمون" حي بيرصة،الذي شيد في وسط مدينة قرطاجة في منحدر للحراسة على الموانئ، وفي محور الطرق الثلاثة المحاطة بها من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية انتشرت مجموعات من القبور التي يعود تاريخها إلى القرن السابع ق م، وهي متنوعة من حيث الشكل وطريقة الدفن والأثاث الجنائزي(2)، وينحصر حي بيرصة وسط ثلاث طرق تخترقها مباني شاهقة من ستة طوابق (3) .

أما بالنسبة لحي "ميغارة "يبد أنه مخصص للأسر الغنية التي كانت تتمركز غالبا في شمال وشرق، وتدل البقايا الأثرية أن المنطقة كانت تنبسط فيها البساتين الواسعة. وفي أسفل حي بيرصة توجد الساحة العمومية المحصورة بينه وبين الساحل ، وحولها توجد المباني الرسمية مثل مبنى مجلس الشيوخ ، والحكام ودار الثقافة.

إلى أقصى الجنوب من المدينة نجد الميناء المزدوج بقسميه التجاري والحربي من الأجزاء الهامة في مدينة قرطاجة ،وتشير الكتابات التاريخية أن عرض مدخل الميناء كان بقدر بحوالي 23 مترا ،وزود المدخل برصيف يصعد فوقه البحارة ثم يجرون سفنهم بالحبال إلى الداخل حتى تصبح في مأمن من تقلبات الطبيعة(4).

---

(1)-محمد الصغير غانم ،التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط،المرجع السابق ،ص ص 102-103.

(2)-Serge Lancel : « Fouilles Françaises a Carthage, la colline_de Byrsa et occupation punique (7eme siècle -146av .j .c) »In :C.R.A.I, V125, N2, 1981، p p 156-193.

(3)- مادلين هورس ميادين ، تاريخ قرطاج ،المرجع السابق ،ص 45-48.

(4)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 105.

تحيط بالمدينة أسوار دفاعية ،وتتخللها فتحات وهي عبارة عن ممرات للدخول أو الخروج من المدينة ، وتعتبر هذه الأسوار بمثابة مخازن لكل المستلزمات الحربية التي توضع مهيأة للرد على أي هجوم خارجي قد يهدد سلامة المدينة .

يبدو من خلال طبوغرافية مدينة قرطاجة، أنّ الفينيقيين فكروا في كل المشاكل التي قد تستطيع أن تصادفهم بالمنطقة ،فكل موضع من هذه القطعة الأرضية مهمة خاصة بها، فنجدها تجمع بين كل مستلزمات الحياة التي لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها، إلى جانب ذلك فإنّ المدينة شيدت في منطقة محصنة طبيعيا .

3-علاقات قرطاجة مع صور

لقد كانت قرطاجة في بداياتها تربطها علاقات دينية مع الوطن الأم "صور " بالساحل الفينيقي ، وهو دليل على تبعيتها في القرون الأولى من تاريخها وتتلخص هذه العلاقة في ثلاثة واجبات كانت تؤديها قرطاجة كبقية المستوطنات الفينيقية بالبحر الأبيض المتوسط :

- عشر الدخل العام :

كان القرطاجيون في بداية عهدهم يرسلون لصور - حسب رواية ديودور الصقلي- عشر الدخل العام (1)، باعتبارهم معمرين نزحوا من هذه المدينة لذلك اعتادوا في العهود السابقة أن يقدمون لإله صور (ملقارت) عشر الدخل العام .

وحسب التقاليد المعمول بها في الساحل الفينيقي، فإن المعابد ليس لها أي دور اقتصادي على خلاف ما نجده في بلاد الرافدين مثلا ، لذا يمكن أن نستنتج بأنّ ملك صور كان يستحوذ على عشر قرطاجة وبالتالي فإنّ هذا المدخول تتمتع به السلطة السياسية لا غير ، وأحسن دليل على ذلك هو تراجع قرطاجة عن دفعها لهذه الضريبة

(1)- Diodore de Sicile, Bibliothèques Historique, trad, fered.hoefer, Paris, Ed.Hacchette 1865.III, 20-14.

بعدما بدأ الضعف يدب في السلطة المركزية لصور نتيجة غزو الإمبراطورية الأشورية والبابلية والفارسية وتدهور الحكم الملكي تحت سيطرة الفرس (1).

- عشر غنائم الحرب

كما يوجد صنف أخر من المدفوعات القرطاجية لمدينة صور تتمثل في العشر من الغنيمة ، ففي منتصف القرن السادس ق م ، أرسلت قرطاجة إلى صور العشر من غنيمة جيشها أثناء معاركها في صقلية(2)، حيث كان القرطاجيون يعتبرون أنفسهم رعايا ملك صور فلهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، فأنّ قرطاجة لم تكن مملكة مستقلة عن صور ، لذا فالعمل بالعشر المثبت في منتصف القرن السادس ق م، يخول لنا إقرار تبعية قرطاجة إلى صورفي تلك الفترة، في حين تغيرت العلاقة بين المدينتين ابتداءا من منتصف القرن السادس ق م، و إلى غاية نهاية القرن الرابع ق م .

و نعتقد بأنّ نهاية الحكم الملكي في قرطاجة منذ القرن الخامس ق م، دليل على انقطاع العلاقة بين الطرفين ،وربما يعود هذا إلى تراجع سلطة الملك في صور بسبب الأحداث التي عرفها الساحل الفينيقي و التي سبق أن أشرنا إليها ، فلم يعد القرطاجيون يحسون بهيبة صور أم أنّ قرطاجة ليست بحاجة إلى من يحرس على سلامتها لأنها كانت في أوج ازدهارها ، لهذه الأسباب كلها توقفت قرطاجة عن دفع هذه الواجبات المالية اتجاه مدينة صور .

- تقديم القرابين للإله ملقرت "هرقل"

كانت البعثة القرطاجية تقدم سنويا قربانا إلى معبد الإله ملقرت ، عملا بالعادة القومية ، وقد كان الاحتفال بهذا القربان يقام في نفس الفترة في صور وفي العديد من مستوطناتها ، فالاحتفال بتقديم الذبيحة إلى الاله ملقرت سنويا – على مر القرون – يبين

---

(1)- أحمد الفرجاوي ،بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ،المعهد الوطني للتراث ،تونس 1993.ص40.

(2)- Justin, op cit, XVIII, 7.

الوحدة الدينية بين صور و قرطاجة وغيرها من المستوطنات، ويشهد على تواصل العلاقات بين الشرق الفينيقي وغربه وعلى حرصها على الحفاظ بمعتقد الأسلاف (1).

القرابين التي أرسلتها قرطاجة إلى صور لم تذكر إلاّ في مناسبتين ، الأولى لما تحدث ديودور الصقلي عن الخيرات النفيسة التي قدمت كقرابين للإله ملقرت عند تأريخه لاجتياح أجاتوكليس لإفريقيا في القرن الرابع ق م (2)، والمناسبة الثانية عندما أشار بوليب من جهته إلى أجود السفن التي اختارها القرطاجيون لحمل بواكير محاصيلهم إلى صور قصد إهدائها إلى آلهة هذه المدينة .

وبالتالي يتضح لنا بأنّ قرطاجة كانت دوما وفية لآلهة مدينتها الأم وذلك حتى أخر عهدها ،فقد ضلت العلاقات الدينية مستمرة على عكس العلاقات الأخرى، إذن فالقرابين لم تتوقف، أما الضريبة المالية التي كان ينتفع بها الساسة في صور فقد توقفت في منتصف القرن السادس ق م .

و يرى البعض بأنّ نتائج معركة هيميرا(480ق م)، كانت السبب الأساسي في الانفصال النهائي بين الطرفين، لا ننكر الدور الذي لعبته نتائج هذه المعركة* ولكن لا نستطيع أن نعتبرها الدافع الوحيد الذي أدى بقرطاج إلى أن تقطع علاقتها بصور.

لأن الأحداث التي كان يعيشها الساحل الفينيقي عامة ابتداء من القرن السابع ق م، أضعفت كاهل الدول الفينيقية، وبالتالي فإنّ المستوطنات الموجودة بالحوض الغربي للمتوسط لم يكن بإمكانها الاعتماد على مساعدة صور التي انتابها الضعف نتيجة ضربات الأشوريين والفرس قبل أن تخضع لإسكندر المقدوني سنة332ق م.

---

(1)- احمد الفرجاوي ، المرجع السابق، ص50.

(2)- Diodore de Sicile, op cit, III, 15,1.

*دارت معركة هميرا بين القوات القرطاجية والإغريقية سنة 480 ق م،ومن نتائجها انكسار قوات قرطاجة وبالتالي أخذت هذه الأخيرة تغير سياستها على حساب أهالي المغرب القديم وذلك من خلال تنكرها للضريبة التي كانت تدفعها للأهالي كما شرعت في احتلال أرضي المغاربة ، بعد أن حدت المعركة من نفوذها البحري ، والانفصال النهائي عن الوطن الأم .

وبذلك وجدت المستوطنات الفينيقية في الغرب نفسها وحيدة في مواجهة الإغريق واضطرت إلى التحالف مع قرطاجة ولا يعد لصور سلطة مركزية قوية تستحق ما كانت قرطاجة تقدمه لها في القرون الأولى من نشأتها الأمر الذي شجع قرطاجة إلى أن تظهر كقوة في البحر المتوسط (1).

استطاعت هذه القوة الفتية أن تنتقل من مرحلة التبعية المباشرة للوطن الأم إلى مرحلة الاستقلال والإنفراد بالسلطة، وربما إبقائها للعلاقة التي كانت تربطها بصور هو الأمر الذي جعل الأحداث التي عاشها الساحل الفينيقي تنتقل من مستوطنة قرطاجة التي أظهرت مزاياها الإستراتيجية منذ القرون الأولى من تأسيسها .

4-قرطاجة من محطة تجارية إلى امبراطورية

بدأت التوسعات الإغريقية في بداية القرن السابع ق م ، في جنوب ايطاليا وصقلية وقورينة في ليبيا حوالي 631 ق م ومساليا في غالة حوالي سنة 600ق م ،وألاليا في الساحل الشرقي لكورسيكا كما حاولوا النزول في سواحل سردينيا مما شكل خطر على فينيقي الغرب.

و بدأ القرطاجيون يحسون بأخطار تداهمهم من جانبين ، أولا من صور التي لم تكن تستطيع الرد عن الخطر الأشوري والفارسي ،ثانيا الإغريق الذين سيطروا على مناطق إستراتيجية تستطيع أن تمس بمصالحها التجارية في البحر الأبيض المتوسط ،علما أنّ قرطاجة في هذه المرحلة كانت تابعة للوطن الأم، وبالتالي لا يوجد من يحميها من الأخطار الخارجية (2).

لذلك انتهزت قرطاجة الظروف المشار إليها، وتزعّمت السيادة البحرية في غربي المتوسط ، وحسب ما يفهم من بعض المصادر أنّ قرطاجة بدأت تؤسس مستوطنات

---

(1)- محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص107.

(2)- محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ،ص 48

لحسابها ابتداء من القرن السابع ق م، ومن بينها ابيزا التي تحدث عنها سترابون وحددّ تاريخ تأسيسها ب 654 ق م (1)

وبذلك أصبحت إمبراطوريتها تمتد من خليج السرت في لوبة شرقا ويتجاوز نفوذها أعمدة هرقل غربا، كما ضمت إليها سواحل كل من إسبانيا جزر البليار وسردينيا، وكذلك جنوب غربي صقلية هذا الأمر الذي جعلها تتحكم في مضائق الحوض الغربي و الشرقي للبحرالأبيض المتوسط ،مما جعل المؤرخون يسمون هذه الأخيرة بالبحيرة القرطاجية (2)،وأصبحت قرطاجة تحتكر تجارة البحر الأبيض المتوسط وألزمت روما وحلفائها بعدم الإتجار على شواطئه الجنوبية قبل أخذ الإذن منها (3).

أما عن الصعيد القاري الداخلي ، فتجدر الاشارة إلى أنّ قرطاجة كانت متواضعة ، وضلت تدفع الجزية للاهالي لمدة أزيد من ثلاثة قرون (814-480ق م)، إلاّ أنها سرعان ما تمكنت من فرض نفسها كقوة ابتداء من القرن الخامس ق م ،وتطورت من مركز تجاري إلى قوة بحرية تعمل على السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط .

ولعل دليل القوة كان يتمثل في المعاهدات التي كانت قد أبرمتها قرطاجة مع روما خلال تلك الفترة والتي كانت في معظمها لصالح القرطاجيين .(4)

كما تغيرت سياستها مع الأهالي وذلك بتنكرها للضريبة التي كانت تدفعها لهم، إضافة إلى توسعاتها على حساب أراضي اللوبيين بعد هزيمتها في معركة هميرا وبالتالي

---

(1)- Diodore de sicile ,op cit,V ,16.

(2)- محمد الصغير غانم،المملكة النوميدية والحضارة البونية ،ط1، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع ،الجزائر 1998، ص30.

(3)- Polybe, Histoire, trad.Raussel, coll, la pléiade, 1979, III, 22.

(4)-Ibid, III, 22, 24, 25.

استنتجت بأن لا تعتمد فقط على التجارة، بل لابد من مدخول أخر جديد يعوضها عن خسارتها ومنذ هذه الفترة اعتمدت على النشاط الزراعي وهنا يبدأ ما عرف في السياسة القرطاجية" بالإتجاه الإفريقي".(1)

كما أنّ تفوقها الاقتصادي والعسكري جعلها تربط علاقات مع المستوطنات الفينيقية الأخرى بغربي المتوسط ،التي يبدو أنها مكلفة بالسهر على أمنها وممتلكاتها مقابل الاعتراف بسلطة قرطاجة في بعض المجالات السياسية والاقتصادية .

ولاندري إن تقبلت هذه المستوطنات السيادة القرطاجية أم لا؟لكن الظروف التي كان يعيشها عالم البحر الأبيض المتوسط في هذه المرحلة، دفعها إلى الاستنجاد بقرطاجة بعدما تراجعت قوات" صور" ولم تعد تستطيع الدفاع عن سلامة هذه المستوطنات (2).

وقد أستمر الأمر على تلك الوتيرة وذلك حتى القرن الثالث ق م، عندما فقدت قرطاجة سيادتها على صقلية وإسبانيا ثم انكمشت حدودها السياسية عقب نهاية الحرب البونية الثانية 201ق م، فاقتصرت على شمال تونس ، وانتهى الأمر بتدمير هذه المدينة عن أخرها سنة 146ق م، وتحولت أراضيها إلى مقاطعة رومانية ،بعد إشعاع دام أزيد من ستة قرون ونصف، حافلا بالإنتاجات الحضارية التي سوف نحاول التعرف عليها لاحقا .

---

(1)-Polybe, op cit, III,30-2 ;Gsell,op cit ,T2,P112.

(2)-محمد أبو محاسن عصفور، المرجع السابق ،ص71.

II-النظام السياسي والاقتصادي

1- النظام السياسي

لا نملك أدلة قطعية حول الأنظمة السياسية في قرطاجة في القرون الأولى من تاريخها، ويبدوا أنها شبيهة على الأقل في أجزائها الأساسية بأنظمة "صور" ومن هنا يمكننا القول أنّ قرطاجة كانت تتبع النظام الملكي في البداية ،رغم أنّ المصادر التاريخية سواء الأدبية منها أو الأثرية صامتة على هذا الموضوع في هذه المرحلة، ولم ينقل إلينا إسم أي ملك قرطاجي قبل القرن الخامس ق م، فعلاقة قرطاجة بصور إلى حدود القرن الخامس ق م، على الأقل قائمة على مؤسسة العشر* وقد تفيد هذه العلاقة أنّ قرطاج كانت مستوطنة تجارية عند تأسيسها ولم تكن مملكة (1).

وإذا ما عدنا إلى أسطورة تأسيس قرطاج التي تروي أنّ الملكة عليسة صحبت إلى إفريقيا أعضاء من مجلس الشيوخ الصوري، وهنا نجد في الأصل إشارة إلى ملكة قرطاج يساعدها في الحكم مجلس الشيوخ ومنذ القرن السادس ق م، ورد ذكر مجلس الشيوخ ومجلس النواب ينتخبهم الشعب(2)، ويحدثنا هيرودوت في أوائل القرن الخامس ق م بأنّ" هاملكار " بن حانون قد وصل إلى الملك لأجل قيمته (3).

ونفهم من ذلك أنّ تعيين الملك لم يكن وراثيا، بل كان يقع بالاختيار وقرطاجة من يوم تأسيسها إلى يوم سقوطها واضمحلالها ، كانت تهيمن عليها الطبقة الأرستقراطية وترتكز في آن واحد على الثروة والنسب.

---

*بمعنى أنّ كانت تدفع إلى صور عشرالدخل العام لمعبد الإله ملقارت ، باعتبارهم معمرين نزحوا من هذه المدينة ،كما يوجد صنف أحر من المدفوعات القرطاجية لمدينة صور تتثل في العشر من غنيمة الحرب ،وهذا دليل على تبعية قرطاجة لصور حتى القرن الخامس ق م

(1)- الشاذلي بورونية ،محمّد طاهر ، قرطاج البونية ،الإسكندرية ،1999 ،ص170.

(2)- مادلين هورس ميادين ، المرجع السابق، ص75.

(3)-Hérodote, op cit, VII, 165-166.

وفي النصف الثاني من القرن السادس ق م والنصف الأول من القرن الخامس ق م، سيطرت العائلة "الماغونية " على الحكم طيلة ثلاثة أجيال، بفضل نفوذ ماغون وتأثير أبنائه وبفضل أعمالهم البحرية والعسكرية ،وربما كان هؤلاء ملوكا أو على الأقل بعضهم (1). فهل يمكننا إذن أن نتحدث على نظام ملكي وراثي في هذه الفترة بما أنّ السلطة كانت بيد عائلة واحدة لطول ثلاثة أجيال ؟

ابتداء من القرن الرابع ق م، وردت بمعلومات أوفى و ربما أدقها حول المؤسسات السياسية القرطاجية، خاصة قبل الحروب البونيقية و تتكون هذه المؤسسات من :

أ- الشفطان: يمثلان السلطة العليا في قرطاجة وكانوا يمارسون وظيفتهم لمدة سنة واحدة في القرنين الثالث والثاني(2)، ومهمتهم استدعاء مجلس الشيوخ ويحددان له جدول الأعمال وكذا بالنسبة لمجلس الشعب كما كانت لهم مهمة قضائية.

ب- مجلس الشيوخ: يتكون من ثلاثمائة عضو يختارون من ضمن الطبقة الأرستقراطية مدى الحياة ودورهم هو إعلان السلم أو الحرب(3). وإن ذكر مجلس الشيوخ في قرطاج منذ أواسط القرن السادس ق م، إلا أنّ جذوره تعود إلى الشرق الفينيقي، كما ذكر هذا المجلس في رواية تأسيس قرطاج لذلك يرجح وجوده بالمنطقة قبل القرن السادس ق م، فمفهوم المجلس أو الهيأة التشريعية جوهري في كل الحضارات السامية حيث يعرف "بمجلس كبار المدينة "(4).

ج- مجلس الأربعة مائة: ينتخب أعضائه حسب ما أظهروه من استحقاق وهم مكلفون بمراقبة الملوك والقادة وكل الحكام (5).

---

(1)- محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 73

(2)- Gsell, op cit, t2, p197

(3)- Polybe, op cit, I, 31.

(4)- Justin, op cit, XVIII, 7,17-16.

(5)-الشاذلي بورونية ،المرجع السابق ،ص ص 177-185.

د- مجلس الشعب : يمثل هذا المجلس على غرار مجلس الشيوخ مؤسسة معروفة في الحضارات السامية القديمة تتخذ تسمية "شعب المدينة " مثل شعب صور ،كان على الشعب أن يساهم بقسط وافر في مناقشة المسائل العامة منذ القرن السادس ق م، وللدخول كعضو في المجلس هناك شروط يجب أن تتوفر لدى المترشح ، كأن يكون مثلا حرا ومن والدين قرطاجيين أو ملحق بالمدينة بالتجنس ويملك حدا أدنى من المداخيل ، ولكن رغم كل هذه الشروط، فالمشاركة الفعلية للشعب في السلطة نادرة ، ولا يلجأ إليه إلى في المسائل المختلف حولها بين الشفطين ومجلس الشيوخ.(1)

نستخلص من كل ما سبق، أنه رغم غموض طبيعة النظام السياسي الذي كان سائدا في المدينة الجديدة في قرونها الأولى ،إلا أنّ هناك بعض نقاط تشابه مع نظام الحكم في الوطن الأم "صور" المتمثل في النظام الملكي الذي يأخذ صفة جديدة التي هي انحصار الملك في أيدي الأسر الغنية (الأرستقراطية) بمعنى كبار التجار ورجال الأعمال ، ولهذا نستنتج بأنّ التجارة القرطاجية تجاوز تأثيرها مجال المال والأعمال وأصبحت مهيمنة وفاعلة في المجال السياسي نفسه .

وهذا ليس بغريب في مجتمع تجاري بالدرجة الأولى، ولم تكن هذه الظاهرة غريبة عن مدن الساحل الفينيقي ، وكذا عند القوافل السامية التي يديرها رئيس ويشرف عليها .وبالتالي نستنتج، بأنّ الشعوب السامية أينما ذهبت فهي رغم تأثرها بشعوب أخرى، إلا أننا نجدها دائما تحتفظ بأصالتها ولو بطريقة غير مباشر.

---

(1)- Gsell , op cit, t2, p p 224-230.

2-النظام الاقتصادي

لعبت التجارة دورا أساسيا في الحياة الاقتصادية لقرطاجة، ولهذا عمدت دائما على احتكار الأسواق وإبعاد المنافسين بكل الطرق ،ولكن رغم اهتمامهم بالميدان التجاري، فلم يجعلهم ذلك يبتعدون عن المجالات الاقتصادية الأخرى كالزراعة والصناعة فرغم بساطتها في القرون الأولى من تأسيس المدينة الجديدة ، إلا أنها بدأت تأخذ مكانتها في الاقتصاد القرطاجي ابتداء من القرن الخامس ق م .

2-1- الزراعة :

كانت تنحصر الأراضي الزراعية القرطاجية في شبه جزيرة "الرأس الطيب" في القرون الأولى من تأسيس المدينة ،إلاّ أنهم أخذوا يشجعون النشاط الزراعي وساهموا في تطويره وتوسيع مجاله الجغرافي، وأصبحت الأراضي الزراعية تمتد من شبه جزيرة الرأس الطيب حتى شملت كل منطقة شمال تونس (حاليا)(1)، وقد أثار هذا الوضع إعجاب الرومان وتشير الكتابات التاريخية، إلى أنه في أواخر القرن الرابع ق م، أثناء غزو أجاتوكلس Agatocles لبلاد المغرب ، وعند نزوله بجنوده بالرأس الطيب أعجبوا بالطبيعة الخلابة التي تتمتع بها المنطقة ببساتينها الخضراء وقطعانها الحيوانية كالأبقار والخيل ...إلخ (2).

وتتفق المصادر من خلال وصفها للمجال الزراعي لقرطاج أو تثمين علم الزراعة بها على أهمية التجربة الفلاحية القرطاجية، فقد احتفظت المصادر الإغريقية واللاتينية بعناصر المعرفة الزراعية للقرطاجيين من خلال كتاب الفلاحة ل "ماجون " الذي احتفظ به الرومان سنة 146ق م، اثر تدمير قرطاجة ولعله كان من أهم غنائم الحرب(3).

لقد جعلتهم هذه الخبرة يوسعون مساحة المنطقة الزراعية، كما كان لهم الفضل في تطوير وتنويع زراعة الخضر والأشجار المثمرة كالرمان والتين والزيتون ،واشتهرت

---

(1)-Gsell,op cit,t4,P 3.

(2)-Diodore de sicile,op cit ,XX,8,3-4 .

(3)- الشاذلي بورونيّة ،المرجع السابق،ص247.

خمور قرطاج في القديم، ولا سيما خمر العنب المجفف التي صدرت مع زيت الزيتون(1).

وقد كانت ملكية الأراضي الزراعية الواسعة تحت سيطرة الأغنياء الارستقراطيين الذين كانوا مستحوذين على الامور السياسية والاقتصادية على السواء، ومن الاهمية بمكان إلى حديث ديودور الصقلي على المنازل الريفية الفاخرة التي تمتلكها الطبقة الأرستقراطية التي تسكن المدينة(2)، لذلك يرجح أنّ هذه المنازل تستعمل في بعض فصول السنة فقط، وهو ما لاحظه أجاتوكليس ورغولوس أيضا في شبه جزيرة الرأس الطيب (3).

وأثبتت التنقيبات الاثرية لسنة 1979 حقيقة وجود هذا النوع من البيوت في منطقة" قمرت" بمجارا ذات الوظيفة المزدوجة فهو مركب من قسم معد للسكن يتضمن بئر وبيت استحمام وثلاث غرف، أما القسم الثاني ففيه معصرة زيت وأحواض لتصفية الزيت وجرّة كبيرة لخزن المؤون (4) .

هناك من يضن بأنّ انهزام الجيوش القرطاجية ضد الإغريق في معركة هميرا سنة 480ق م، هو الدافع الأساسي لاهتمام القرطاجين بالميدان الزراعي، حقيقة أننا لا ننكر دور هذا الحدث التاريخي في تحول الانشطة الاقتصادية بقرطاجة ، ولكن لا ننسى بأنّ القرطاجيون عرفوا النشاط الزراعي في وطنهم الفينيقي قبل خروجهم إلى الحوض الغربي للمتوسط ،إذ أعطوا لهذا المجال أي الساحل الفينيقي أهميته الخاصة، وذلك من خلال تخصيص السهول الساحلية والمرتفعات لخدمة الأرض ولا تلعب التجارة والصناعة في هذه المناطق أي دور.

---

(1)- مادلين هورس ميادين ،المرجع السابق ، ص 89

(2)- Gsell, op cit, t3, 27-29.

(3)- Tite live, XXXIII, 1, 48

(4)- الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر ،المرجع السابق ،ص 252.

وتبرز خبرتهم الزراعية أكثر في معرفتهم وإتقانهم لطرق استغلال المنحدرات الجبلية على شكل مدرجات.

إضافة إلى كل هذا يجدر الإشارة إلى نصوص التوراة التي ذكرت بلاد كنعان ودورها في إنتاج الزيتون والعنب الأصلي،و نجد سترابون يتحدث بدوره عن النبيذ الفينيقي الذي كان يصدر إلى مصر وكان هذا المحصول دائم في الساحل الفينيقي منذ القدم، حيث انتشرت زراعته في الإقليم الأوسط من رأس الخنزيرة إلى طرابلس جنوبا(1).

وبالتالي فخبرة المجتمع القرطاجي للنشاط الزراعي ليست وليدة فترة زمنية قصيرة، وإنما هي ارث حضاري كانت بداياته الأولى في الساحل الشرقي للمتوسط ،وإن تأخر اهتمامهم بالزراعة في الأرض الجديدة، ربما هذا راجع إلى تمسكهم بالطابع التجاري الذي أسست من أجله مستوطنة قرطاجة وكذلك تمسك أهالي المنطقة بأراضيهم.

2-2- الصناعة

تعتبر كل من الزراعة والصناعة المحركان الأساسيين في العملية التجارية وهما الأساس الذي بنيت عليه التجارة وبوجودهما، تزدهر حركة التصدير والاسترداد ،ولم تكن أهمية الصناعة حديثة العهد،بل اشتغل الفينيقيون بالصناعة منذ تأسيسهم لمدينة قرطاجة ،ولكن كانت منحصرة في صناعة السفن واستخراج الصباغة الأرجوانية (2) وباعتبار قرطاجة مدينة بحرية إذن من الطبيعي أن تحتل الصناعة البحرية المكانة الأولى، ولم يبدع القرطاجيون في صناعة السفن فقط، بل برعوا في أعمال التجارة بصفة عامة (3) .

---

(1)-Strabon, op cit, XVI, 2,9.

(2)- محمد الصغير غانم ،المرجع السابق ،ص 108.

(3)- محمد الهادي حارش ،المرجع السابق ،ص89.

ويبدوا من خلال النقوش أنّ الصناعات لم تكن في أيدي الأرستقراطية، وإنّما كانت في أيدي المواطنين الذين كان الكثير منهم تابعين للنبلاء الذين كانت بين أيديهم التجارة البحرية الكبرى.

بالإضافة إلى الصناعة البحرية ، يعتبر الفخار من أكثر الصناعات رواجا وشهرة في قرطاجة، رغم خلوه من الخصائص الفنية والإتقان وكان يستعمل في الحياة اليومية وفي تجهيز القبور ويوجه إلى التصدير أيضا. وتشير التنقيبات الأثرية إلى أنّه كان للقرطاجيين معامل للخزف بالقرب من مقابر" درمش " " ودويمس "يعتقد انّ فخار هذه المنطقة كان قد خصص لتجهيز القبور (1).

إلى جانب ذلك فقد تردد في النقوش البونية ذكر عمال التعدين مثل: صناعة النحاس ومختلف الأدوات المعدنية : الرصاص ،النحاس والبرونز ، الحديد الذي وجد في مواقع أثرية تعود إلى القرن السادس ق م، مقارنة بالمعادن الأخرى التي كان وجودها قديما نوعا ما (2).

يرى البعض أنّ الصناعة القرطاجية، قد تطورت اعتبارا من القرن الخامس ق م، عندما اصطدمت قرطاجة باتحاد المدن الإغريقية في معركة هيميرا 480 ق،حيث اتضح لها بعد هذا الاصطدام أنها لا تستطيع أن تصمد في أي صراع مقبل ما لم تكن تملك صناعة قوية .

ومن جهة أخرى، فإنه بحكم استيطان الإغريق في كل من شرق صقلية وقرينة بليبيا كانوا قد وقفوا حاجزا دون اتصال القرطاجيين بشرقي المتوسط، فإضطر القرطاجيون أمام هذه الضرورة الملحة إلى تصنيع المواد الخام المعدنية التي كانوا يجلبونها من المناطق المجاورة لهم .(3)

---

(1)-Gsell, op cit,T4,PP57-62.

(2)-Ibid, p p 74 -105

(3)-محمد الصغير غانم ،التوسع الفينيقي،المرجع السابق ،ص ص108-109.

ربما يكون هذا الطرح في محله ، ولكن ازدهار التجارة وتوسيع مجالها الجغرافي كان يتطلب أواني فخارية لنقل السوائل كالزيت والخمور، التي كانت تشكل الصدارة في التجارة القرطاجية، إضافة إلى ذلك قرب مراكز مواد الخام المعدنية من مدينة قرطاجة. كان عامل مشجع للاعتماد على الصناعة المحلية التي ربما لا تكلفهم كثيرا مقارنة بالصناعات الشرقية التي يتاجرون بها في الحوض الغربي للمتوسط وهذه إستراتيجية جديدة في الاقتصاد القرطاجي ،تعتمد على الإنتاج المحلي لرفع الفوائد من جهة ، بالإضافة إلى التمسك دائما بالصناعات الأجنبية لكسب الخبرة ولتقليدها من جهة أخرى ، وهذه ميزة كل الشعوب الفينيقية.

2-3- النشاط التجاري

تعتبر التجارة عماد الاقتصاد القرطاجي ،فقد كانت قرطاجة محطة تجارية قبل أن تتطور إلى مستوطنة ثم إمبراطورية بمختلف هياكلها ككيان سياسي ،ولكن وضيفتها التجارية تجاه الوطن الأم بقيت مستمرة ولو لفترة زمنية قصيرة، حيث كونت مع جاراتها "أوتيكا" والمستوطنات الفينيقية المقابلة في الطرف الجنوبي الغربي من صقلية مفاتيح الاتصال بين شرقي البحر الأبيض المتوسط وغربه.

وقد تزعمت قرطاجة السيادة البحرية والسياسية في غربي المتوسط ،بانتهاز فرصة انحطاط فينيقيا الأم خلال بداية القرن السابع ق م، وبالتالي أصبحت إمبراطوريتها تمتد من خليج السرت في ليبيا شرقا حتى أعمدة هرقل غربا ، و ضمت إليها سواحل اسبانيا والبليار وسردينيا وجنوب غربي صقلية (1).

هذه القوة الاقتصادية والسياسية جعلت قرطاجة تحتكر التجارة في حوضي البحر الأبيض المتوسط ،إذ نعرف من خلال بوليب أنّ القرطاجيين منعوا على الرومان الإبحار في سواحل المتوسط الواقعة إلى الغرب من خليج قرطاجة وذلك في 509 ق م (2).

---

(1)-محمد الصغير غانم ،المملكة النوميدية والحضارة البونية ،المرجع السابق ،ص30

(2)-Polybe, op cit ,III,22,11,13.

أما في المعاهدة الثانية 348 ق م ،فقد وسعوا من الرقعة لتشمل المنطقة الواقعة إلى الغرب من الرأس الطيب(1) .

وبهذه الطريقة، فقد تمتع القرطاجيون باحتكار التجارة في كل الحوض الغربي للمتوسط حتى فقدانهم لسردينيا سنة 237ق م، واسبانيا ومستوطناتهم إلى الغرب من قرطاجة 206ق م

يتمثل الدور التجاري القرطاجي في ايصال خامات معادن من مقاطعة" الكور نويل "جنوب انجلترا وجزر" كاستيريدس"، التي كانت تحتوي على معادن القصدير واسبانيا التي وجدت بها مناجم الفظة والرصاص والنحاس ومن إفريقيا تبر الذهب – العاج – الاحجار الكريمة (2) إلى الدول المصنعة في شرقي المتوسط ونقل البضائع المصنعة من الدول المذكورة و توزيعها على محتاجيها من الشعوب المتأخرة صناعيا في الغرب وكان القرطاجيون يتعاملون معهم عن طريق المقايضة .

كانت عملية المقايضة هي الطريقة الوحيدة التي اعتمد عليها القرطاجيون في معاملاتهم التجارية مع سكان حوض المتوسط ، ثم بمرور الوقت لجؤوا إلى الدفع بالطرق المعمول بها، أي باستخدام السبائك أو العملات الأجنبية ،إذ لم تسك العملة في صقلية حتى أواخر القرن الخامس ق م، وربما في قرطاجة حتى القرن الرابع ق م (3)

ويعتبر تأخر قرطاجة في ضرب العملة أمرا لافتا للانتباه، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار وفرة المعادن واعتماد الاقتصاد القرطاجي بالدرجة الأولى على النشاط التجاري، وهو يفترض أن تكون قرطاجة قوة سباقة في الاعتماد على العملة ربما يعود ذلك إلى أنّ القرطاجيين تعودوا ارتياد مناطق لا تعتمد على العملة كوسيلة في معاملاتهم التجارية فكانت تلعب دور الوسيط وأنها تبنت نظام تبادل بين العملة والمقايضة .

---

(1)-Ibid, III, 24, 4; Strabon, XVII, I,19.

(2)-Gsell, op cit,T4,P478.

(3)- الشاذلي بورونية،المرجع السابق ،ص ص 239-240

III- الحياة الاجتماعية والثقافية

1- الحياة الاجتماعية

تتميز المعلومات المتعلقة بقرطاجة في قرونها الأولى بالغموض لذلك فإنّ معارفنا عن النظام الاجتماعي محدودة مثلها مثل النظام السياسي ، ورغم الطابع الأسطوري الذي يميز تاريخ تأسيس قرطاجة، إلا أنّ تلك الأسطورة قد ساهمت في إعطاء فكرة ولو وجيزة عن التركيبة السكانية التي تكوّن منها المجتمع القرطاجي في أيامه الأولى.

ومن المؤكد أنّ المدينة من تأسيس أوناس من مدينة صور وأنه قدم مع المهاجرين الفينيقيين بعض القبارصة وذلك حسب ما ورد في الأسطورة دائما ،وإذا ما حاولنا أن نبحث عن طبيعة هؤلاء المهاجرين نجدهم يتكونون من أعضاء من الطبقة الارستقراطية وتمثلهم الأميرة عليسة، وأعضاء المعبد يمثلهم كاهن المعبد القبرصي "جونو" .

ولكن العدد الحقيقي للفينيقيين الذين أسسوا قرطاجة في نهاية القرن التاسع ق م، يبقى دائما مجهولا، ربما هذا راجع إلى استمرار موجات الهجرة التي عرفتها المدينة في فترات زمنية متفرقة ،وتعتبر الأزمات التي تعرضت لها صور في القرنين السابع والسادس ق م، دافعا قويا لهجرة عدد كبير من الفينيقيين إلى المدينة الجديدة وتكررت حركة الهجرة في القرن الرابع ق م، أثناء حصار الاسكندر المقدوني لصور (1). بالإضافة إلى هجرة بعض الفينيقيين المولودين في المستوطنات الأخرى بالبحر الأبيض المتوسط .

أما بالنسبة للوافدين من غير الجنسية الفينيقية فنجد من بينهم أهالي لوبيا الذين تأثروا بخيرات المدينة ودخلوا إليها للعمل كفلاحين أو موظفون في الأسطول القرطاجي(2). و كما هو سائدا في المجتمعات التجارية فان التجار والممثلين التجاريين بحاجة إلى الاستيطان في المناطق التجارية الأخرى التي يتعاملون معها، وكان هذا هو

---

(1)- Gsell, op cit, t4, p171.

(2)- Justin, op cit, XVIII, 5

شأن التجار الصقليين والايطاليين واليونانيين الذين يمثلون فئة من فئات المجتمع القرطاجي (1).

بالإضافة إلى ذلك فإنّ شريحة العبيد، الجزء الأكبر من التركيبة الاجتماعية في مدينة القرطاجية ورغم وجودهم وبكثرة في كل مكان بالمدينة سواء في الورشات في الأسطول وفي الإدارة العامة وخاصة في أعمال الفلاحة عند الأثرياء إلا أنهم لا يتمتعون بأية حقوق سياسية وحتى النقوش البونية التي تتحدث عن العبيد قليلة ولا تشير إلى أصولهم. ولكن بناءا على بعض الدراسات للجماجم تبين بأنّ غالبيتهم من أصل إفريقي(2).

لقد حافظت بعض الأسر الغنية والعريقة التي يرجع أصلها إلى صور بمراكز الدولة ووظائفها الأساسية ،إلا أنّ القرطاجين لم يكونوا عنصريين فغالبا ما تزوجوا بأجنبيات ولقي أهل الشرق واليونانيين المنفيين من وطنهم وسكان مالطا وصقلية، بالإضافة إلى الفينيقيين ذات الأصول الصورية والصيد ونية أحسن استقبال وحصلوا في فترة زمنية قصيرة على الجنسية القرطاجية بعد أن برهنوا عن الجدارة والنجاح (3).

2- الحياة الدينية

تحتل الديانة مكانة هامة في الحياة العامة والخاصة للقرطاجين ،فالأسماء التي يحملونها تدل على ذلك وعلى سبيل المثال :شافط- بعل ،حنبعل ،موتون – بعل (4).

حافظ القرطاجيون على العادات الدينية الفينيقية في المرحلة الأولى من تأسيس مستوطنة قرطاجة، وهذا تعبير على التبعية الدينية والسياسية للوطن الام ،كما كانت قرطاجة تبعث بسفارتها إلى صور وصيدا لحمل الهدايا للإلهين (لأشمون) و(ملقرط) مع حضور الطقوس الدينية التي كانت تبرمج لهما سنويا في مدينة قرطاجة نفسها ولكن

---

(1)-Gsell, op cit, t 4, p172.

(2)-ibid, t2, P226.

(3)-مادلين هورس ميادين ،المرجع السابق ،ص76

(4)- Gsell، op cit, t4, pp 121-122.

ومع نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس ق م ،حسب ماورد في النقوش النذرية تبين بأنّ القرطاجيين تبنوا آلهة أخرى محلية فأصبح كل من الإلهين بعل حامون وتانيت المعبودين الرئيسيين للقرطاجيين(1)ينظر الصور رقم (8)-(9).

ويبدو هذا الأمر طبيعي فهو دليل على الانصهار الثقافي بين المجتمعين البوني واللوبي ،وهذه المرحلة تمر بها كل الشعوب المستوطنة لأرض جديدة ، وفي بعض الأحيان نجد تلك المجتمعات تحتفظ بآلهتها مع استقبال آلهة محلية ، وأحيان أخرى يظهر لنا نسيان الآلهة الأصلية وتحل محلها آلهة محلية أو جديدة دخلت المنطقة لظروف ما .

ويعتبر الاله" بعل حامون " أحد أشهر ألهة قرطاجة، ولقد ورد ذكره في النقوش والنصوص المكتشفة سواء داخل الحدود القرطاجية أو خارجها وينبغي أن الإشارة إلى أنّ النصوص النذرية القرطاجية العتيقة اقتصرت على ذكر اسم هذا الإله بمفرده منذ القرن السابع ق م ، وانطلاقا من القرن الخامس ق م على الأرجح ، ورد اسمه مسبوقا باسم الإلهة "تانيت "

ولقد اعتبر بعض الدارسين ظهور الإلهة تانيت انعكاسا لإصلاحات سياسية ودينية حصلت بقرطاجة خلال القرن الخامس ق م ،ودليل على تراجع مكانة "بعل حامون "الذي يرتبط دوره بتراجع الأسرة "الماجونية "التي كان هذا الإله يسهر على رعايتها (2).

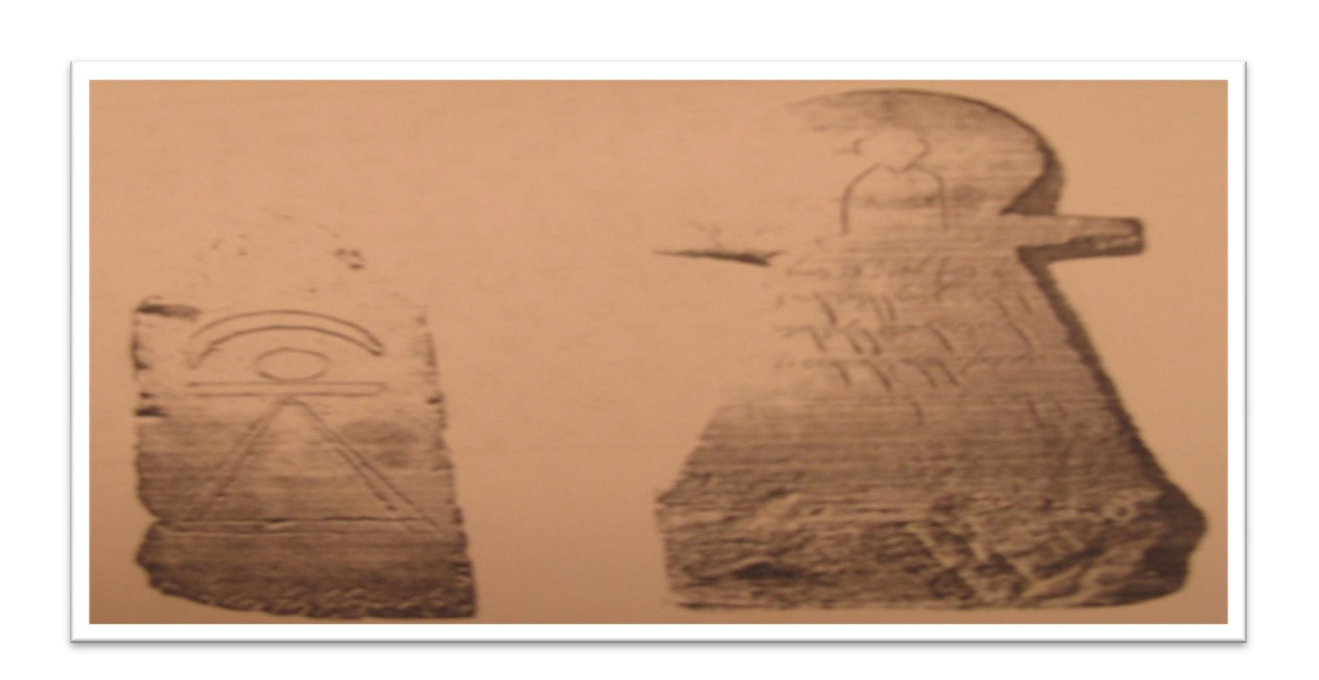
- **بعل حامون** -Baal Ammon -

اسم مركب من جزاين "ب ع ل ح م ن "ويمكن أن يكتب أيضا " ب ع ل ع م ن "بحيث يحل حرف " ع " مكان " ح " وهو أمر عادي في اللغة السامية ، فهو اله فينيقي من حيث التسمية قبل ان يكون قرطاجيا ويعني لغويا "سيد المبخرة "أو "نار الجمر الحامية"، وهو كذلك سيد الموقد الذي تنبعث منه الحرارة ، كما يعني أيضا الحرارة التي تبعثها

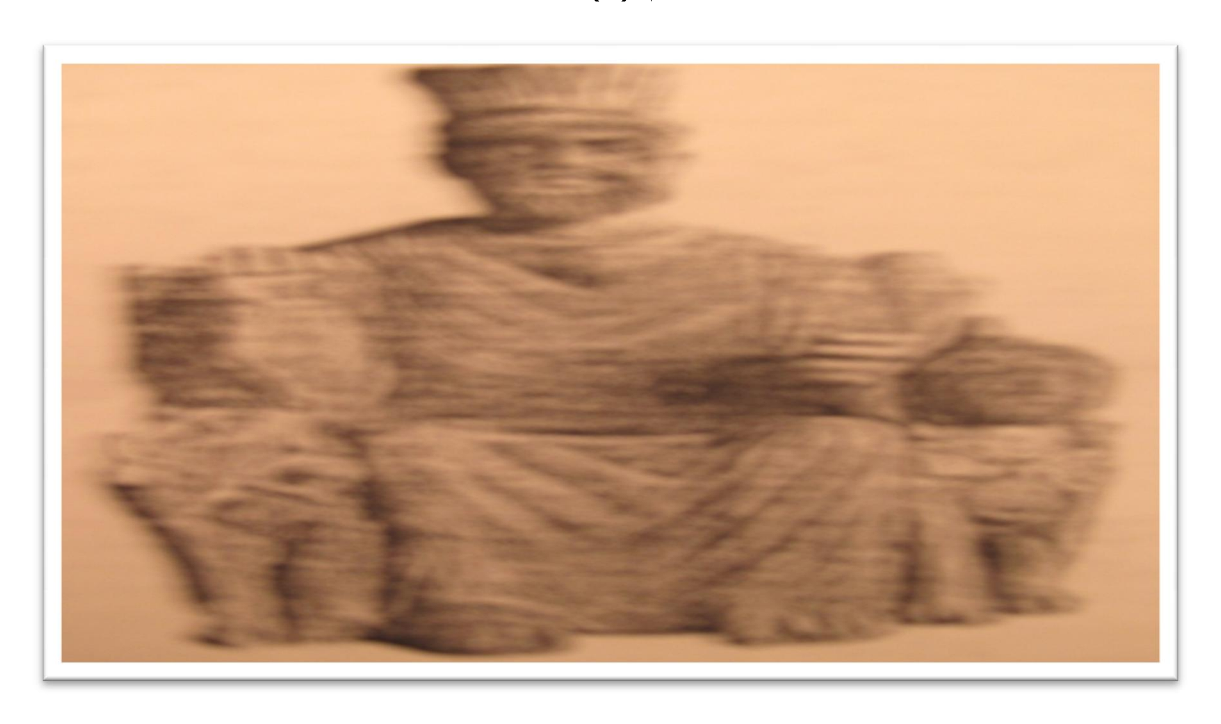
---

(1)- محمد الفرجاوي، المرجع السابق ،ص 167.

(2)- الشاذلي بورونيّة ، المرجع السابق ،ص ص 275-277.



الصورة رقم (8): الإلهة تانيت



صورة رقم(9): الإله بعل حامون

الشمس ، وكان الإلـه بعل حـامون يعنـي لغويـا عنـد الفينيقيين فـي الشـرق المتوسـط "سيد جبل الأمانوس "في لبنان ومعنى هذا الاسم في اللغة الأجنبية MaitreSeigneur (1).

ونلاحظ أن الإله بعل حامون يحتل المرتبة الأولى في المجمع الإلهي القرطاجي ، وقد كانت معظم النصب النذرية التي تمّ العثور عليها بالمدينة تحمل اسم الإلهة "ت ن ت " Tanitويأتي بعدها الإله "بعل حامون " ، وقد عبد منذ القرن السادس ق م، لدى القرطاجيين (2).

وكان القرطاجيون والرومان يظهرون على نصبهم بعل حامون في شكل اله "أقرن " وهو في ذلك شبيه بالكبش ، وغالبا ما يظهر في شكل صورة شيخ مسن يتكئ على كبش "أقرن "أو شيخ يجلس على كرسي العرش ويمسك بيده الصولجان ويمكن أن تظهر له صورة أخرى ، وهو يقف في مدخل معبد يعلو رأسه قرص الشمس.

-الالهة تانيت

يعني اسم "تانيت " في اللغة السامية " أعطية وهبة ، لأنّ معتقدها مرتبط بالخصب ، وهي الإلهة الإفريقية المقابلة ل "عشتار "السامية التي تعبد في شرقي المتوسط وعبادة الإلهة تانيت مرتبطة خاصة بالقمر، إذ يظهر الهلال والقرص يعلو رمزها في الكثير من النصب النذرية في المواقع الأثرية الفينيقية الغربية البونية ، لا سيما في غرب البحر المتوسط ، وغالبا ما يقترنبها قرينها الإله "بعل حامون ".

يرمز لها بمثلث تعلوه ذراعان تمتد أفقيا، تتوسطهما نقطة مستديرة تمثل الرأس ويعزز رسمها من الجانبين بصولجان ويد مفتوحة إلى الاعلى ، وفي بعض الأحيان يكتفي الرمز للإلهة تانيت بيد مرتفعة أو صولجان (علامة تانيت)حيث تمثل اليد المباركة والحماية ، أما الصولجان هي علامة القوة والتحكم.

(1)- محمد الصغير غانم ، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا ، قسنطينة ، دار الهدى للنشر والتوزيع ،2005،ص86.

(2)- Gsell ,op cit ,T4,221-222

وجدت أيضا الإلهة تانيت على شكل امرأة تضع ابنها على ركبتيها ، وبالتالي لم تكن الإلهة تانيت هي إلهة خصب فقط ، فهي أيضا تتحكم في البذر والحصاد يستعان بها عند الولادة (1).

إضافة إلى بعل حامون وتانيت نجد الإله (ملقرت)*وهو اله صور الذي كانت قرطاجة ترسل إلى معبده في صور كل عام الهدايا ،كما عبدتى (عشتارت) وكذ(ا أشمون)**أصيل فينيقيا .تعد تلك المعبودات إذن المعبودات الرئيسية في قرطاجة تأتي بعدها معبودات أخرى ثانوية.

لقد كان القرطاجيون يقيمون الإحتفالات الدينية في قرطاجة ،عثر على نقشين من دوقة يشيران إلى "اليوم السعيد"والمبارك "، والمعروف أيضا هو انتشار الأضاحي البشرية في قرطاجة والتي تحدثت عنها العديد من النصوص (2).

ولم تكن الأضاحي البشرية وحدها المقدمة ، بل نجد الأضاحي الحيوانية في النقوش التي تعود إلى القرنين الخامس والرابع ق م، منها العديد من الأصناف الحيوانية التي تقدم قربانا للإلهين تانيت وبعل حامون حيث نجد الثيرا – العجول –الكباش –الخيول وغيرها (3).

---

(1)- محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ،ص ص 91-92.

*الاله ملقارت (ملقرط)هو الاله الرئيسي في مدينة صور ويعتبر الإله الحامي لمدينة قرطاجة ، ولقد شبهه الإغريق بالإله (هرقليس Herculése)وذكره الرومان تحت اسم (أركول Hercule)ويتركب اسمه من كلمتين الأولى (ملك)التي تعني الرب والثانية (قرط)التي تعني المدينة وبالتالي يكون الاسم (ملك المدينة)وكان اله الشمس والنباتات ثم الملاحة .محمد الصغير غانم ،الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا ،ص98.

**يعد الإله (أشمون Echmoun) اله رئيسيا لمدينة (صيدا)، هو اله أراضي يتصل بالحياة الزراعية ، فهو يرمز أيضا للخصب ، ويحافظ على الطبيعة الكونية ، لا سيما فيما يخص كوكب الشمس ،لذلك اعتبر من أهم الآلهة بمدينة قرطاجة ، وقد شيد له معبد فوق قلعة (برصة)منذ الفترة الأولى من نشأة المدينة .المرجع نفسه ،ص ص 102-108.

(2)-Herodote,VII,167,Diodorede sicile,III,86 .

(3)-Gsell ,op cit,T4,PP414-416

مازالت معرفتنا للطقوس الجنائزية غير كافية رغم اكتشاف عدد كبير من المدافن في قرطاج ، ويبدو أنّ الأموات لم يكونوا موضع العبادة ولكن هذا لم يمنع على توفير لهم قبور مشرفة ،ومن المؤكد أنّ القرطاجيين كانوا يقومون بمراسيم جنائزية على قبور موتاهم سواء أثناء عملية الدفن أو بعدها ، فهي تضمن له قبل كل شيء النعم الألهية في العالم الأخر (1).

وفيما يخص القبور، فيمكننا أن نميز بين نوعين من القبور، ما بين القرنين الثامن ق م والسادس ق م، فهي عبارة عن بيوت تحتية نجد في المدخل عادة باب أحادي الحجر وغرفة أطرافها مبنية من كتل معدة بدقة والسقف مغطي بحجر ذات أحجام طويلة ، أما في بداية القرن الرابع ق م، أصبحت القبور تحفر على شكل أبار يصل عمق بعضها إلى اثنين وعشرين مترا .أما فيما يخص قبور الطبقة الأرستقراطية فقد كانت عبارة عن أضرحة (2).

3- الكتابة

هناك شبه اجماع بين المختصين بأنّ وصول الفينيقيين إلى شمال إفريقيا وتأسيس مدينة قرطاجة كان له الدور في إدخال بلاد المغرب القديم إلى سجل أحداث عالم البحر الأبيض المتوسط ، في جميع ميادين الحياة (الاجتماعية – ثقافية- الاقتصادية – سياسية)وبفضلهم انتقل اشعاع الحضارة الفينيقية لأهالي المنطقة .

ولقد كانت اللغة البونيقية الدافع الأساسي الذي شجع اللوبيين إلى اختراع أبجدية خاصة بهم تتناسب وأصوات لغتهم عرفت فيما بعد " بالكتابة اللوبية "(3)، وتعرف أيضا بالكتابة النوميدية ، حيث كانت مستخدمة من طرف النوميديين والموريتانيين ، وقد عثر على كتابة على شواهد نذرية تدل على أنها أبجدية ذات هدف واحد يسخرها للنوع

---

(1)-مادلين هورس ميادين ،المرجع السابق ،ص173.

(2)-Gsell ,op cit,T4,PP428-433.

(3)- محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ،المرجع السابق ،ص31.

الجنائزي وعليه، فإنّ الكتابة اللوبية هي تلك الرموز المدونة التي وضعها سكان بلاد لوبة* للتعبير عن لغتهم المحلية (1).

إنّ أول إشارة لوجود كتابة ولغة لوبية تعود إلى القرن السادس ق م ، حيث ذكر أسقف مدينة (روسبي Ruspé) القس (فولجانس Fulgence) أنّ هناك كتابة لوبية تتكون من 23 حرفا ، وهي قريبة في معانيها من الكتابة العبرية التي يصل عدد أحرفها إلى أربعة وعشرين حرفا وخلال القرن الثاني ق م، تظهر في شمال إفريقيا كتابة خاصة تسجل اللهجات المحلية المختلفة، وهي الكتابة اللوبية (2).

و بالرغم من وجود أكثر من مليون نقيشة مكتوبة باللوبية في شمال إفريقيا تبقى نقيشة دوقة* الأولى والثانية أول نقيشة لوبية أرخت بتاريخ دقيق ،و يعود عهدها إلى حوالي سنة 139ق م ، وبعد دراستها من طرف المختصين ، ظهر بأنّ اللوبيين قاموا بابتكار الحروف الأولى حوالي القرن السادس أو السابع ق م، انطلاقا من الحروف البونية التي ما هي إلا حروف فينيقية (3).

ولكن ظهور الكتابة البونية لا يعني أنّ الملوك النوميديين، قد استعملوها رسميا في معاملاتهم الدولية، بل كانوا يستعملون في كل ذلك الكتابة واللغة البونية ،ربما ذلك يعود إلى أنّ اللغة الفينيقية كانت لغة المعاملات في كل شمال إفريقيا (4).

---

(1)- مها عيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم (دراسة تاريخية ثقافية حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني ،ط1، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009 ،ص ص 64- 66.

(2)- مها عيساوي ، المرجع السابق ، ص 66.

*دوقة اسمها القديم (توكة Thougga) مدينة كانت قاعدة للملوك النوميديين في مملكة الماسيل التي كان على رأسها الملوك (ماسينيسا ويوغرطة)وتاريخ نشأتها يعود إلى القرن الرابع ق م ، فلقد عثر فيها على العديد من النقوش اللوبية وتأثرت بالحضارة البونية .مها عيساوي ،المرجع السابق ،ص142

(3)- Dominique casajus, « sur l'origine de l'écriture libyque, Afrique débats et lectures », mis en ligne le 4juin2013, http://afrique .revue.org./2013

(4)- محمد الصغير غانم ،المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص 31-32

مهما يكن من أمر ومهما كثرت الفرضيات حول طبيعة الكتابة اللوبية، إلا أننا نعرف من خلال البقايا الأثرية والنصوص الأدبية بأنّ التواجد الفينيقي بشمال إفريقيا كان له دور كبير في بناء تاريخ هذه المنطقة، لو لا مغامرة الفينيقيين في أفاق بعيدة وغريبة عن عالمهم السامي ، وجعلوا من حضارتهم جزء من حضارات الشعوب التي تعرفوا عليها من خلال أسفارهم الطويلة وكان أهالي شمال إفريقيا جزء من هذه الأمم .

IV- المنشآت العمرانية

يبدو من خلال الآثار الباقية والنصوص التاريخية أنّ العمارة القرطاجية تأثرت إلى حد كبير بعمارة صور الوطن الأم ، ويمكننا أن نميز بين عدة أنواع من العمارة القرطاجية ولكل واحدة منها مميزاتها وخصائصها .

1- العمارة المدنية

يبدو أنّ طريقة البناء عند القرطاجين لا تختلف عما هي عند الفينيقيين الذين عرفوا بهندستهم المعمارية وببعض مبانيهم الشهيرة ، فقد تتباين طرق البناء لدى القرطاجين حسب الاستعمال الذي يعد له المبنى، فالأصوار وأرصفة الشواطئ وكل الأبنية المعرضة للهجمات القوية والأثقال الكبيرة تتكون من حجارة مربعة الزوايا، قد رصفت بانتظام بعضها فوق البعض، أما الحجر المستعمل غالبا في البنيان في قرطاجة فهو خشن الملمس، سهل التأكل فلذا غطيت أكثر المباني بطلاء من الجص وزينت بالزخارف مدهونة ، ونجد مثل هذه الأبنية المشيدة بالحجر الضخم إلى جانب قرطاجة في صور وصقلية (1).

لقد تحدث سترابون الجغرافي الإغريقي في القرن الأول ق م، عن منازل صور وأرواد التي كانت تتكون من عدة طوابق (2) ،مثل هذه المنازل تنتشر في الشوارع التي كانت تحيط بحي بيرصة والتي تصل الحي بالساحة العمومية، وقد كانت هذه المنازل مخصصة في الأحياء التجارية ولساكني الطبقات الشعبية التي تتكون من الصناع والتجار والحرفيين (3).

إنّ اعتماد المجتمع الفينيقي عامة و القرطاجي خاصة على مثل هذا النوع من المباني يعود إلى ضيق المدن الفينيقية الواقعة دائما في مناطق محصنة طبيعيا والمحيطة بسور

(1)- مادلين هورس ميادين ،المرجع السابق ،ص ص 93-95

(2)- Strabon, op cit, XVI : 2, 13,23

(3)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص103.

وبالتالي ازدحام منازلها وتكاثرها إلى درجة تلاصق بعضها ببعض، و كل زيادة في نسبة السكان تنعكس في اتجاه المساكن إلى الأعلى ولهذا كان الغالب على المنازل أن تتكون من أكثر من طابق .

وينتشر أيضا في أراضي قرطاجة نوع أخر من المباني ذات طابقين فقط ، فنجدها خاصة في المناطق الزراعية والأحياء الخاصة بالطبقة الأرستقراطية وأثبتت التنقيبات الأثرية لسنة 1979 حقيقة وجود هذا النوع من البيوت في منطقة " قمرت" بمجارا"ذات الطابع الثنائي، فهو مركب من قسم للسكن يتضمن بئر و بيت استحمام وثلاث غرف،أما القسم الثاني، ففيه معصرة زيت وأحواض لتصفية الزيت وجرّة كبيرة لخزن المؤون(1)ومن المؤكد أنّ هذه المنازل تستعمل في بعض فصول السنة وهو ما لاحظه أجاتوكليس ورغولوس في شبه جزيرة الرأس الطيب(2).

هذا فيما يخص المظهر الخارجي للبيوت القرطاجية ،أما بالنسبة للتخطيط الداخلي فقد عثر على نماذج لبيوت في منطقة "دار صافي " بجزيرة "الرأس الطيب " ترجع إلى القرنين الرابع والثاني ق م ،وقد اشتمل أحد هذه المنازل على حمام به مغطس ذي مقعد وبه نظام متقن لتصريف المياه ،وللحجرات أرضية من الاسمنت الوردي اللون قد ثبتت فيها مكعبات صغيرة من الرخام ، وكان المسكن يطل على الداخل حيث يحيط بفناء صغير (3).

وتؤكد الكتابات الكلاسيكية وبالإضافة إلى نتائج الأبحاث ،أنّ مدينة قرطاجة كانت مقسمة إلى أحياء سكنية متميزة حسب الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع القرطاجي وهي أحياء صلامبو – بيرصة – ميغارة، وكانت منازل حي ميغارة الذي يسكنه الأثرياء محاطة بالحدائق والبساتين (4)

---

(1)- الشاذلي بورونية ،محمد الطاهر ،المرجع السابق ، ص252

(2)-Tite live, XXIII :1,48 ..

(3)- محمد أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 101

(4)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 103- 106.

رغم وقوع مدينة قرطاجة داخل سور محصن بعيدة على كل منابع المياه العذبة، إلاّ أنّ القرطاجين برعوا في طريقة إمداد المدينة بالمياه وذلك عن طريق خزانات تجمع وتحفظ فيها مياه الأمطار لفترات طويلة، ولا شك أنّ عملية حفظ المياه كانت معروفة في الساحل الفينيقي. ولقد تحدث سترابون عن سكان جزيرة أرواد في تخزينهم لمياه الأمطار لاستغلال اليومي للسكان (1).

2- العمارة الدينية:

أنّ معابد قرطاج ليست معروفة حقا ، ولكن المعروف عنها أنها كثيرة والدليل على ذلك هو الكم الهائل من النقوش النذرية التي كانت تنتشر في كل المساحة التي استغلتها قرطاجة .

فمعبد الإله أشمون ينتصب على المرتفع المشرف على المدينة ، فأعتبر من أهم الآلهة القرطاجية وحامي المدينة الجديدة وبات أخر معقل دفاعي إذ لجأ إليه من بقي من القرطاجيين عندما حاصر "شيبيون" المدينة.

أما بالنسبة لمعابد بعل حامون وتانيت شيدو بالقرب من البحر على مسافة غير بعيدة من المرفأين ، وقد نتمكن من تحديد موقع معبد تانيت على التقريب، إذا ما استعننا بالألواح النذرية الكثيرة التي عثر عليها بين محطة" درماش "والبحر.(2)

وكان لعثور على لوحة نذريه سنة 1817 م دليل على وجود معبد ، وفي سنة 1929 بدء علماء الأثار أبحاثهم في غرب المرفأ المستطيل في الموضع الذي يقال له صلامبو معبد "بعل حامون" ، ولم يستطيع علماء الأثار استخلاص طبيعة المعابد القرطاجية لأنّ الموقع عبارة عن تناثر مجموعة من المسلات التي تحمل رموز للإله بعل حامون

---

(1)- Strabon, XVI : 2, 12, 13,23

(2)- مادلين هورس ميادين ،المرجع السابق ، ص ص 67-68.

والإلهة تانيت ، وكما كشف هناك على المعبد الذي كرس فيما بعد للإله "ساتورن " ويبدو أنّ القرطاجيين قد حرصوا في بناء معابدهم على اختيار الأمكنة المشرفة وهم يقلدون بذلك الكنعانيين الذين بنوا معابدهم في المواقع العالية (1).ينظر الصورة رقم(10)

3-المرافئ

تتعلق المرافئ بالتواجد الفينيقي أينما كان وهذه الميزة اتبعتهم في كل الأقاليم التي استوطنوها، وذلك كونهم من الشعوب البحرية المعروفة في التاريخ القديم ،ولا نستطيع أن نتخيل مدينة فينيقية من دون مرفأ على الأقل باستثناء المدن الزراعية بمرتفعات جبال لبنان .

ويعد الميناء المزدوج بقسميه التجاري والحربي من الأجزاء الهامة في مدينة قرطاجة ،وتشير الكتابات التاريخية إلى أنّ عرض مدخل ميناء قرطاجة كان يقدر بحوالي 23مترا أو 70 قدما ويقفل بسلاسل حديدية وزود مدخل الميناء برصيف يساعد البحارة على جر سفنهم بالحبال إلى الداخل حتى تصبح في مأمن من أخطار خارجية سواءا بشرية أو طبيعية (2)، اتصف ميناء قرطاجة بوضيفة مزدوجة ، حيث قسم من الداخل إلى قسمين مختلفين تجمع بينهما قناة يبلغ عرضها حوالي 23 مترا تستعين بها السفن للتنقل بين المرفأين .

- المرفأ التجاري:

عرف المرفأ الخارجي المستطيل الشكل الذي يبلغ طوله حوالي 456 مترا وعرضه 325 مترا، بالمرفأ التجاري (3) الذي كان مخصصا للمعاملات التجارية وكذا لاستقبال السلع التي تصل من مختلف المناطق.

---

(1)-(H) Benichou-Safar : « Les fouilles du tophet de Salammbô a Carthage »In : A .A,V31, N31, 1995, PP81-199.

(2)- محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص ص 104-105.

(3)-Gsell,op cit ,T2,P39.



الصورة رقم(10) : تنقيبات صلامبو

- المرفأ الحربي:

أما بالنسبة للمرفأ الداخلي فكانت وضيفته حربية والذي سمي" بالقاطون"Cathon (1)وهو مستدير الشكل ويحيط به رصيف يبلغ طوله 1021 مترا وعرضه 9،35مترا، وخصصت في الناحية الداخلية منه مستودعات لإيواء 220 سفينة، فيقيه من أنظار الأجانب جدار محصن وسور المدينة وفي وسط الميناء الحربي نجد جزيرة خصصت لسكني أمير البحر الذي كان يقوم بمراقبة الحركة على سطح مياه البحر القريبة،و يحيط بالجزيرة والميناء رصيف تتصل به أروقة تجارية (2).

---

(1)-Ibid ,T2,P39

(2)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي غربي المتوسط، المرجع السابق ،ص 105.

ب-مستوطنة أكسوم

ا-مصادر تاريخ أكسوم

1- اكسوم بين الأسطورة و التاريخ

يربط الأحباش تاريخ بلادهم بالحدث الأسطوري المتمثل في زيارة ملكة "سبأ "للملك" سليمان الحكيم"(1) "التي عرفت باسم محلي (ماكدة makida) و كانت أكسوم عاصمة لها ،ويفترض المؤرخون أنّ هذه الزيارة تمت في القرن العاشر ق م.

تمضي الرواية الحبشية في وصف رحلة هذه الملكة وما اصطحبته معها من السلع الثمينة، وكيف استقبلها الملك سليمان...وكيف أنجب منها ولدا عرف باسم "ابن الحكيم "وعندما كبر تنازلت له أمه عن العرش الحبشي وأصبح ملكا وعرف باسم "منليك الأول " ومن هنا بدأت السلالة السليمانية .

رغم المكانة التي تتمتع بها هذه الأسطورة في التراث الحبشي إلاّ أنّ الاتجاه العلمي يرفض الاعتماد عليها لبناء حقيقة تاريخية ، وذلك لأن القصة لا تخلو من الجانب الأسطوري ، إضافة إلى ذلك فإنّ بلقيس هي ملكة سبأ في اليمن كما يستدل على ذلك من الآثار وليس العكس(2).

ولكن ربما عمق العلاقات العربية الإفريقية (السبأية – الحبشية) هي التي جعلت الأحباش لا يفرّقون بين الحبشة واليمن نظرا لقدم العلاقات التي تربط بين الطرفين ، حيث قام اليمنيون بهجرات منذ الآلاف السنين إلى الشرق الإفريقي بعد أن عبروا البحر الأحمر سواء للاستقرار بالمنطقة أو لأغراض التجارة، وتختلف طبيعة الهجرات باختلاف الدوافع ،فهم بذلك قد تركوا بصمات الثقافة العربية الجنوبية وتوصّلوا إلى تأسيس مستوطنات أبرز ها "مستوطنة أكسوم. "يتميز التاريخ الحبشي بالغموض وذلك بطبيعة الحال راجع إلى قلة الآثار، وتتميز نقوشها بالقصر لا تعطي صورة مكملة عن الحدث وعدم الوضوح وحتى المصادر الأدبية

---

(1)- La Bible, livre des rois, 10,1-29.

(2)- بلقاسم رحماني ،المرجع السابق ، ج 2 ،ص123.

تبقى صامتة على ما كان يحدث بالمنطقة، ولهذا فإنّ الدارس للتاريخ الحبشي يجب أن يتوخى بالحذر لأنّ الآثار المادية و المصادر الأدبية شحيحة لم تتعرض لكل الجوانب وهي تتلخص فيما يلي:

2- مصادر دراسة التاريخ الحبشي

2-1-المصادر الأثرية

تتلخص المصادر المباشرة في الآثار و نقوش ملوك أكسوم المدونة بثلاثة كتابات (السبأية - الجعزية – الإغريقية)وهي التي توصل إليها علماء الآثار ابتدءا من القرن التاسع عشر و تتمثل فيما يلي .

- النصب التذكاري "لميناء عدولي "المكتوب باللغة الإغريقية على كرسي العرش الملكي من المرمر الأبيض، أرخ له المختصون بالقرن الثاني أو الثالث م، فقد استخدمه أحد ملوك أكسوم شاهدا على أعماله ونقل النقش البحار" كوسماس cosmas" في كتابه الطبوغرافية المسيحية ولكن النقش كان غير واضح وبالتالي لم يعرف بعد اسم الملك صاحب النقش(1) .

- نقوش الملك "عزانا Ezana"وهي من أهم النقوش الإثيوبية تتمحور خاصة حول المناطق التي استولى عليها في القرن الرابع م (2)، وبفضلها تعرفنا على تاريخ دخول الديانة المسيحية إلى الحبشة (3).ينظر الصورة رقم (11)

- نقوش الملك" كلبCaleb" و واحد من أبنائه المعروف "وعزب Waazeba".

- بالإضافة إلى الآثار التي توصلت إليها ، البعثة الألمانية بأكسوم سنة 1906وأخرى عثر عليها المعهد الإثيوبي للآثار 1952، وبفضل هذه الجهود ظهرت مجموعة المواقع

---

(1) - Moscati,Histoire et civilisation, op cit, P215.

(2)-(P) nautin, (A) Caquot, (F) Anfray : « une nouvelle inscription grecque d'ezana, rois d'axoum »IN : J.S, v4, n4, 1970, PP266.

(3)-(R) Schneider : « l'inscription chrétienne d'ezana en écriture sud arabe », A. E , v10, n1, 1976,P109.



الصورة رقم(11):جزء من نقيشة الملك عزانا المسيحية بالكتابة العربية الجنوبية .

الأثرية التي كان لها الحظ في الدراسة مثل :أكسوم وبعض المناطق المجاورة لها مثل : ملازو – حاولتي Haoulti – ياحا Yeha – مترا Matara (1).

2-2- المصادر غير المباشرة

تتمثل المصادر الأدبية التي أشارت إلى مملكة أكسوم في :

- كتاب" الطواف حول البحر الاريتري " صاحبه مجهول.أرخ هذا المصدر بالقرن الأول ق م ،مصدر جغرافي إغريقي أين وصف فيه صاحبه ميناء "عدولي" الذي يبعد عن العاصمة الأكسومية بسفر ثمانية أيام قال بأنه بمثابة مركز تجاري ،كما تحدث نفس المصدر عن ملك أكسومي يعرف بإسم "زيسكاليس Zecalése "(2) ،ومن جهة أخرى أعتبر بلين75م ميناء "عدولي "من أبرز المحطات التجارية في البحر الأحمر و وصف بعض القبائل الإثيوبية منها قبيلة "أصاشاي Asachae"التي كانت تعتمد على الصيد أكد وجود هذا الموقع لاحقا الجغرافي بطليموس(3).

3- مملكة أكسوم بين الآثار المادية والكتابية

لا نستطيع أن نتحدث عن التاريخ الأكسومي بكل سهولة ، لأنّ الآثار المادية شحيحة جدا ،وكذلك المصادر الأدبية ،فقد كانت صامتة نوعا ما عن هذا الجزء من العالم القديم ، فرغم تعدد الأبحاث الأثرية التي جرت في الإقليم ابتداء من القرن التاسع عشر، إلا أنّ المعلومات عن أكسوم تبقى غير كافية ولا يستطيع الباحث أن يجمع بين كل ميادين الحياة في هذه المملكة ،رغم التطورات التي عرفتها، والتي وصلت إلينا عن طريق النقوش الملكية .

ورغم قدم العلاقات بين الجانب العربي والجانب الإفريقي ،إلا أنّ الحديث عن أكسوم بدأ متأخرا نوعا ما ،ويعود أول ذكر لها إلى صاحب كتاب الطواف حول البحر

---

(1)-(f).Anfray : « la civilisation d'Axoum du 1er au 7eme siècle , Afrique ancienne »Par :Paris,O.N.U,1989 ,P387.

(2)- le périple de la mer Erythrée, op cit ,4-13,5-18.

(3)- Afrique ancienne ,op cit ,P365.

الاريتري ،وحتى المصدر بحد ذاته لا نعرف بدقة تامة تاريخ تدوينه .وقد تعددت أراء المحققين وتراوحت بين القرنين الأول م والثالث ميلادي، وبالتالي لا نعرف ما هو المصدر الذي نقدمه أو نؤخره بين كتاب الطواف وجغرافية بطليموس .إلى أن جاءت نتائج الأبحاث الأثرية و بفضل جهود هؤلاء العلماء و أصبحنا نفهم أكثر التواجد العربي بالحبشة وبداية التاريخ الأكسومي .

ويبد أن تاريخ هذه المملكة ما هو إلاّ مرحلة من مراحل ظهور الثقافة العربية الجنوبية بالحبشة ، وليست بداية للتواجد اليمني بالمنطقة كما يظنّ البعض ،لأن الآثار المتعلقة بالمرحلة الأولى من التواجد اليمني بالحبشة لا تعكس لنا جميع مظاهر وجود المملكة بأتم معنى الكلمة وإنّ ما تدل عليه هو استقرار جماعات عربية في مستوطنات ذات ثقافة عربية لكن لم تصل إلى درجة تأسيس مملكة ،ربما الظروف لم تسمح بذلك.

II- تاريخ الحبشة القديم

1- مراحل التواجد اليمني بالحبشة

تبيّن من خلال الآثار التي توصلت إليها البعثة الألمانية في بدايات القرن العشرين في شمال أكسوم بهضبة "تجراى "أنّ التواجد اليمني بالمنطقة، قد مرّ بمراحل تاريخية مختلفة من حيث المظاهر الحضارية، والتي تتلخص في :

ا – المرحلة السبئية :و هي المرحلة السابقة لفترة مملكة أكسوم وتشمل الفترة من منذ ان وصل العرب الجنوبيين إلى الحبشة حتى القرن الأول الميلادي ، وتعرف هذه المرحلة لدى الباحثين بمرحلة "ياحا ".

ب – المرحلة الأكسومية ما قبل المسيحية :من منتصف القرن الأول م إلى منتصف القرن الرابع الميلادي ، عرفت أكسوم في هذه المرحلة ازدهار اقتصادي وتوسعات على حساب الأراضي المجاورة لها كالنوبة وهضبة تجرى ...إلخ.

ج– المرحلة الاكسومية المسيحية من منتصف القرن الرابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، ازدوجت هذه الفترة بين الازدهار والتدهور ،والنهاية التي حلت بأكسوم في حدود القرن العاشر، بسبب الأحداث الداخلية والخارجية التي حلّت بها وانتهت بعزلتها عن العالم الخارجي (1).

وعلى ضوء هذه الدراسات توصل المختصون إلى إعطاء معنى للتاريخ الحبشي الذي كان يغلب عليه قبل ذلك الطابع الأسطوري الذي يتمحور في زيارة ملكة سبأ للملك سليمان الحكيم ، كما توصلت البعثة إلى أنّ بداية التاريخ القديم للحبشة مرتبط ارتباطا وثيقا بالتواجد اليمني.

أ- مرحلة "ياحا yeha"(المرحلة السبأية)من القرن الخامس ق م إلى القرن الأول م

الإشكال الذي وقع فيه علماء الآثار هو عدم ذكر أسم " أكسوم " في أثار التي عثر

(1) –(H)De Contenson, « Les Principales Etapes De L'Ethiopie Antique »,op cit , P P 22-23.

عليها بمنطقة "ياحا "التي كانت على ما يبدو المركز الحضاري والديني الرئيسي للهضبة الحبشية ،والتي أرّختها الأثرية "ج – بيران Pirenne" ما بين القرنين الخامس والرابع ق م(1)،ومن خلال الآثار يظهر ذلك التأثير اليمني على المنطقة ومدى ارتباط الحبشة سياسيا بالقوى السياسية في جنوب شبه الجزيرة العربية .

ويعتبر معبد "ياحا " أقدم الآثار القائمة التي توصل إليها حتى الآن، بالقرب من هذا المعلم الأثري انتشرت بقايا لمنشآت عمرانية ذات طابع يمني ، وكل هذا إنما يدل على استقرار جماعات عربية يمنية بالمنطقة جلبت معها تقنيات البناء وتقنيات الزراعة التي كانت أساس اقتصاد ياحا ، والدليل على ذلك هو الحضور المكثف لبقايا (المناجل) بالمعبد وبالأراضي المجاورة له (2) .ينظر المخطط رقم (12)

ب- مرحلة أكسوم من القرن الأول م إلى منتصف القرن الرابع م

لقد سبق الاشارة إلى انّ اسم اكسوم لم يرد ذكره في أثار منطقة ياحا ، إلا أنّ أقدم ذكر لها جاء في النقوش باللغة الإغريقية ومنها نقش (D.A.E /2)*ويرد في عدة نقوش عربية جنوبية وبعدة صيغ (أ د و ر /أ ك س و م)، كما في النقش الموسوم الذي يحمل رقم (JA547)، والتي يترجمها الباحثون بالمستوطنات الأكسومية (3)

ولقد عرفت مملكة أكسوم حوالي عشرين ملكا أغلبيتهم دالت عليهم المسكوكات ولا نجد مصادر أخرى تتحدث عنهم . ،ويعتبر الملك عزانا الوحيد الذي استطاع أن يترك لنا شذرات من التاريخ الأكسومي وذلك من خلال نقوشه المشهورة التي لا يستطيع أي باحث الاستغناء عنها في دراساته.

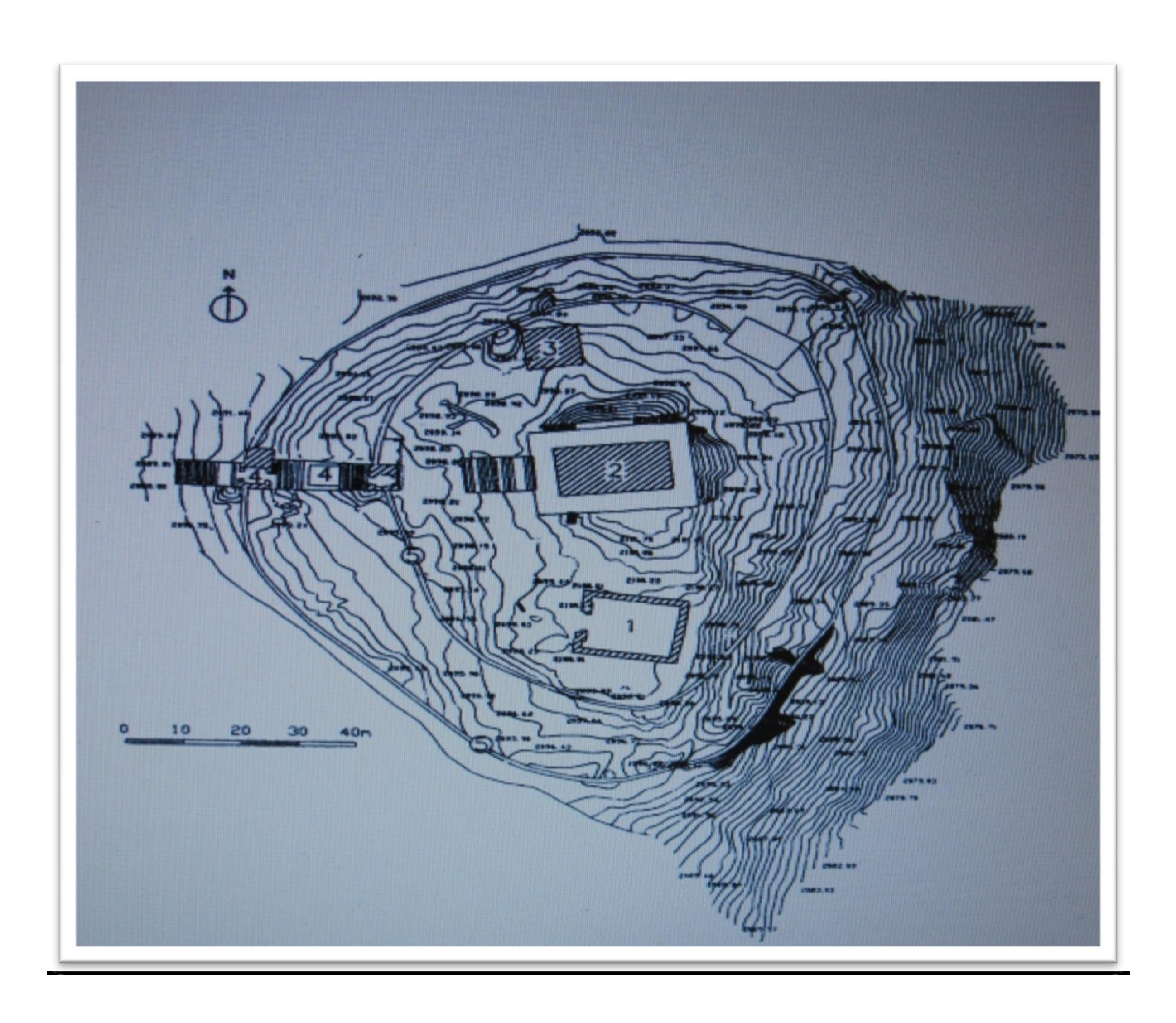
---

(1)-A frique ancienne, op cit, pp 365-366.

(2)-(F) Anfray : « fouilles de yeha » In : A. E, v5, 1972, P54.

*Deutsch Axsum Expédition(DAE) بعثة أكسوم الألمانية التي ترأسها الأثري ليتمان Littmann

(3)- بلقاسم رحماني ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 126



الصورة رقم(12):مخطط لموقع معبد ياحا

2- أكسوم من مستوطنة إلى إمبراطورية

تقع أكسوم على مرتفع يبلغ 600 قدم فوق سطح البحر في منطقة محصنة طبيعيا ، على مساحة تبلغ 300 كلم طولا على 160 كلم عرضا ،وتنحصر فلكيا بين دائرتي عرض 13و 17 شمالا وخطي طول 40 و 38 شرقا ، وتمتد شمالا من منطقة كيرون Keron حتى لومبا Lamba جنوبا ومن عدولي على الساحل إلى تكازي Takkzéغربا(1).ينظر الخريطة رقم (6)

وعلى ما يبدو أن مستوطنة أكسوم قد برزت إلى الوجود في الفترة التي ازدهرت فيها الدولة الحميرية بالعربية الجنوبية، وذلك بتشجيعها للحركة الاستيطانية إلى الحبشة واسترجاع العلاقات مع المستوطنات السبئية القديمة التي تخلت عن الوطن الأم بسبب الفوضى التي عاشتها في أواخر أيامها .

وإن ظهرت مستوطنة أكسوم بتشجيع الدولة الحميرية، فإنما تطورها إلى إمبراطورية واسعة كان له علاقة بالظروف التي كانت تعيشها منطقة اليمن عامة والدولة الحميرية خاصة ، وبالتالي لم يكن تفوق أكسوم على أهالي منطقة الحبشة، بل كان أيضا تفوقا على الوطن الأم الذي كان منبعها الأصلي .

برزت أكسوم إلى الوجود – وشجعها فيما يبدو – انشغال اليمنيين بالصراع الداخلي واستغلال الأكسوميين لهذه الفرصة و التطلع إلى الشاطئ العربي المقابل واحتلال أجزاء من عسير وساحل الحجاز ، المنطقة التي أطلق عليها بطليموس اسم "الكانيدو كولبتاي"وتمّ ذلك عند نهاية القرن الأول م ،وسرعان ما أصبح الأحباش طرفا في الصراع اليمني نفسه محالفوا الهمذنيين ضد حميرسنة (308 م) وحاولوا احتلال ظفار لحسابهم (629م)(2).

---

(1)-(F)Anfray : « La civilisation d’Axoum du 1er au 7eme Siècle »op, cit, P387.

(2)- محمد عبد القادر بافقيه ، المرجع السابق ، ص 166.



خريطة رقم (6) تمثل : موقع أكسوم

0 20 40 60 80 100كلم

المقياس

حقيقة لا نعرف إن كان احتلال الملك عزانا لليمن أمر صحيح، أم انه كان مجرد ادعاء فقط لأنه من الصعوبة الجزم بصحة هذا القول ذلك، أنّ جنوب شبه الجزيرة العربية كان تحت السيادة الحميرية التي كانت تسيطر على الموانئ اليمنية ، أما سيطرة أكسوم على المناطق الإفريقية فلا يشك في ذلك .

فلقدعرفت أكسوم أيضا حملات عسكرية على الأراضي المجاورة لها، خاصة على هضبة" تجراى" وبلاد النوبة ،بالإضافة إلى سيطرتها على القبائل المستقرة في الغرب من أراضيها ،ومن أبرز الأحداث التي ميزت المرحلة الأكسومية هي دخول الديانة المسيحية للحبشة في عهد الملك عزانا في القرن الرابع ميلادي .هذا ما تعكسه لنا نقوش هذا الملك ، حيث تزاوج في نقوشه بين الرموز الوثنية وبين الإشارة إلى "رب السماء الذي يهيمن على كل كائن في السماء والأرض " ، ومهما يكن من أمر فإنّ المسيحية أخذت في الانتشار في الحبشة حتى أصبحت الديانة المسيطرة على البلاد، كما قويت العلاقات بين أباطرة الروم وملوك أكسوم (1).

وتنقطع الأخبار عن العلاقات اليمنية الحبشية في الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس ميلاديين، لنتفاجأ بحروب جديدة في مطلع القرن السادس ميلادي، أين تتخذ صبغة دينية تتمثل في الصراع بين اليهودية والمسيحية ،ويبدو أنّ تلك الحروب التي شنّها "كلب Caleb" ملك أكسوم بدعم من جستنبان الأول إمبراطور بيزنطة، على اليمن تعتبرمرحلة من مراحل الصراع بين فارس وبيزنطة .

وفي حدود عام 572 ميلادي ينتهي الاحتلال الحبشي ،وانغلقت دولة أكسوم على نفسها ولم تلبث أن زادت عزلتها بعد انتشار الإسلام فتقوقعت داخل جبالها الحصينة وازداد الأكسوميين بذلك بعدا عن اليمنيين (2).

---

(1)- المرجع السابق،ص 169.

(2)-نفسه ، ص 59,

III- الحياة الاجتماعية في والثقافية

لقد تأثرت الحبشة بعدة حضارات دخلت المنطقة بفضل موقعها الاستراتيجي الذي كان يشكل همزة وصل بين عالم البحر الأبيض المتوسط و المحيط الهندي و شبه الجزيرة العربية ، وانطلاقا من نتائج الدراسات الأثرية تبين لنا بأن مدينة أكسوم عرفت فسيفساء من الثقافات المتمثلة في العربية – الإغريقية والرومانية من دون أن ننسى الثقافة المحلية الأصلية، سوف نوضح كل ذلك لما نتطرق إلى الحياة الاجتماعية التي تستطيع أن تعكس لنا تلك المظاهر .

1- التركيبة السكانية

يتكون المجتمع الحبشي من عناصر جنسية مختلفة، وفدت إلى الشرق الإفريقي في أزمنة بعيدة أو قريبة من تأسيس مملكة أكسوم ،امتزجوا بالعنصر الأصلي الكوش بحيث أثروا فيه وتأثروا به ، ولعل العلاقة بين سكان شبه الجزيرة العربية وإفريقيا – حسب دراسات حديثة – ترجع إلى التحركات البشرية الأولى التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ .وأقدم أثر لهذه العلاقة يرجع إلى الألف الثامن ق م(1).

و كان للعامل التجاري الدور الكبير في تنوع التركيبة السكانية لليمن ، لأنّ المنطقة عرفت هجرات سكانية سواء من الشرق أي(شبه الجزيرة العربية ، الهند ،الصين)أو من الشمال (مصر، الإغريقي ،الرومان) ،و كان لكل هذه الأقوام دور في بناء الثقافة الحبشية .ويظهر ذلك خاصة في النقوش الملكية التي كانت تدون بعدة كتابات سبئية – إغريقية – جعزية ، وفي الديانة التي كانت تجمع في بعض الأحيان بين الآلهة العربية و المصرية والإغريقية .

2- اللغة والكتابة الأكسوم

من بين المظاهر الحضارية التي تمثل مرحلة انتقال التاريخ الحبشي من المرحلة السبئية إلى المرحلة الأكسومية ما قبل المسيحية ، هو ولادة وسيلة تدوين جديدة خاصة

---

(1)- (M-L) inizan « le périple de l’obsidienne a travers la mer rouge », op cit, pp 11-19.

بالمملكة الأكسومية ابتداء من القرن الثاني الميلادي، حلّت محل الكتابة القديمة والمتمثلة في السبئية ويدل هذا الابتكار الجديد على التطورات التي عرفتها أكسوم في هذه المرحلة، كما يدل أيضا على استقلالها عن أية تبعية كانت ،فأصبحت بذلك قوة محلية تجمع بين مختلف مجالات الحياة العامة ، الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية .(1)

وتعتبر مجموعة النقوش الملكية للملك "عزانا" التي توصل إليها علماء الآثار في أكسوم وفي بعض المناطق المجاورة لها ، من أبرز المصادر التي ساعدت العلماء على متابعة دراسة التطورات التي طرأت على الكتابة الإثيوبية القديمة ، كما أنّ ظهور كتابة جديدة لا يعني بالضرورة زوال الكتابة القديمة ، وهذا ما نلاحظه خاصة في نقوش الملك "عزانا".

وفي بعض الفترات اكتفي الملك بالاعتماد على الكتابة العربية الجنوبية فقط مثل نقيشة الملك "كلب " وهذا من الأمور التي حيّرت جمهرة العلماء ، وهذه الميزة كانت عاملا مساعدا أثناء دراسة الكتابة الإثيوبية بمقارنتها مع العربية الجنوبية (2).

فاللغة والكتابة التي نتحدث عنها أي الأكسومية ما هي إلاّ فرع من فروع اللغة السامية الأم التي انحدرت منها كل اللغات السامية الأخرى في الشرق الأدنى القديم وهي التي عرفت بلغة "الجعزية "التي تنتمي إلى عائلة اللغات السامية الجنوبية بما فيها السبئية والحميرية ، واعتمدت مملكة اكسوم على اللغة الجعزية في تدوين المعاملات العامة والأمور التجارية والأدبية .

تمّ الكشف عن أثر بغاية الأهمية ويتمثل في بعض النقوش "الجعزية "بمغارة بجزيرة سقطرة وإلى جانبها نقوش أخرى بكتابة هندية وكتابة عربية جنوبية، بالإضافة إلى رسم لسفينة ويبدو أنّ حضور هذه النقوش مجتمعة بجزيرة، إنما تمثل همزة وصل بين ثلاثة

---

(1)-(F)Anfray : « La civilisation d’Axoum du 1er au 7eme Siècle »op, cit, P387.

(2)-(F) Anfray, (A) Caquot,(P)Nautin :”Une nouvelle inscription grecque d’Ezana,roi d’Axoum,J.A,Paris,1970 ,260.

شعوب تجارية في العالم القديم ودليل على طريقة للتواصل بين الأطراف الثلاثة (العربي الجنوبي –الأكسومي – الهندي)(1).ينظر الصورة رقم (13)

اعتمدت اللغة الجعزية على اقتباس 24حرفا من الحروف السبئية ، وأضافوا لها ستة حروف جديدة تتماشى مع الأصوات الحبشية ، ولم تعتمد النصوص الجعزية القديمة على الشكل ، كما كانت تكتب من اليسار إلى اليمين ، وابتداء من عصر الملك "عزانا" أخذت هذه الكتابة تعتمد على إشارات الشكل ، وهي عبارة عن دوائر صغيرة تعلق على الحرف الأصلي في الجوانب أو بإطالة أحد أضلعه .

فبالنسبة للضمائر تذكر اسم الموصول المذكر (ذ)في اللغتين ، وتذكر الضمائر الشخصية في الجعزية (ي إ ت ،و إ ت)بأشكال العربية الجنوبية (هيأ ،هوأ)وهذه ما هي إلاّ بعض الامثلة عن أوجه الشبه والاختلاف بين اللغة العربية الجنوبية واللغة الجعزية(2).

وما يجدر الاشارة إليه هو أنّ اللغة الجعزية شهدت عدّة تطورات منذ ظهورها ، وتقريبا كل نقيشة يعثر عليها تختلف عن التي سبقتها ، كما أنّ هذه التطورات لم تعرفها كل الحروف، وإنما كل حرف له مساره التاريخي وربما هذا راجع لوجود لهجات أخرى بالمنطقة كالكوشية والإغريقية، فمثلا لو نأخذ أسماء النباتات و الحيوانات كلها ذات أصل كوشي . ينظر الصورة رقم (14)

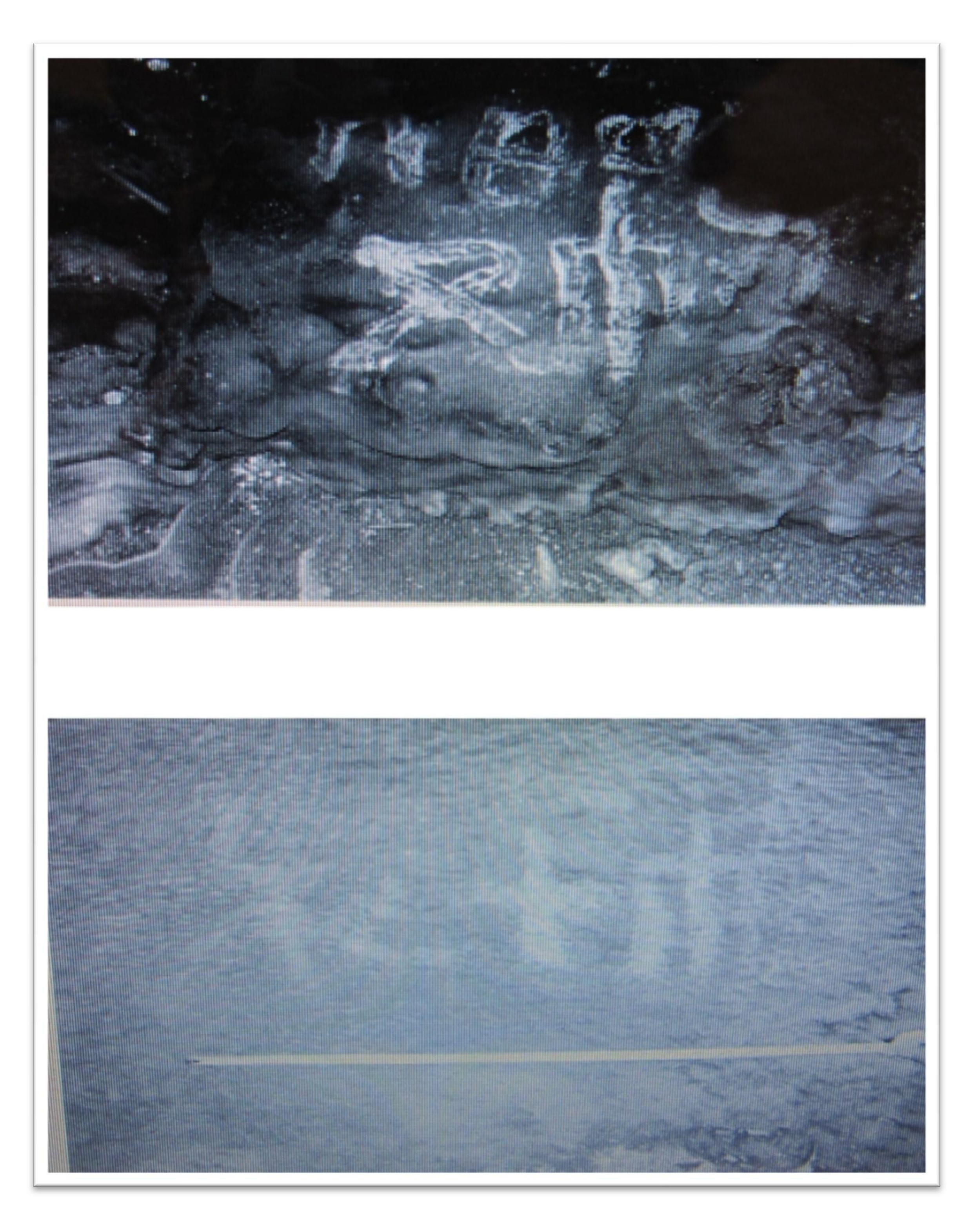
أمّا بالنسبة للكلمات المتعلقة بمجال البناء والزراعة فهي ذات أصل عربي جنوبي، وبالتالي دخول أصوات جديدة تتطلب اللغة لتعديلات متواصلة وهذا ما جعل هذه اللغة معقدة نوعا ما (3).

---

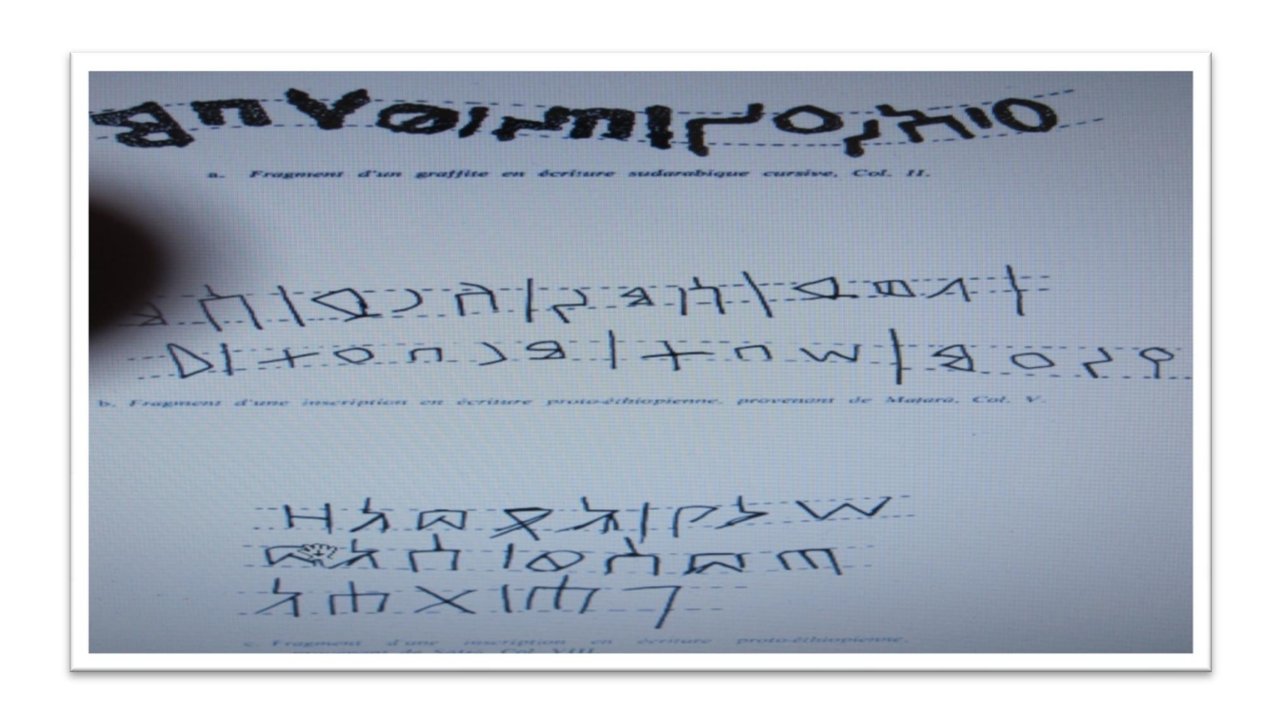
(1)- (C) Robain, (G) Gorea «Les vestiges antiques de grotte de Hôq (Suqutra, Yemene), In : , N2, 2OO2. C.R.A.I, PP427-433

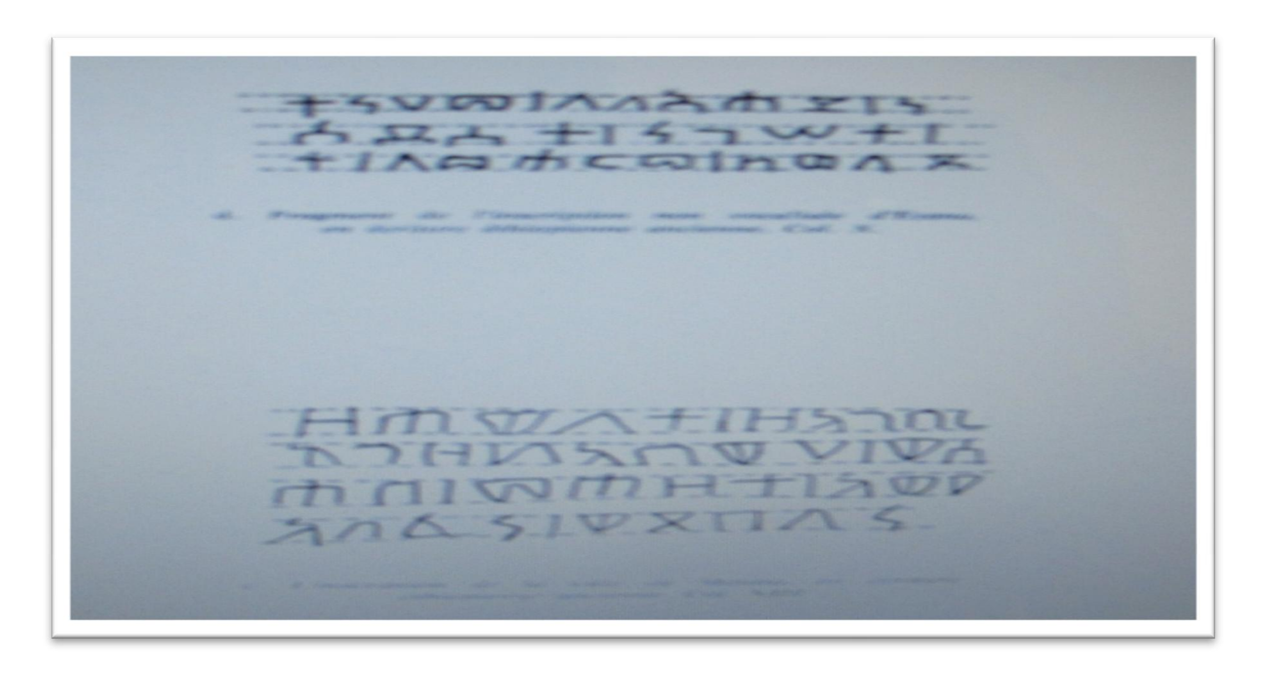
(2) - فوزي البعلبكي ،الكتابة العربية السامية ،بيروت ،1981،ص ص 185-187.

(3)- Roger Schneider, Abraham Johanne drewes, « documents épigraphiques -1 »In : A.E, v7, n7, 1967, pp98- 106.



الصورة رقم(13) :كتابات بالإثيوبية في مغارة بجزيرة سقطرة





الصورة رقم(14): تطور الكتابة الإثيوبية

لم تعش اللغة الأكسومية طويلا ،وربما تغلّب اللهجات الكوشية عليها كان سببا في ذلك، فقد اضمحلّت مع نهاية دولة أكسوم التي كانت مصدر ظهورها ، وبعد ذلك انحصر استعمالها في كتابة الأدب والطقوس الدينية ، وبقيت بعض الأقليات تتحدث بهذه اللغة، خاصة في شمال أكسوم بهضبة تجراي ويرجع الفضل في أبقائها حتى الآن إلى الكنيسة

3- الديانة الأكسومية :

لقد أظهرت النقوش المكتشفة في شمال الحبشة على علاقة تبعية هذه المنطقة بالعربية الجنوبية ، ويعتبر معبد "ياحا" الوثني الواقع على بعد 30كلم من أكسوم و130كلم عن ميناء عدولي أكبر رمز من رموز العلاقة الدينية التي تربط المنطقتين ، وذلك من خلال هندسته المعمارية التي تنطبق بشكل كبير مع الهندسة المعمارية للمعابد اليمنية ، بالإضافة إلى مجموعة النقوش التي زينت به جدرانه والمتمثلة في الخط السبئي ، والتي تحمل معاني طقوس دينية ذات أصل عربي جنوبي (1)ينظر الصورة رقم (15)

ويؤكد الباحثون بأنّ اله " المقه "هو الإله الرئيسي في مجمع الألهة الإفريقية ، وانتشرت عدة معابد تابعة له خاصة في حاولتي – ميلازو–Hawalti-Melazo في جنوب غرب "ياحا" أين رمز له بالثور ، بالإضافة إلى تناثر بعض النقوش التي تحمل معها رموز لألهة عربية مثل الوعل والثور ...مثل التي عثر عليها سنة 1958.

ولكن هناك بعض آلهة عربية أخرى لم تذكر بكثير في الآثار الحبشية وذكرها ينحصر على بعض المناطق فقط مثل الإلهة "عثتر "برزت من بين الآثار في "ياحا " وحاولتي ، كذا اله "هويس " الذي ذكر بعد" المقه "في حاولتي – ميلازو (2).

إلى جانب الآلهة العربية هناك مجموعة من الرموز والرسوم المقدسة والتي لها علاقة بالدين العربي الجنوبي ، كقرص الشمس الذي يرد دائما مع صورة الهلال ، وكل هذه

---

(1)-(JF) Breton, « L’architecture antique des deux rives de la mer rouge » In, :J.A , T72, 2002, PP 229-239.

(2)-(H)de Contenson , « les principales étapes de l’Éthiopie antique »,op cit ,PP14-16.



الصورة رقم (15):نقوش للإله إبيس بمعبد ياحا

الرموز كانت شعار المملكة الأكسومية في بداية عهدها (أنظر الصورة رقم 16)، كما كانت حاضرة دائما على مسكوكات في القرن الثالث الميلادي (1)،قبل أن يتغير الوضع وتدخل الديانة المسيحية إلى أكسوم في حدود 330 ميلادي (والتي تحدث تغيرات كبيرة في الحبشة ، وجعل من الحضارة العربية التي انتشرت في المنطقة ما هي إلاّ مرحلة من المراحل التاريخية العابرة).

وبناء على المخلفات الأثرية التي سبق أن ذكرنا جزء منها ، نلاحظ بأنّ ديانة الأحباش حتى القرن الرابع الميلادي كانت امتداد لديانة عرب جنوب شبه الجزيرة العربية الوثنية ، وكانت المنطقة مقاطعة سبئية تحمل كل مظاهرها الحضارية التي تمس كل جوانب الحياة سواء الاجتماعية أو الدينية أو الاقتصادية أو السياسية ، وكأنّ البحر الأحمر ليس له وجود ، ويمكننا أن نعتبر المنطقتين إقليم واحد لا فاصل بينهما .

وما لا نستطيع تأكيده في حديثنا عن الديانة العربية في الحبشة هو: هل الديانة العربية كانت عامة على كل الشعب ؟أم أنها كانت تقتصر على طبقة معينة في الدولة ؟لانّ الآثار تمدنا بمجموعة من النقوش والهياكل والرموز تعود لديانات أخرى بالمنطقة ، وتشكل في مجموعها آلهة مصرية وأخرى ذات أصول إغريقية، بالإضافة إلى الآلهة المحلية .

ولكن هذا لا يجعلنا نستغرب الأمر، لأننا تحدثنا في العنصر الخاص بالتركيبة الاجتماعية للحبشة ، وأشرنا إلى وجود عدّة شعوب(الأهالي – المصرية – العربية – الإغريقية)وبالتالي هذا الوضع جعل من الحبشة القديمة فسيفساء من اللغات والديانات .

فهذا بطبيعة الحال ما هو إلاّ دليل للإنصهار الثقافي الذي كان نتيجة لتفاعل الحضارة اليمنية القديمة مع الحضارة الإفريقية ، وبالتالي أضيفت إلى قائمة الأرباب العربية الجنوبية بالحبشة أرباب افريقية ،والديانة الأكسومية من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلاديين ،كانت ديانة فلكية كبقية ديانات الشعوب السامية ، ومهما اختلفت أسماء الآلهة

(1)- (F) Anfray, « Matara », In: A.E V7, 1967, P51.



الصورة رقم(16):مسلة تحمل رمز إله القمر (المقه) مطرة العهد الأكسومي

إلاّ أنها يمكن إدراجها ضمن أحد أجزاء الثالوث (الزهرة –الشمس –القمر)وما وجود الإله "زيوس "Zeus الإغريقي ، وأمون المصري، إلاّ تعبير بلغتهم الأصلية عن الإله الرئيسي لأكسوم المعروف باسم "مهرم" Mahrem (1).

ومن خلال ما سبق ذكره يظهر جليا أنّ الديانة العربية الجنوبية كان لها الأثر الكبير على الحبشة وخاصة في المرحلة السبئية من القرن السادس ق م إلى القرن الأول الميلادي ،وكل المظاهر الحضارية الخاصة بالعربية الجنوبية ، كان لها حضور قوي في الأثار الحبشية التي تعود إلى هذه المرحلة ، أما بالنسبة للمرحلة الاكسومية التي تمتد من القرن الأول إلى الرابع الميلاديين، فهي أيضا تعكس لنا المظاهر الحضارية العربية الجنوبية ، ولكن في قالب إفريقي ، بمعنى انّ فترة حكم المملكة الاكسومية كان بمثابة مرحلة تاريخية فصلت بين التاريخ السبئي والتاريخ الإفريقي وكانت بذلك الحضارة الأكسومية مزيج بين المرحلتين .

---

(1)-Tekle Mekouria , « Axoum Chrétienne »,Afrique ancienne,op cit ,P430.

IV-الأنشطة الاقتصادية في اكسوم

ابتداء من القرنين الثاني والثالث الميلاديين، تبدأ بعض المصادر التاريخية بالحديث عن قوة اقتصادية وسياسية ، ظهرت بشمال شرق القارة الإفريقية ، والتي كان لها تأثير على العربية الجنوبية والأراضي المجاورة لها ،هذه القوة هي التي أشار إليها المؤلف المجهول صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري (أكسوم عاصمة الاكسوميين)، خاصة عند حديثه عن أحد ملوكها وهو "زوسكاليس " من الأرجح أنه حكم في القرن الثاني الميلادي .(1)

إنّ ظهور أكسوم كقوة اقتصادية وسياسية ، جعل العديد من الباحثين يتساءلون عن مصدر هذه القوة خاصة إذا ما لاحظنا تقارير علماء الأثار الذين تحدثوا كثيرا عن غياب اسم أكسوم بين أثار موضع" ياحا "أقدم موقع اثري بالحبشة ، إذن كيف يعقل ظهور قوة اقتصادية عالمية في القارة الإفريقية ويكون لها تأثير على قوى أخرى مماثلة لها؟وماهي أبرز الأسس الاقتصادية التي كانت تعتمد عليها ؟.

1-الزراعة

تعتمد نسبة كبيرة من المجتمع الحبشي بالدرجة الأولى على الأنشطة الفلاحية (الزراعية وتربية الماشية) وبقيت هذه القاعدة مصدر رزق سكان هضبة تجراي إلى غاية اليوم و الزراعة تمثل إرث حضاري ذات أصول عربية جنوبية يضرب بجذوره إلى الألف الأول ق م ، فهو ذلك النشاط الذي عرّف به المجتمع اليمني القديم بتقنياته المتطورة التي تتماشى مع طبيعة المنطقة التضاريسية .

فلم تكن الحبشة يوما عقبة أمام المهاجرين اليمنيين ، بل كانت مجرد إقليم جغرافي تابع لأراضيهم الواقعة في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية ، وبالتالي لم يكن استيطانهم للمنطقة يتطلب جهود ، بل كانت الظواهر التضاريسية والمناخية الحبشية معروفة لديهم وكان من السهل نقل كل تقنياتهم الزراعية معهم دون أية صعوبة.

---

(1)- le périple de la mer Erythrée, op cit ,4-13,5-18.Afrique ancienne ,op cit ,P365.

لقد نقل اليمنيون هذا الإرث الحضاري من خلال تخطيطهم للأراضي وجعلها شرفات ترتفع على جوانب الجبال (مدرجات زراعية) هذه التقنية التي انتشرت خاصة في الهضبة الشرقية بالحبشة منطقة (لقلع –غوزاي L'Akklae -Ghzai)التي بقيت تحتفظ ببعض الأثار المتعلقة بهذا الميدان .(1)

كما تعاملوا مع الظواهر المناخية بنفس الطريقة التي كان يعتمد عليها باليمن ، ومنها تشييد للسدود بشتى أنواعها (سدود تحويلية – وسدود خزن وتصريف)، وكذا الصهاريج وحفر القنوات لتصريف المياه بنظام (2)، وذلك من اجل الاستفادة من مياه الأمطار الموسمية التي ربما تكون في بعض الأحيان عامل مدمر للمنشآت السكنية وإتلاف المزارع ، وبالتالي الغرض منها ليس فقط الاستفادة، إنما هو وسيلة لحماية المنطقة من خطر الأمطار الفجائية التي يتميز بها المناخ الموسمي .

لعب عرب الجنوب (اليمنيون) الدور الكبير في إدخالهم للمحراث وبعض الأدوات الفلاحية الأخرى (ينظر الصورة رقم 17)الذي تجره الثيران وكان مصدر ثروة زراعية عرفتها المنطقة خاصة بعد ما حلّت هذه الأداة محل الفأس الذي كان يعتمد عليه إلى حد اليوم في بعض المناطق الإفريقية الأخرى، وربما كان عامل في توسيع الرقعة الجغرافية ورغبة الملوك في الحصول على اكبر قدر ممكن من الأراضي الزراعية التي توسعت في القرن الرابع الميلادي ، من اكسوم جنوبا حتى هضبة تجراى شمالا وبعض أراضي القبائل التي كانت تستقر في الحدود الغربية من اكسوم إلى السواحل العربية .

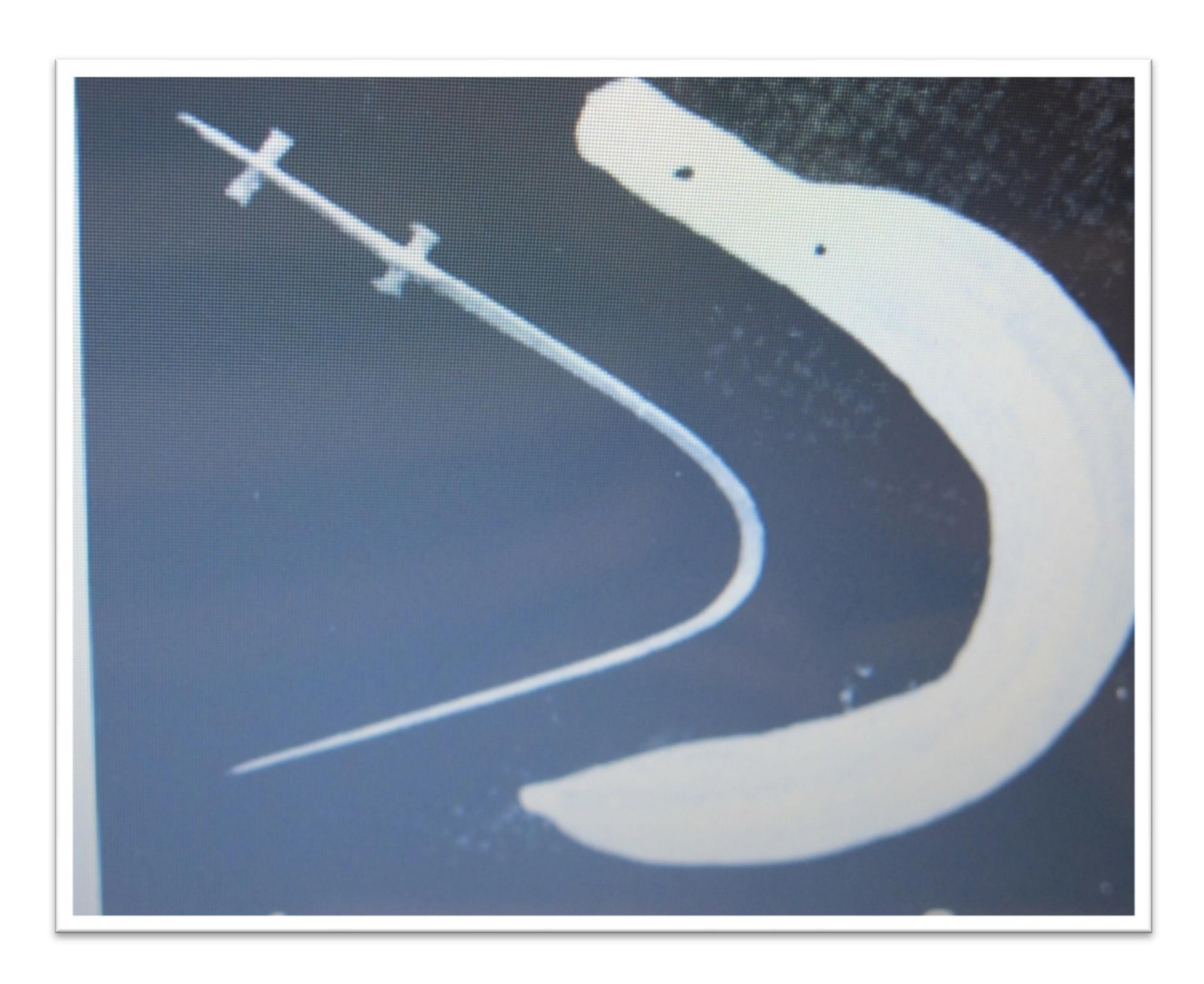
وعلى ضوء دراسة النقوش والبقايا الأثرية تبين أن الحبوب بشتى أنواعها كانت تشكل نسبة عالية من المحاصيل الزراعية الأكسومية، كما أنّ معرفتهم لتربية الحيوانات جعلتهم يستفيدون بمختلف منتجاتها كاللحوم والدهون والعسل (3).

---

(1)-(F)Anfray , « Fouilles de Yeha »In :A.E,V9 ,N9,1972,P54.

(2)- محمد احمد خلف "الجذور التاريخية للعلاقات بين العرب والأفارقة "مركز دراسات الوحدة العربية ، العرب والدائرة الإفريقية، لبنان 2005،ص22.

(3)-(Y-M) Kobishanov, « Axoum : du 1er au 4eme Siècle, Economie, et système Politique, Culture »Afrique ancienne, op cit, P408.



الصورة رقم (17) :أدوات فلاحيه بموقع حاولتي

ولكن ما لا نستطيع أن نؤكده هو ، هل كانت هذه الخيرات تدخل ضمن مبادلاتها التجارية، أم أنها تقتصر على تلبية حاجيات المجتمع الأكسومي فقط ؟لأنّ هناك بعض الأدلة الأثرية التي تشير إلى بعض الواردات (الزيت – الحبوب)التي تصل من بعض مناطق البحر الأبيض المتوسط (سوريا ومصر)ولهذا لا يمكننا أن نستعجل في حديثنا عن الصادرات الأكسومية لأنّ الآثار تبدو بعيدة في إشارتها لهذا المجال .

2- التجار ة:

إن حاولنا أن نعطي إجابة عن أهم الأسس التي اعتمدت عليها أكسوم في بناء اقتصادها الذي جعل منها قوة لها تأثير بالغ على الأوضاع السياسية والاقتصادية لتلك الفترة ، فإنّ التجارة تشكل عماد هذا الاقتصاد فهو الميدان الذي كان يميز أسلافهم العرب والذي انبثقت منه إلى الوجود ، وجعلته أكسوم مركز قوتها .

تعتبر أكسوم أول كيان سياسي إفريقي استطاع أن يخصص عملة خاصة به ، وكانت هذه العملة من معادن مختلفة سواء من البرونز – النحاس –الفضة –الذهب وكل معدن يميز مرحلة تاريخية مرّت عليها أكسوم ، وتمثل العملة الذهبية رمز الرفاهية والاستقلال عن أية تبعية أجنبية ، ويعتبر "أندييبس Endybis"أول ملك أكسومي قام بمبادلات تجارية عن طريق النقود ، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي (1).

وبطبيعة الحال لعبت أكسوم دور الوساطة التجارية بين روما والشرق الأقصى (سيلان – الهند –الصين)من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلادي ، خاصة بعدما أخذت المكانة التجارية التي كان يتمتع بها أهل العربية الجنوبية (2)ينظر الصورة رقم (18)

أما بالنسبة لموضوع المبادلات التجارية الأكسومية مع العالم الخارجي، فإننا نلاحظ هناك بعض الغموض الذي يكمن في طبيعة صادراتها ووارداتها ، لأنّ الأبحاث الأثرية

(1)-(E) Godet « Bilan de recherches récentes en numismatique Axoumite »in : R.N, T26,1986, PP174-209.

(2)-(C) Morrison, (E) Godet, (J.N) Barrandon « Le monnayage d'or Axoumite, une altération particulière »In : R. N, V6, N32, 1990, P187.



الصورة رقم (18) :نقود الملك أونديبيسEndibis القرن الثالث ميلادي

لم تمدنا بالقدر الكافي من المعلومات المتعلقة بالموضوع ، لذا يتعذر علينا الحديث بكل يسر عن المنتجات المحلية والأجنبية بأكسوم .

باستثناء ما تركه لنا بعض الكتاب اللاتينيين والبيزنطيين مما يجعلنا نكون فكرة وجيزة عن طبيعة المبادلات التجارية الأكسومية مع العالم الخارجي ،حيث تحدث سترابون عن السفن الإثيوبية التي تغادر البحر الأحمر محملة ببعض السلع مثل (حجر الصوان ، العاج ،قرن وحيد القرن ،أنياب الكركدن ،جلد فرس النهر ، القردة والعبيد)

أما صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري، فقد أشار إلى السلع التي تخرج من ميناء عدولي والمتمثلة في السلاحف ، الصوان ، العاج ، قرن وحيد القرن (1)بالإضافة إلى بعض الكتاب الذين تحدثوا عن بعض السلع التي تدخل ضمن الصادرات الأكسومية مثل تبر الذهب ، العطور .

ومن خلال هذه القائمة من السلع الأكسومية التي تصدر إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط ، نستنتج بأنّ كلها عبارة عن سلع تمّ الحصول عليها عن طريق الصيد ، ولم تصادفنا أية منتجات فلاحية أو حيوانية كالحليب والعسل ، ولا توجد مصنوعات يدوية ، فهل يعقل لدولة قوية سياسيا واقتصاديا كأكسوم، ألاّ تعطي أهمية للمنتجات الفلاحية والحيوانية ؟خاصة إذا ما لاحظنا إلى الزراعة التي كانت متطورة ومربحة ، قد تحدثت عن الحبوب الأكسومية بمختلف أنواعها .

ومن جانب أخر نجد صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري يتحدث عن السلع الغذائية التي كانت تستوردها أكسوم، خاصة من مناطق البحر الأبيض المتوسط مثل الخمور السورية والإيطالية وزيت الزيتون ، ومن مصر كانت تصل الحبوب والخمور ، ومشروب العنب الطازجة ، أما بالنسبة للسلع المستوردة من الشرق الأقصى (الهند) هناك القمح ، الأرز ، القصب السكري (2).

---

(1)-Anonyme ,Le periple de la mer erythree,op cit ,3,7.

(2)-Ibid ,6,7,17.

ومن خلال هذه الشهادة نستنتج، بأنّ التجارة الأكسومية تعتمد بالدرجة الأولى على تصدير السلع التي تتوفر لديها عن طريق الصيد والتي كان لها إقبال كبير من طرف القوى الحضارية الأخرى، مقابل المنتجات الغذائية، فهل الإنتاج المحلي كان لا يغطي الحاجيات السكانية أم أنها تقوم بتصديره لمناطق أخرى لم تذكرها المصادر الأدبية، التي كانت تتميز بالغموض والقلة فيما يخص حديثها عن اكسوم في كل جوانبها الحضارية .

لم تكن المنتجات الغذائية وحدها التي تمثل قائمة السلع المستوردة، بل هناك الأغراض التي لم تتوفر في الشرق الإفريقي لذا اضطر التاجر الأكسومي أن يجلبها من أقاليم أخرى ونذكر على سبيل المثال مصر التي جعلها صاحب كتاب الطواف مصدر بعض الكؤوس الزجاجية والمعاطف والأغطية الصوفية ، كل هذه الأغراض كانت من طلب الملك الأكسومي "زوسكاليس "الذي عاصره المؤلف المجهول (1).

لقد أكدت الأبحاث الأثرية التي أجريت بثلاثة مناطق بالحبشة : أكسوم وعادولي ومطرة صحة ما ذكره المؤلف المجهول ، أين عثر المنقبون على مجموعة من الأواني ذات أصول أجنبية دخلت إلى المنطقة عن طريق المبادلات التجارية ، أغلبها كان من الإمبراطورية الرومانية وخاصة من مصر ، وتتمثل البقايا في (الأمفورات التي بقيت تحتفظ ببعض بقايا الخمر والزيت وكذا بقايا زجاجية ، حلي من معدن الذهب ،بعض القطع النقدية الرومانية من مطرة ومصابيح برونزية ، ميزان من البرونز)(2). بالإضافة إلى العديد من البقايا الأثرية ذات أصل هندي ومن العربية الجنوبية ومروى .

من خلال ما سبق ذكره عن التجارة الأكسومية تبين أنّ اكسوم عرفت علاقات تجارية واسعة تبدأ من المناطق الداخلية لإفريقيا الشرقية إلى العربية الجنوبية والهند وسيلان في أقصى الشرق وإلى مناطق البحر الأبيض المتوسط بما فيها روما _سوريا – مصر...، ولم تقتصر مهمتها على الاستيراد والتصدير لحاجياتها الخاصة فقط ،وإنما

---

(1)-Anonyme,le periple de la mer Erythree, 3-7, 6, 7,17.

(2)-(Y-M) Kobishanov, « Axoum : du 1er au 4eme Siècle, Economie, et système Politique, Culture »,op cit ,P415.

لعبت دور الوساطة التجارية بين دول البحر الأبيض المتوسط ومناطق من الشرق الأقصى.

وقد استطاعت أكسوم في مدة زمنية قصيرة، أن تكوّن إمبراطورية واسعة الأطراف والتي تبدأ من بلاد النوبة والأراضي الإفريقية بجوار إثيوبيا إلى العربية الجنوبية وتوصل ملوك أكسوم إلى السيطرة على أكبر الطرق التجارية التي تجمع بين مصر وسوريا بالمحيط الهندي والشرق الإفريقي ، وكان مضيق باب المندب تحت السيطرة الأكسومية لا ننسى أنه كان يمثل البوابة التي توصل السلع التجارية من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي ثمّ إلى الهند ومن هنا إلى جزيرة سيلان ثم المناطق الجنوبية الشرقية من أسيا .

وبما أن مضيق باب المندب كان تحت السيطرة الأكسومية ،إذن لم تكن المناطق الواقعة إلى أقصى غرب القارة الأسيوية هي الوحيدة التي دخلت ضمن سيطرتها، بل حتى الطريق البحري الذي يصل بين القارة الأسيوية والقارة الإفريقية كان بدوره يمثل الجزء الأخر من المجال الجغرافي الأكسومي(1) وهنا نقصد الطريق البحري الذي يسير بمحاذاة خليج عدن مرورا بالساحل الصومالي (حاليا)،حتى إفريقيا الغربية وهو اتجاه سلكه الكثير من التجار اليمنيين منذ القدم ،وفي القرن الأول الميلادي كان ميدان الرومان والهنود .

يكفي أن نتخيل المجال الجغرافي الواسع الذي كانت تسيطر عليه الإمبراطورية الأكسومية ، تلك المملكة الفتية التي نشأت من أصول عربية جنوبية وتربّت في أحضان حضارة مركبة من إرث أجنبي ، وإنتاج إفريقي محلي ، ظهرت من خلاله أول قوة في تاريخ البشرية بإفريقيا ،إستطاعت أن تحتفض لنفسها بأثمن مصادر السلع التي كانت أكثر طلبا من طرف القوى الحضارية الكبرى منذ القدم ، وفي فترة زمنية قصيرة اتخذت المكانة التي كان يتمتع بها المجتمع اليمني ، وجعلت من هذا الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية مقاطعة، دخلت ضمن الأراضي التي تشكل إمبراطوريتها الواسعة .

---

(1)-(Y-M) Kobishanov, « Axoum : du 1[er] au 4eme Siècle, Economie, et système Politique, Culture »,op cit ,P418.

7- العمارة الأكسومية

أكدت نتائج الأبحاث الأثرية أنّ أكسوم كانت ذات تأثير عربي جنوبي ، وتعتبر المنشآت العمرانية أبرز المظاهر الحضارية العربية بالحبشة .

لم تحتفظ الآثار إلاّ بالقليل من بقايا هذا الإرث الحضاري ، وفي الكثير من الأحيان يكون الموقع الأثري عبارة عن كومة من التراب ربما هذا راجع لعدم معرفة سكان المنطقة قيمة تلك الآثار أم أنه كان للعوامل الطبيعية لها تأثير بالغ عليها ، علما أن منطقة إثيوبيا ذات مناخ موسمي، إذن غالبا ما تتعرض لأمطار فجائية قد تتسبب في إزالة كل ما تجده في طريقها، بالإضافة إلى عوامل التعرية الأخرى ، إذن تخيّلوا فقط هذه الظواهر الطبيعية التي تكررت في فترة زمنية طويلة .

1- العمارة المدنية

كان الفضل للبعثة الألمانية سنة 1906 في الاحتفاظ ببعض الصور ، والاجتهاد في قيامهم بمجموعة من الرسومات على بعض بقايا قصور بمدينة أكسوم ، وكان النموذج الذي أطلق عليه اسم "عندة ميكائيل Enda-Michael"رمز للهندسة المعمارية الأكسومية منه استخرجت بعض المميزات المعمارية التي كانت معروفة بالمنطقة ، وكذا مختلف المواد التي تدخل في بنائها ، وطبيعة الهيكل العام للعمارة (1).

يدخل في الهندسة المعمارية الأكسومية بعض المواد التي تتكرر في كل المواقع الأثرية ، حيث نجد الأحجار الضخمة التي تستعمل في القاعدة والجدران ، وكذالك أحجار ذات أحجام متوسطة تؤدي دور الاسمنت في وضعها ما بين الفراغات التي قد تتشكل أثناء البناء ، أما بالنسبة للخشب الذي يلعب دور الركائز التي توضع فوق السطوح أو لتدعيم الجدران وعلى الأبواب والنوافذ التي كانت حاضرة بشكل كبير في العمارة الأكسومية ، وكانت هذه المواد تدخل سواء في العمارة المدنية أو الدينية (2).

---

(1)-(F)Anfray « La civilisation Axoumite »,op cit,P395.

(2)-(J-F) Breton « L’architecture Antique des deux rives de la mer rouge », op cit, pp235-237.

ترتفع المباني على سطح الأرض على قاعدة من درج (ينظر الصورة رقم 19)مربعة الشكل أو مستطيلة ، كما أنّ جدرانها تتناوب فيها زوايا داخلية وأخرى بارزة وغالبا لا تتعدى بضعة 5سم، وهي تشبه الدرج في شكلها النهائي ، ليست لدينا معلومات عن سبب الإعتماد على هذا النمط من الجدران ولكن ربما كانت تخفف الثقل على المبنى .

ونظرا لدخول الأعمدة الخشبية في البناء الحبشي عامة والأكسومي خاصة ، جعل العلماء يطلقون عليه تسمية (رأس القرد)وهي تسمية سببتها الأطراف البارزة لألواح الخشب التي كانت تدعم الجدران والسطوح وكذا الأبواب والنوافذ ونجد هذا النمط من البناء خاصة في المسلات الطويلة التي يعتبرها الكثير عبارة عن نماذج للعمارة الأكسومية التي لم تستطيع البقايا الأثرية أن تحتفظ بها إلاّ بقواعدها مع بقايا من الأرضية.(1)

أمّا بالنسبة للهيكل الخارجي للعمارة، فهي تتكون من عدة أبواب ونوافذ ضيقة ، وتصادفنا ثلاثة أو أربعة أدرج أمام الباب ، وإلى جانبيه الأيمن والأيسر وضعت أحجار مستطيلة الشكل تؤدي دور المقاعد (ينظر الصورة رقم 20)، وغالبا ما تكون في قاعدة المبنى أحواض صغيرة وصهاريج لحفظ المياه(ينظر الصورة رقم 21) ذات أشكال متنوعة سواء مستطيلة أو مربعة أو دائرية ، وفي خارج المبنى نجد فرن من الطين الذي يستعمل لغرض الطبخ أو لأغراض صناعية وتختلف أحجامهم من عمارة لأخرى (2).

يبدو من خلال الكم الهائل من الخرائب التي تجتمع في المواقع الأثرية، أنّ العمارة تتكون من عدّة طوابق ومن جانب أخر لا يعقل أن يستطيع الإنسان العيش في الطابق الأرضي الذي يتميز باكتضاضه من حيث الأعمدة التي لا يمكن الاستغناء عنها ، كونها

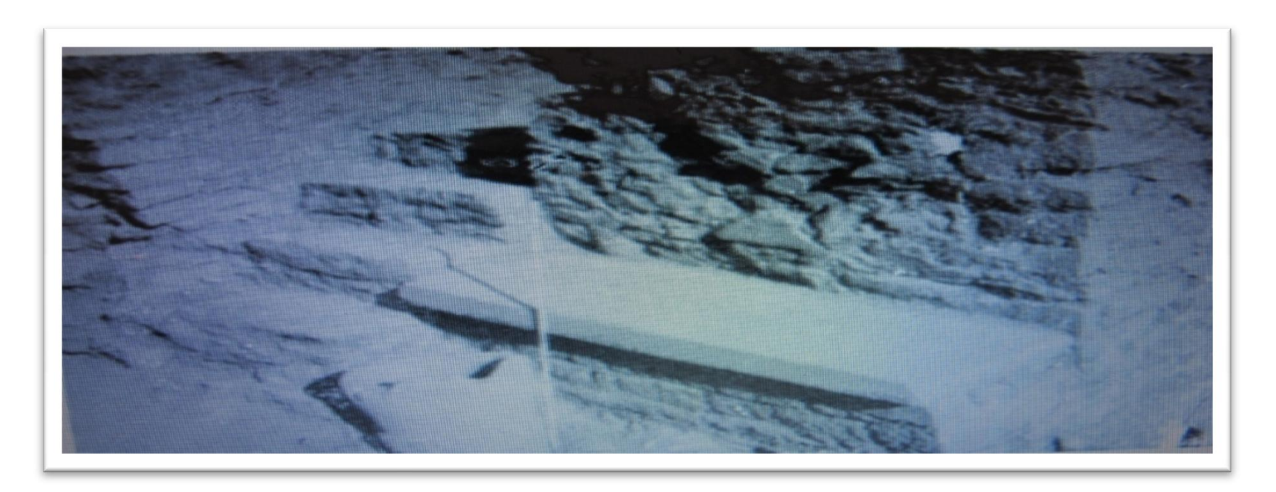
---

(1)-Moscati, Histoire et Civilisation, op cit, P221

(2)-(H) de contencon «Les fouilles a Ouichatae Golo, pré d’Axoum en1958 »In : Annales Ethiopiennes, V4, 1961 ;(F) Anfray « Première campagne de fouilles a Matara (1959-1960) »In : Annales Ethiopiennes, V5, 1963, PP87-166.



الصورة رقم (19):قاعدة من درج لعمارة بمطرة(المرحلة الأكسومية)



الصورة رقم (20):مدخل عمارة أكسومية



الصورة رقم (21):صهاريج حفظ المياه

ركائز لها الدور الكبير في حفظ الوزن بين مختلف أجزاء العمارة وبالتالي الطابق العلوي هو المخصص للعيش (1).

أما بالنسبة للأرضية، فربما مخصصة لأغراض أخرى كإسطبل للحيوانات ، كما كان يستعمل في اليمن القديم وحتى يومنا هذا وفي الكثير من الأحيان نجد البئر بالطابق السفلي أيضا.

مما سبق نستنتج، بأنّ الهندسة المعمارية الأكسومية هي نفس نظيرتها في العربية الجنوبية والتي كانت تعتمد بشكل خاص على الأعمدة الخشبية ، وكذلك الأحجار الضخمة وترتفع مبانيها لتصل في بعض الأحيان إلى أكثر من ستة طوابق وساعد على تطوير هذا النوع من البناء وفرة كل المواد التي تستعمل ، نفس الفرصة استفاد منها المهاجرون اليمنيون الذين قاموا بنقل هذا الإرث الحضاري إلى ساحل البحر الأحمر المقابل واستمتعوا بكل ما وفرته لهم طبيعة المنطقة التي لم تبدوا لهم غريبة ، بل تعوّدوا على نظيرتها باليمن ، وهذا ما جعل الحبشة القديمة صورة طبق الأصل للعربية الجنوبية.

عرفت مستوطنة أكسوم نظام المدينة منذ تاريخها القديم ، وهي المعلومة التي انبثقت من خلال التنقيبات الأثرية التي أجريت في كل من مدينة أكسوم ،عدولي ومطرة ، هذه المدن الثلاثة التي تدخل ضمن المرحلة الأكسومية ، اعتمدت في هندستها المعمارية على تشييد مدن تجمع بكل ما يحتاجه الأهالي من أسواق وصهاريج لحفظ المياه وكذلك معابد وحدائق ...الخ. ومن خلال شبكة الطرق الضيقة التي تخترق المباني ، يبدو أنّ مدينة "مطرة "عرفت كثافة سكانية عالية تعمل في العديد من الميادين ،وكانت القطع النقدية والبقايا الزجاجية والأمفورات حاضرة بشكل كبير في هذا الموقع الأثري (2).

---

(1)-(F)Anfray « La civilisation Axoumite »,op cit,P395.

(2)-(f) Anfray « La civilisation d’Axoum du 1[er] au VIIe siècle, op cit, PP394-395.

ونستطيع أن نميز في المملكة الأكسومية بين نوعين من المدن ، بحيث هناك مدن داخلية ومدن خارجية ونقصد بالمدن الداخلية هي تلك المراكز التجارية و المجمعات السكنية التي تعمل دور الوساطة التجارية بين سلع الأراضي الإفريقية الداخلية والسلع الأجنبية على المناطق الساحلية مثل مدينة عدولي ، ولقد تحدث صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري عن المدينة "كولوي Koloé"التي كانت تمثل إحدى المدن الداخلية المتخصصة في تجارة العاج ، وبطبيعة الحال تكون هذه المدينة مجمع تجاري يلتقي فيه معظم التجار الذين يقصدونها لغرض الحصول على العاج (1)، عاش ميناء عدولي أزهى مراحله التاريخية في القرن الخامس الميلادي .

بحيث قامت بعض البعثات الأثرية بتنظيم مجموعة من التنقيبات في مواقع عديدة بإثيوبيا وذلك ابتداء من النصف الأول من القرن العشرين، وكانت كل من منطقة أكسوم (العاصمة الإثيوبية القديمة)وعدولي (المدينة الساحلية)و مطرة أحد المواقع الأثرية التي استطاعت أن تعكس إلينا طبيعة العمارة الأكسومية القديمة ، سواء فيما يخص المواد التي تدخل في الهندسة المعمارية أو الشكل الخارجي والداخلي .

2-العمارة الدينية

يعتبر" معبد ياحا الوثني"من أقدم الآثار الحبشية التي تعود إلى المرحلة السبأية ، شيد هذا المعبد على هضبة مرتفعة بالجهة الشمالية الشرقية لأكسوم ، ولقد درس المعبد لأول مرّة من طرف البعثة الألمانية وعلى رأسها الأثري" ليتمان "1906 ،ولحسن الحظ احتفظت هذه البعثة بالصور والرسومات التي أنجزت خلال أبحاثهم بالمنطقة (2)، لأنّ المعبد تعرض لعدّة خسائر سواء نتيجة للظواهر الطبيعية أو لعملية النهب التي قام بها أهالي المنطقة من أجل بناء كنيسة مسيحية سنة 1940(3)

---

(1)-Anonyme, Le périple de la mer Erythree, op cit, 4,12.

(2)-(F)Anfray « Les fouilles de Yeha »In :Annales Éthiopiennes, op cit,p47.

(3)-(Ch) Robin, (A)de Maigret « Le grand temple de Yeha(Tigré-Ethiopie),après la première campagne de fouille de la mission Française 1998 »In :, compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, 142eme Année ,N3 ,1998 ,P740.

وبالتالي أصبحت الهضبة تجمع بين عمارتين دينيتين لمرحلتين مختلفتين أولهما المعبد الوثني في الجانب الأيمن وثانيهما الكنيسة المسيحية في الجانب الأيسر ويحصرهما جدار مزدوج حديث العهد وهذا الأخير يجعل المنطقة ذات شكل بيضاوي .

- معبد ياحا

وعلى ضوء ما جاءت به البعثة الفرنسية 1998 ،بني معبد ياحا على قاعدة مستطيلة الشكل يبلغ طوله 18،60 م و15م عرضا وعلى ارتفاع 13م، وترتفع أرضية المبنى على سطح الأرض بواسطة قاعدة تتكون من ستة أدراج ، أما بالنسبة للجدران فإنها مبنية بأحجار جيرية ضخمة مستطيلة الشكل وضعت فوق بعضها البعض بطريقة دقيقة ومتقنة وتبدو الجدران سميكة في الأسفل وتنقص كلما نظرنا إلى الأعلى، وهذا ما جعل علماء الآثار يفكرون بوجود طابق أخر ربما يكون يحيط بالقاعة بأكملها أم أنه يبدو على شكل شرفة تحيط بجدران المعبد .(ينظر الصورة رقم 22)

يشكل الباب الرئيسي ثلثي الجهة الغربية للمعبد وتقابلنا سلسلة من النقوش التي تحمل رموز لآلهة عربية جنوبية وكتابات سبأية ، أما بالنسبة للتنظيم الداخلي للمعبد فهو يتلخص في المحاولات التي قامت بها البعثة الفرنسية أثناء محاولة أعضائها رسم مخطط للمعبد ، وكذا محاولة فهم دور كل قطعة أثرية وجدت بجانب الموقع الأثري ، واستطاعوا الوصول إلى بناء فكرة على التنظيم الداخلي ، وعلى ما يبدو أنّ المعبد ينقسم إلى مصليات ذات أحجام تؤدي وظيفة غرف الإنتظار التي توصل بالمصلي عن طريق درج (1).

وحسب الدراسات التي قم بها "فرانسيس أنفراي Anfray"في موقع ياحا 1972، فإنّ بين معبد ياحا والمعابد في العربية الجنوبية (صراوح –عطار –معبد معين)وجه شبه كبير سواء فيما يخص التصميم الخارجي أو التنظيم الداخلي والنقوش ، كما أنّ معبد "ياحا "و"حوالتي" "وميلازو"نقاط تشابه ولكن ما يختلف بينهما هو عدم وجود أية أثر من

(1)-Ibid,PP740-750.



الصورة رقم (22):رسم توضيحي لمعبد ياحا من طرف "باتريك نوري Patrick Neuriy"

المرحلة الأكسومية بياحا عكس المناطق الأخرى التي كانت تجمع بين بقايا الإرث السبئي والأكسومي (1)

ربما هناك من يتسأل عن سبب حديثنا عن معبد ياحا مادام هو ينتمي إلى المرحلة السبئية وجوابنا هو وجود مواقع أثرية تعود إلى المرحلة الأكسومية تعكس علينا مظاهر حضرية لها علاقة بالمرحلة السبئية القديمة .

وبالتالي نستنتج بأنّ مرحلة أكسوم ليست عبارة عن حدّ فاصل بين عهدين، بل هي مرحلة انتقالية من تأثير سبئي مباشر إلى حضارة مركبة تجمع بين نمطين من الثقافة (العربية والإفريقية)، وتعتبر منطقة حولتي Haoultiأحسن مثال يجعلنا نفهم طبيعة المعابد الأكسومية واستطاعت أن توفر لنا كل ما لم تمده لنا الآثار في مدينة أكسوم .

- معبد حولتي

تقع حولتي 11كلم جنوب شرق أكسوم وتعني هذه التسمية بالإثيوبية "مسلات "وتوصلت البعثة الأثرية الفرنسية سنة 1959 إلى الكشف عن بقايا معبدين وثنيين ، حاول الأثري أنفراي القيام ببعض الرسومات لإعادة هيكلة هاتين العمارتين، لأنها الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تعكس لنا الشكل التقريبي للمعلمين ،علما أن الآثار كانت قليلة وغير واضحة .

ويبدو من خلال المادة الأثرية أنّ المعبدين ذات تأثير عربي جنوبي ، وهناك عدّة نقاط تشابه تجمع بينهم وبين معبد "ياحا "الذي أرخ بالقرن الخامس أو الربع ق م ، فهل المعبدين يعودان إلى نفس المرحلة التاريخية لياحا أم أنهما حديثي العهد ؟وكان الاقتراح الثاني هو الأقرب إلى الحقيقة والدليل على ذلك هو وجود أدوات أخرى تعود إلى المرحلة الأكسومية الأولى أي (من القرن الأول الميلادي إلى القرن الرابع الميلادي) وتشكل السلع المستوردة من الهند والفخار الأكسومي نسبة كبيرة من بين أثار المنطقة .

---

(1)-(F)Anfray « Les fouilles de Yeha »,op cit ,PP53-54.

ولكن اكبر دليل هو تلك المسلات الضخمة التي كانت تحيط بالمعبدين والتي أرخت بحوالي القرنين الثالث والرابع الميلاديين وكما هو معروف لدى علماء الآثار أنّ هذه المعالم الأثرية كانت نتاج الحضارة الأكسومية خاصة فترة حكم الملك" عزانا "القرن الرابع الميلادي (1).

شيد المعبدين على قمّة هضبة مرتفعة بحولتي –ميلازو بواسطة أحجار جيرية ضخمة متوفرة في المنطقة ، على قاعدة مستطيلة الشكل ويفصل بينهما رواق ضيق ، ويختلف سمك جدران المعبدين حيث نجده في المعبد الشمالي حوالي 1،20م، أما المعبد الجنوبي حوالي 80سم أما طول المعبد الشمالي يبلغ 11م والجنوبي 10،50م(2).

لقد دفنت في الرواق الذي يفصل بين المعبدين العديد من القطع الأثرية أبرزها تمثال إمرأة جالسة على كرسي من الحجر الجيري يكسوها فستان طويل متموج وهي واضعة أيديها على ركبتيها،ويبلغ في ارتفاعه 80سم(ينظر الصورة رقم 23) ، وهذا التمثال مثل الموضوعات العربية الجنوبية وتوجد إلى جانبيه في الموقع العديد من التماثيل الأخرى.

أما بالنسبة للعرش فهو كذلك من الحجر الجيري الأبيض ذات ارتفاع 140سم، كانت قاعدته عبارة عن قدمي ثور كما يعلو فوق العرش قبة على شكل قوس تحيط به نقوش لوعول في كل الجهات ، وعلى جانبيه الأيمن والأيسر يحمل نقوش لرجل بلا لحية بيده عصا ومن ورائه رجل أخر يبدو أكبر من الأول سنا ذات لحية وبيده مروحة (3).ينظر الصورة رقم (24).

---

(1)- (H) de Contensen « les fouilles de Haoulti en 1959, Rapport préliminaire »In : Annales Ethiopiennes, V5, 1963, PP41-52.

(2)-Ibid., 41-42.

(3)-(H)de Contensen « Les monuments d'art sud – Arabe découverte sur le site de Haoulti (Ethiopie) en1959 »In :Revue Syrienne, T3,Fascicule1-2,1962,PO64-74.



الصورة رقم (23):تمثال لامرأة جالسة على حجر جيري (معبد حاولتي)



الصورة رقم (24):عرش ملكي من الحجر الجيري الأبيض (حاولتي)

وفي الكثير من الأحيان استعملنا عبارة "تأثير عربي جنوبي "بدلا من التأثير "السبئي ". لماذ ؟ لأنه عند دراسة الأثريين لمعبد ياحا ومعابد أخرى بالعربية الجنوبية اتضح بأن تلك التأثيرات ليست متعلقة بالدولة السبئية فقط ،وأنما هناك بعض التأثيرات التي تعكس إلينا جوانب من الإرث المعيني ، ونجد معبد "معين "ومعبد "صراوح "تربطهم علاقات مع معبد "ياحا "، ولهذا اخترنا ان نعتمد في حديثنا عن التأثيرات على تلك التسمية "عربية جنوبية "، ولا ننسى أنه في الكثير من الأحيان يصعب علينا التمييز مابين المخلفات الأثرية الخاصة بالدويلات العربية الجنوبية لأنها كلها ظهرت متعاقبة أو متعاصرة .

ج- جدول مقارن لمستوطنتي قرطاجة واكسوم

الموضوع	أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
التأسيس	- تأسست المستوطنتين من طرف أ قوام ذات أصل سامي واحد . - تربط بين الفينيقيين واليمنيين دوافع مشتركة وراء حركاتهم الاستيطانية .	- يبدو تاريخ تأسيس قرطاجة أكثر وضوحا . - يبدو تاريخ تأسيس أكسوم غامضا ، لا توجد أدلة أثرية تساعدنا على فهم بدايات هذه المستوطنة.
الطبيعة	- تأسست المستوطنتين لأغراض اقتصادية. - كانت المستوطنتين مراكز تجارية وسكنية في نفس الوقت . - كان للمستوطنتين الدور الكبير في ترويج السلع التجارية بين مناطق مختلفة في العالم القديم (البحر الأبيض المتوسط ، المحيط الهندي).	- الرقعة الجغرافية التي استغلها المهاجرون الفينيقيون أثناء وصولهم إلى تونس (حاليا)كانت معروفة لديهم من قبل. - تتميز مستوطنة أكسوم بظهورها المفاجئ ، فلم يعثر في منطقة أكسوم عن أي دليل للتواجد اليمني بالمنطقة قبل ذلك.
التطور	- تطورت قرطاجة من مستوطنة إلى إمبراطورية وقطعت علاقاتها مع الوطن الأم ، وأسست مستوطنات خاصة بها . - تطورت أكسوم من مستوطنة إلى إمبراطورية ، وبرزت إلى الوجود كقوة	-تطورت قرطاجة بشكل واضح عبر مراحل تاريخية مختلفة أكّدت الآثار المادية والكتابية ذلك. - مرّت علاقة قرطاجة بمدينةصور عبر مراحل تاريخية واضحة . - لا نملك أدلة تعكس لنا طبيعة العلاقة بين أكسوم واليمن ،وليس

الموضوع	أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
الزراعة	اقتصادية وسياسية وسيطرت على الطرق الملاحية بالمحيط الهندي . - أسست مستوطنات خاصة بها في ليبيا والهند وسيلان . - كان الدور الكبير للقرطاجيين والاكسوميين لنقلهم للتقنيات الزراعية المتطورة إلى شمال وشمال شرق القارة الإفريقية . - اعتمدوا في زراعتهم على نظام المدرجات الزراعية ، وتقنيات الري المتطورة . - كانت الزراعة المتطورة وتقنيات جمع وحفظ وصرف المياه معروفة لدى كل من الفينيقيين في الساحل الشرقي للمتوسط كذلك في اليمن .	بإمكاننا الحديث عن جزية أو ضريبة كانت هذه الأخيرة تدفعها لأحد الدويلات اليمنية . - ظهرت حقيقة اهتمام القرطاجيين بالنشاط الزراعي من خلال كتاب "ماجون "كذلك من خلال صادراتها التي تشكل من ضمنها التين – الزيتون –العسل. - بالنسبة للنشاط الزراعي الأكسومي ليست لدينا أدّلة تثبت حقيقة هذا الإنتاج وما نملكه هو بعض الآثار كالمحارث والمناجل - لم تكن المنتجات الزراعية الأكسومية حاضرة في صادراتها بالعكس هناك بعض الآثار للأمفورات ذات أصل متوسطي يعتقد علماء الآثار أنها وسيلة لنقل بعض المواد الغذائية التي تحتاج إليها أكسوم .

جدول المقارنة

الموضوع	أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
التجارة	- التجارة هي عماد الاقتصاد في كل من قرطاجة وأكسوم - تأسست كل من قرطاجة وأكسوم من طرف تجار . - دورالوساطة التجارية يجمع بين هاتين المستوطنتين وهو نفس الدور الذي قام به أسلافهم الفينيقيين واليمنيين ويميزهم عن الشعوب السامية الأخرى.	- تأخرت قرطاجة في سكّها للعملة حتى القرن الرابع ق م . - اعتماد أكسوم على العملة النقدية كان أسبق من قرطاجة (مقارنة بين تاريخ تأسيس كل واحدة منهما).
الدين	- كانت الديانة القرطاجية والأكسومية ديانة فلكية كبقية الشعوب السامية الأخرى ، ومهما اختلفت أسماء الآلهة ولكن يمكن دائما إدراجها تحت الثالوث الزهرة –الشمس – القمر . - كل من المستوطنتين قرطاجة وأكسوم عرفتا دخول آلهة أخرى إلى قائمة أرباب الهتهما .	- تبدو الديانة القرطاجية أكثر وضوحا من الديانة الأكسومية . - يصعب التأكيد إن كانت الديانة الأكسومية هي ديانة كل الشعب بطبقاته أم ديانة الطبقة الحاكمة فقط .

جدول المقارنة

الموضوع	أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
اللغة والكتابة	- كل من اللغة اللوبية (النوميدية)و الإثيوبية(الجعزية)فرع من فروع اللغة السامية الأم . - أشتقت اللوبية من البونية التي هي فرع من اللغات السامية الشمالية الغربية - أما الجعزية اشتقت من السبئية التي هي فرع من اللغة السامية الجنوبية الغربية. - وبالتالي هناك تشابه في الأصوات والصرف والتركيب والنحو والمصطلحات ، وغالبية المفردات فيها ترجع إلى أصل ذو ثلاثة حروف . - لم يكن لكل من الكتابة اللوبية والجعزية مستقبل بل اعتبرتا من اللغات التي لم تنال قدرا كافيا من الدراسة والبحث .	- تنعدم الأداب المكتوبة بالخط اللوبي ونجهل الأسباب الحقيقية لذلك . - لم يكتب الملوك النوميديين على ما يبدوبالحروف اللوبية أو يتخذونها كلغة رسمية في معاملاتهم الدولية . - ا ستعمل الملوك النوميديون الكتابة واللغة البونية وهذا لأسباب لا نزال نجهلها . - أعتبرت الكتابة الأكسومية كتابة الأداب والطقوس الدينية الحبشية وحتى اليوم تعتبر لغة الكنيسة .

جدول المقارنة

الموضوع	أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
العمارة المدنية	- كل من مستوطنتي قرطاجة وأكسوم اتبعتا نظام البناء الرأسي الذي كان يميزهما عن الشعوب السامية الأخرى . - كانت المدن القرطاجية والأكسومية محصّنة بأسوار دفاعية للرد على أية خطر خارجي .	- اعتمد الاكسوميون في عمارتهم على قاعدة من درج وهذه التقنية ليست معروفة عند القرطاجيين . - وربما اعتمد الأكسوميين عليها نظرا للطبيعة المناخية التي تتميز بها المنطقة والمتمثلة في المناخ الموسمي الذي كان يسبب خسائر مادية وبشرية ،وبالتالي كان لا بدّ أن يرفعوا أرضية العمارة على قاعدة من الأحجار الضخمة التي تمنع تسرب المياه إلى داخل المبنى.

يتضح لنا من خلال جدول المقارنة بين مستوطنة قرطاجة (الفينيقية) التي تأسست في شمال القارة الإفريقية ومستوطنة أكسوم (اليمنية)شرق القارة الإفريقية ،أن هناك بعض النقاط التي تتشابه فيها تلك المستوطنتين ،في الطبيعة التجارية ، وتطورهما من مستوطنتين إلى امبراطوريتين ،ونلمس أكثر أوجه التشابه في الجانب التجاري واللغوي والديني وأيضا العمارة .

ونحن هنا أمام قضية صعبة لأننا نحاول أن نبحث عن الأصل الواحد الذي ربما يجمع بين المجتمعين الفينيقي واليمني، فهل يمكننا الاعتماد على هذه المميزات التي يشتركان فيها لإثبات فرضيتنا ؟أم أنّ الأمر يبدو أصعب من ذلك، لأنّ من بين هذه النقاط التي تجمع بين الفينيقيين واليمنيين تشترك فيها أقوام سامية أخرى، خاصة المجال الديني واللغوي، فكيف نفسر ذلك ؟علما أنّ اللغة السامية هي المنبه الرئيسي الذي جعل العلماء يتوصلون إلى حقيقة وجود أقوام تتقارب لغاتهم وثقافتهم لهما، "الشعوب السامية " التي تبعثرت في الشرق الأدنى القديم.

صحيح أنّ ، كل الشعوب السامية تتشابه لغاتهم وتتقارب ثقافاتهم أينما وجدوا فهم يحتفظون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ،بنواة الحضارة التي ورثوها عن أسلافهم في مهدهم الأول شبه الجزيرة العربية .وكثيرا ما نلمس مظاهر الثقافة الصحراوية في كل حضارات الشعوب السامية ، كمعرفتهم لتقنيات الري وبنائهم السدود وكذا تأقلمهم مع كل الأقاليم المناخية، سواء الباردة أو الحارة ،وهذا دليل على صلابة ووعرة الطبيعة التي نشؤا فيها أي الصحراء .

وعلى ضوء الكم الذي قرأته من مادة متخصصة تكوّن لدي رأي يحتمل الصواب وربما تغلطه الأبحاث في المستقبل هذا الرأي، هو أنّ هناك قومان ساميان ينفردان عن الأقوام السامية الأخرى في بعض المميزات وهي التجارة والملاحة البحرية، وكذا تأسيس مستوطنات تجارية. وبالتالي لماذا لم نجد هذه المظاهر مشتركة بين كل الأقوام السامية؟ وكيف نفسر اعتماد الأقوام السامية الأخرى على السلع التجارية التي يقوم بنقلها التجار اليمنيون إلى شمال شبه الجزيرة العربية ،ليلحق بها التاجر الفينيقي و يوزعها على

مختلف أرجاء المعمورة ؟ فهل من وراء هذه الميزة حقيقة تاريخية والمتمثلة في صلة القرابة الدموية التي تجمع بين الفينيقيين واليمنيين ؟أم أنّ ذلك التشابه ماهو إلاّ صدفة جعلتنا نفكر في صلة القرابة بين القومين ؟.

الخاتمة

الخاتمة

بعد دراستنا لحركة الاستيطان التي قام بها كل من الفينيقيين واليمنيين يمكننا تسجيل بعض النتائج:

- توجد صفات وقواسم مشتركة بين الأقوام السامية ،الأمر الذي جعلنا نعتقد بأنّ وراء ذلك التشابه فرضية الأصل الواحد الذي تفرعت منه عدد كبير من القبائل، وقد استطاعت هذه القبائل أن تبني كتلا سياسية ذات طبيعة سامية خالصة . كما أن هذه الأقوام السامية عرفت كيفية التعامل مع السكان الأصليين للمناطق المستقبلة بكل ذكاء وسلاسة ،فالسامي لا ينزعج من التأثيرات التي قد تصادفه ، لذلك عاش كل من الكنعانيين والآراميين واليهود في أحضان تأثيرات خارجية فتأقلموا معها واستوعبوا الثقافات الجديدة .

وهذه الخاصية جعلت المختصين يترددون في الحديث عن "حضارة بلاد الرافدين " أو "حضارات بلاد الرافدين "، نفس الموضوع بالنسبة للحضارة الفينيقية ،فهي عبارة عن فسيفساء من حضارات مختلفة، عراقية ، مصرية و إيجية ،ربما يرجع السبب في هذا إلى الطبيعة الصحراوية التي جعلتهم يفرضون أنفسهم في مواقع جديدة ذات ظروف معيشية ملائمة، ، فالجفاف والحرارة المرتفعة في الصحراء جعلتهم يتقبلون ويصمدون أمام كل مصاعب الحياة .

- يمثل الفينيقيون جزءا من تلك الهجرات السامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية حوالي الألف الثالثة ق م ، ورغم تعدد الآراء حول المنطقة الأصلية التي انتقلت منها هذه الموجة ،إلا أنّ المنطلق يبقى دائما شبه الجزيرة العربية ، وحسب النصوص الميتولوجية لرأس شمرا، فقد سلكت هده القبائل الطريق الساحلي لغرب شبه الجزيرة العربية ،ومنه دخلوا إلى فلسطين وأسسوا أول المدن بالمنطقة "أشدود " ,"بير السبع "، ومنها انتشروا إلى بقية الساحل الشرقي للمتوسط.

- وقد تبين لنا من خلال المظاهر الحضارية للفينيقيين بأنهم تأقلموا مع الظروف الجغرافية المحاطة بهم، كما أحسنوا كيفية توزيع أنشطتهم الاقتصادية على كل قطعة أرضية من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط حسب خصوصيات كل منطقة. كما

أنّ اختيارهم لهذه السواحل لم يكن عشوائيا،بل له علاقة بالطبيعة الجغرافية والتضاريسية لمنطقة اليمن التي تنحصر بين سلاسل جبلية من الشمال وصحراء الربع الخالي من الشرق والبحر الأحمر من الغرب .وكذلك الساحل الفينيقي فهو أيضا محصورا بين سلاسل جبلية من الشرق والبحر الأبيض المتوسط من الغرب ، فهتان المنطقتان محصنتان طبيعيا ومنعزلتان عن العالم الخارجي وفي نفس الوقت تشكلان همزتي وصل بين عالمين مختلفين، فنجد الساحل الفينيقي يربط بين الشرق الأدنى القديم وحوض البحر الأبيض المتوسط ، أمّا بالنسبة لمنطقة اليمن فهي الجسر الذي يصل بين القارتين الأسيوية والأفريقية.

- كانت التجارة هي الوسيلة التي مكّنت الفينيقيين من نشر أبجديتهم في مختلف بقاع العالم القديم، وبفضل وساطتهم التجارية مع تجار شبه الجزيرة العربية والمناطق الأخرى ربطوا علاقات بين جهات العالم الأربعة وبدون شك كانوا مؤثرين في أحداث الشرق الأدنى القديم. وأروع ما قام به التجار الفينيقيون هو خروجهم عن إطارهم الجغرافي الأصلي ،وتأسيسهم لمستوطنات تجارية سهلت عليهم العملية التجارية باعتبارها أسواق تروج فيها السلع الشرقية ،مقابل المواد الخامة التي كانوا يحصلون عليها من أهالي شمال إفريقيا والسواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط.

- وإلى أقصى الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية نجد منطقة اليمن أين عاش شعب سامي عرف حياة مستقرة على خلاف المناطق الأخرى للجزيرة العربية ، وأسسوا ممالك كانت ترتكز على مورد اقتصادي هام وهو التجارة التي كانت وراء انجاز حضاري وهو تأسيس محطات ومستوطنات تجارية في مناطق جديدة بعيدة عن الوطن الأم ، وبينما تمركز الفينيقيون في سواحل البحر الأبيض المتوسط ،ظهرت شبكة من المستوطنات اليمنية في شمال شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا ، هذا ما جعلنا نتساءل عن طبيعة العلاقة التي تجمع بين الطرفين (الفينيقي واليمني).

- لقد تبين من خلال تتبعنا للمظاهر الحضارية اليمنية، أن هناك ميزة تجمع الفينيقيين واليمنيين تتعدى الجانب اللغوي الذي يربطهم مع بقية الشعوب السامية الأخرى.لقد كان

النشاط التجاري و تأسيس المستوطنات التجارية ، مظهرا جديدا يعكس وجود علاقة خاصة بين قومين تفصل بينهما مسافات طويلة ولكن انجازاتهم ومعاملاتهم عكست الانتماء الواحد لهذه الأقوام ، غير أنّ هموم ومتطلبات الحياة قد شتتهم عبر الأرجاء .

- إن اختيار الفينيقي واليمني لأوطان جديدة ليست عملية عشوائية، بل اختيار ذكي له أهدافه المسطرة لخدمة المصالح الاقتصادية للمجتمعين. ولهذا حاولنا أن نأخذ نموذجا من المستوطنات الفينيقية ونموذجا من المستوطنات اليمنية ، فكانت " قرطاجة "الفينيقية في شمال القارة الإفريقية ، و"أكسوم "اليمنية في الشرق الإفريقي أحسن مثال عن ذلك واستنتجنا من خلال دراستنا المقارنة للنموذجين بأنهما أفضل عينة تعكس لنا ذلك الشبه العظيم سواء من ناحية تطورهما التاريخي من محطات تجارية بسيطة إلى مستوطنات تابعة للوطن الأم ، ثم إلى إمبراطوريات ذات وزن سياسي كبير إلى جانب القوى السياسية الأخرى بالعالم القديم .

- لقد استطاع كل من الفينيقيين واليمنيين أن يدخلوا أجزاء من العالم القديم إلى المرحلة التاريخية، بفضلهم تعرف العالم على أقوام غريبة وبعيدة عن التيارات الحضارية الشرقية ،وبفضلهم أيضا تطورت العلاقات بين مختلف أرجاء العالم الشرقية والغربية ، ويرجع الفضل للملاحة البحرية التي كانت وسيلتهم الخاصة في البحث والمغامرة في أخطر وسائل النقل عرفتها البشرية وهي البحار والمحيطات.إنّ معرفتهم المبكرة لهذا النشاط جعل منهم أسياد التجارة في التاريخ القديم .

- لقد ترك الفينيقيون بصماتهم السامية في شمال إفريقيا وذلك عن طريق الكتابة والنظام السياسي ،وقد دفع استعمال اللغة والكتابة الفينيقية اللوبيين تدريجيا إلى البحث عن اختراع أبجدية خاصة بهم وعرفت فيما بعد بالكتابة اللوبية ، كما شجع هذا الوضع أهالي المنطقة على تأسيس كيانات ذات أنظمة اقتصادية وسياسية.

- نلمس أيضا في شرق إفريقيا (الحبشة) مظاهر حضارية سامية كانت نتيجة للتواجد اليمني بالمنطقة ،وبفضلهم انتقلت المنطقة من مرحلة مظلمة إلى مرحلة عرفت الرفاهية والاستقرار ،ونلاحظ من خلال أثار الحبشة مظاهر حضارية يمنية خالصة،وقد

كان الفضل الكبير لهؤلاء اليمنيين في إدخال فنون الهندسة المعمارية والزراعة المتطورة وتقنيات التجارة ، هذه المكتسبات جعلت الأكسوميين يسيطرون على أكبر طريق تجاري ربط عالم البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الهندي ،وذلك من خلال تحكمهم في موانئ البحر الأحمر والطرق البرية بين مصر وإفريقيا الشرقية .

- أمّا بالنسبة للمظاهر الحضارية القرطاجية والأكسومية، فإننا نلاحظ وجه شبه بالغ خاصة فيما يخص الهندسة المعمارية المعتمدة على البناء الرأسي ، وكذا تقنيات الزراعة المتمثلة في المدرجات الزراعية وبناء السدود وتنظيم قنوات الرّي لخدمة مصالح كل المزارعين والأحياء السكنية ، وقد اعتمد كل من القرطاجيين والأكسوميين على التجارة كأساس لاقتصادهم.

- وما يمكن أن نختم به هو ذلك التطابق الكبير في الكثير من المظاهر الحضارية لكل من الفينيقيين واليمنيين، فهل هذا كاف كدليل نستند إليه لتأكيد صلة القرابة الدموية التي جمعت الشعبين؟وإذا كانت هذه الدراسة بحاجة إلى أدلة علمية أدق، فهل تطابق مقاسات الجماجم الفينيقية التي توصل إليها الباليونتولوجيون في صقلية مع مقاسات الجماجم العربية جواب للقضية التي نحاول دراستها ؟.أم أنّ هذه المسألة لا تزال بحاجة إلى مزيد من المجهودات والأبحاث ،وأنّه يتوجب علينا طرقها من زوايا أخرى مختلفة ...؟

البيبليوغرافية

-المصادر

1-المصادر الدينية

-القران الكريم

La Bible -

2- التقارير التنقيبية

-Anfray(F) : « fouilles de Yeha » In : Annales Ethiopiennes, v5, 1972,P.P :45-64.

- Anfray(F): « Matara » In: Annales Ethiopiennes ,V7, 1967

-Anfray(F) : « Première campagne de fouilles a Matara (1959-1960) »In : Annales Ethiopiennes, V5, 1963, P.P :87-166.

-Benichou-Safar(H) : « Les fouilles du tophet de Salammbô à Carthage »In : Antiquités Africaines, V31, N31, 1995, P.P :81-199.

-Breton(JF) : « L'architecture antique des deux rives de la mer rouge »In : Journal des Africanistes, T72, 2002, P.P :229-239.

-Breton (J- F) : « rapport sur une mission archéologique dans le wad hadramut Yémen de sud en 1979 »In : compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, V124, N1, Paris 1980, P.P :57-80.

- Bosch- Grimpera(P) : « les phéniciens : leurs prédécesseurs et les étapes de leurs colonisations en occident »In : compte rendu

d’Académie des inscriptions et belles – lettres, V116, N3, 1972,P.P :464-475.

-Calvet(Y) : « Kition, Travaux de la mission Française »In : maison de l’orient méditerranéen. Jean pouilleux, 1993, P.P :107-138.

- carton (L) : « notes su r la topographie des ports de Carthage »In : compte rendu d’Académie des inscriptions et belles – lettres, paris 1910, P.P :622-631.

- Christian (R) ,Maigret(A) : « le grand temple de yeha »In : compte rendu d’Académie des inscriptions et belles – lettres paris 1998, P.P :737-798.

- Clermont –Ganneau(Ch) : «   Inscription Bilingue Mineo-Grecque découverte a Délos » In : compte rendu d’Académie des inscriptions et belles – lettres, 52emeAnnee, N°8, 1908, P.P :546-560.

-De Contenson (H) : « Les monuments sud- arabes découvertes sur le site de Haoulti(Ethiopie)en1959 » In : Revue Syrienne, T39, Fascicule 1-2, 1962, P.P :64-87.

-De Contenson(H) : « Les Fouilles de Haoulti en 1959,Rapport préliminaire »In : Annales Ethiopiennes, V5,1963,P.P : 41-86.

- Dridi (H), robin (Ch- J): « deux barrages du Yémen antique »In : compte rendu d’Académie des inscriptions et belles – lettres, V148, N1, paris 2004, P.P :67-121.

- Dupont- sonner(A) : « nouvelle lecture d'une inscription phénicienne archaïque de Nora en Sardaigne (C.I.S 144) »In : compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, V2, N2, 1948, P.P :12-22

- Euzénate(M) : « le périple d'Hannon »In : compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, V138, N2, paris 1994, P.P :559-580.

-Godet(E) : « Bilan de recherches récentes en numismatique Axoumite »in : Revue Numismatique, T261986, P.P :174-209.

- Inizan (M-L), Viglia (V-F) : « Les périples de L'obsidienne à travers la mer rouge », In : Journal des Africanistes, fascicule 2, tome 72, 2002, P.P :11-19.

- krageorghis (v) : « quartier sacré de Kition »In : compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, V120, N2, 1976, P.P :229-245.

- Lancel (S) : « fouilles françaises a Carthage, la colline de Byrsa et occupation punique (7eme siècle -146av .j .c) »In : compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, V125, N2, 1981, P.P :156-193.

-Morrison(C), Godet(E), Barrandon(J.N) : « Le monnayage d'or Axoumite, une altération particulière »In : Revue numismatique, V6, N32, 1990, P.P :186-211.

-Moscati(S): « Découvertes Phéniciennes a Tharros »In : compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, N°3, volume31, 1987, P.P :483-503.

-Nautin(P), Caquot(A), Anfray(F) : « une nouvelle inscription grecque d'Ezana, rois d'Axoum » In : Journal des Savantes, v4, n4, 1970, P.P :260-274.

--Raptou (E), loukoupoulou(l) : « Mobilité et migration dans le chypre antique »In : maison de l'orient méditerranéen en chypre, France, université lumière Lyon(2)1996, P.P :53-60.

-Robin(CH) (A)de Maigret: « le grand temple de Yeha » In : compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, v 142 n3, 1998, P.P :737-798.

-Robain(Ch), Gorea (G):«Les vestiges antiques de grotte de Hôq (Suqutra, Yémen) » In : compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, N2, 2OO2, P.P :409-445.

-Schneider (R): « l'inscription chrétienne d'Ezana en écriture sud arabe »In : Annales Ethiopiennes, v10, n1, 1976, P.P :109-117.

-Schneider(R), drewes (A- J): « documents épigraphiques -1 »In : Annales Ethiopiennes , v7, n7, 1967 ,P.P :89-106.

- Yon(M): « les hangars du port chipro-phéniciens de Kition, campagne 1996-1998, (mission française de Kition bamboula) »In :

Maison de L'Orient Méditerranéen, syria, V77-N77, 2000, P.P :95-116.

- Yon(M), Sznycer(M) : « une inscription phénicienne royale de Kition, chypre »In: compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, V135, N4, 1991, P.P :791-823.

3-النصوص الأدبية

-Diodore de Sicile ; bibliothèque historique, trad. AF. Milo, Paris : Ed Imprimerie Royale 1834-1837.

- Hérodote, Histoire, Trad.A.Barguet, Paris : Ed Gallimard 1964.

-Justin, Histoire Universelles, Trad.J.Pierrot, Paris : Ed.Panckouck 1833.

Pline l'Ancien, Histoire Naturelle, Trad.Ajasso d Grandsagne, Paris : Ed. Panckouck, 1829-1833.

-Polybe, Histoire, trad.D.Roussel, Paris : Éd. Gallimard, 1970.

-Strabon, Géographie, trad.A.Tardieu, Paris : Éd. Hachette, 1870-1830.

- Tite Live, Histoire Romaine, trad. E. Lasser Paris : Éd. Classique Garnier, 1943 -1958.

II-المراجع

1- المراجع العربية

- أبو محاسن عصفور، محمد. المدن الفينيقية. بيروت: دار النهضة العربية للنشر، 1981.

- أبو محاسن عصفور، محمد.الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية. مصر: مطبعة المصري، 1962.

- إبراهيم، نجيب ميخائيل .مصر والشرق الأدنى القديم ، ج3،الطبعة الثالثة ،القاهرة:دار المعارف ،1966.

- البعلبكي ، فوزي .الكتابة العربية السامية .بيروت، 1981.

- الجرو، أسمهان سعيد .دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم .دار الكتاب الحديث ،2003.

- الخطيب، محمد. الحضارة الفينيقية. ط2، سوريا: دمشق 2007.

- السعداني، محمد ابراهيم . تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية وأثرية)، ط1، القاهرة:الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2008.

- السواح ، فراس. الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم. ، دمشق:منشورات دار علاء الدين، 1999.

- الفرجاوي ،أحمد.بحوث حول العلاقات بين الشرق الإفريقي و قرطاجة.تونس:المعهد الوطني،1993.

- الماجدي، خزعل . المعتقدات الكنعانية .ط1،الأردن ، عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع ،2001.

- الزوكة ،محمد خميس .حوض البحر الأحمر .الإسكندرية ،2003.

-بافقيه، محمد عبد القادر،تاريخ اليمن القديم .لبنان :المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1985.

- باقر ،طه .مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ وحضارة وادي الرافدين)، ج، ط2، بغداد، 1986.

- بور ونية ،الشاذلي .محمّد طاهر ، قرطاج البونية .الإسكندرية ،1999.

- جوهر، حسين، محمد السيد أيوب. اليمن. القاهرة: دار القومية للنشر والتوزيع1967.

- حارش ،محمد الهادي .التاريخ المغاربي القديم(السياسي والحضاري)مند فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي. الجزائر، 1992.

- حسن، محمد إبراهيم. القرن الإفريقي وحوض البحر الأحمر دراسة مقارنة للمظاهر الطبيعية والبشرية والإقليمية.الإسكندرية، 2011.

- رحماني، بلقا سم .حضارة العرب القديمة (الحضارة اليمنية نموذجا).ج1-2،الجزائر:قسنطينة، 2009.

- سليم، أحمد أمين. دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم(سوريا- بلاد العرب). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1991.

- سوسة، أحمد.حضارة وادي الرافدين(بين الساميين و السومريين).بغداد: دار الحرية للطباعة،1980.

- ظاظا ،حسين.الساميون ولغاتهم .الإسكندرية ،1971.

- عبده، سمير. السوريون والحضارة السريانية. ط1، سوريا: دمشق، دار الحصاد للنشر و التوزيع، 1998

- عبد العليم، أنوار. الملاحة وعلوم البحار عند العرب. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979.

- عبد العزيز، صالح .تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل عصورها القديمة. ،القاهرة :مكتبة الانجلو مصرية ،1992.

- عبد القادر الخليل عبد المنعم. علاقات مصر بشرق البحر الأبيض المتوسط حتى نهاية الدولة الحديثة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981

- عبد اللطيف عبد الهادي السيد .موسوعة التاريخ الإسلامي (الكتاب الأول)جزيرة العرب قبل الإسلام، عصر الجاهلية، ليبيا، 2008

- علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،.ج،ط3،بغداد 1980.

- عيساوي، مها .النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم (دراسة تحليلية ثقافية)حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني. ،ط1،الجزائر: ،جسور للنشر والتوزيع،2009

- غانم، محمد الصغير. التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992.

- غانم، محمد الصغير. المملكة النوميدية والحضارة البونية.الجزائر :دار الأمة ،ط1،1998

- غانم، محمد الصغير. الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا . قسنطينة : دار الهدى للنشر والتوزيع ،2005

- غلاب، محمد السيد. الساحل الفينيقي و ظهيره في الجغرافية والتاريخ .ط1،بيروت ، دار العلم للملايين، 1969

- فخري ،أحمد.دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر – العراق- سوريا –اليمن – إيران)مختارات من الوثائق التاريخية. ، ط2، القاهرة، 1963.

- لطفي عبد الوهاب يحي. العرب في العصور القديمة (مدخل حضاري في تاريخ العرب القديم قبل الإسلام).ط2،بيروت، 1979

- مادن، سهام .اللهجات العربية القديمة.الجزائر:كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2004.

- مهران، محمد بيومي.مصر والشرق الأدنى القديم (تاريخ العرب القديم).ج1،ط11،الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية، 1994.

- زيدان ،جرجي. تاريخ الأدب العربي. ،ج1 ،1993.

- وروزة، محمد عزة .تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار و الأدوار .بيروت: المكتبة العصرية ،صيدا، 1961

2- الدوريات باللغة العربية

- الحسين ،يوسف فضل :"الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية "في: مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، 1984.

- خلف، محمد احمد:"الجذور التاريخية للعلاقات بين العرب والأفارقة «في:مركز دراسات الوحدة العربية، العرب والدائرة الإفريقية، لبنان 2005

- صراع، حمد محمد:"مصادر تاريخ عمان القديم (دراسة تحليلية)"،مجلة ليوا،السنة الأولى ،العدد الثاني ،2009

- فكري، محمد همام :"عبور الربع الخالي ،رحلة توماس برترام"،مجلة نزوى ،العدد الخامس ،2009.

- ميهوب أحمد غالب كليب :"الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول ق م "،مجلة جامعة دمشق ،العدد الأول والثاني ،المجلد 27،دمشق، 2011.

3- المراجع المعربة

- بيرنهربت ، كارل هانبر.لبنان القديم.تر.ميشيل كيلو ،سوريا : قدموس للنشر والتوزيع ،1999.

- تيركين، يولي بيركوفش .الحضارة الفينيقية في اسبانيا .تر.يوسف أبو فاضل ط، 1بيروت، 1987.

- جوليان ، شارل أندري .تاريخ إفريقيا الشمالية.تر.محمد مزالي و البشير سلامة،تونس :الدار التونسية، 1969.

- حتي ، فليب. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين .تر.يوسف حداد، بيروت، 1958.

-مادلين هورس ميادين.تاريخ قرطاج .تر.إبراهيم بالش ،لبنان :بيروت ،منشورات عويدات ، 1981.

.- مزيل، جان. الحضارة الفينيقية الكنعانية .تر.ربا الخش ،ط1،سوريا ،1998

4-المراجع الأجنبية

- Boulons, (J). Les peuples et les civilisations du proche orient (essai d'une histoire comparée des origines à nos jours). t2, Paris : publie en collaboration avec l'école des hautes études ,1962.

-Gullin, (Ch). Document sur l'histoire, la géographie et le commerce de l'Afrique orientale, t1, Paris, libraire de la S.G ,1956.

- Connop Thirlwwall, (m) .Histoire des origines de la Grèce antique, trad.adolph Joanne, Paris : 1852.

- De la malle, (D). Recherche sur la topographie de Carthage. Paris : imprimeurs de l'institut ,1835.

- De Morgan, (J). Les premières civilisations (étude sur la préhistoire et l'histoire jusqu'a la fin de l'empire macédonien). Paris : Ernest Leroux, 1909.

- Delattre, (A). Les travaux hydrauliques en Babylonie, imprimerie polleuni ceutrick et le febure ,1888.

- Dument, (A). La genèse de la création a la mort d'Abraham. t1, paris ,2012.

- Gras,(M), Rouillarde(P) .l'univers phénicien. Paris : hachette, 1955.

- Heiberg(F). Le roi Salomon et son temps. trad. sm.guillenin, paris : Payot ,1957.

- Julien, (Ch-A) . Histoire de l'Afrique du nord (des origines à 1830). Paris : Payot, 1994.

– Lipinski, (E). Dieux et Déesses de L'univers phénicien et punique. Paris : Peeters, 1995.

- Mongénot,(A) .Histoire ancienne des peuples de l'orient (Assyriens et Babyloniens, Egyptiens, Mèdes et perse – Phéniciens). Paris : Ed Gontenan, 1895.

-Moscati, (S).Histoire et civilisation des peuples sémitiques. Paris : Payot, 1955.

-Moscati, (S).L'orient avant les grecs. Paris : presse universitaire de France, 1963.

- Renan, (E) .Histoire générale et système compare des langues sémitiques. t1, ed3, Paris, imprimerie impériale, 1883.

- Widal, (A). Etude littéraire et morale sur Homère première partie, l'Iliade. Paris : Ed hachette, 1863.

5- الدوريات بالغة الأجنبية

-Anfray-(f). : « la civilisation d'Axoum du 1er au 7eme siècle , Afrique ancienne »In :Organisation des Nations Unies, Paris,1989,P.P :386-405.

- Bérard(V) : « la méditerranée Phénicienne »In : Annales de Géographie, t4, n16, 1895, P.P :271-286.

- De conteston(H) :«les principales étapes de l'Ethiopie antique »In : Cahiers de d'Etudes Africaines, v2, n5, 1961, P.P :12-23.

- Drechou(H), Hivermel(F), Carpoff(R) : « nouvelles stations préhistoriques dans les reliefs anciens de l'Arabie

saoudite »In : Bulletin de la société préhistorique Française, t65, N3, 1968, P.P :817-832.

- Dussaud (R) : « le commerce des Anciens Phéniciens a la lumière du poème des dieux gracieux et beau »In : Revue Syrienne, n17-1, v17, 1936, P.P :375-376.

- Dussaud (R), Février (R.G) : « les origines de marine phénicienne » In : Revue Syrienne, n1, v17, 1936, P.P :93-94.

- Elayi(J) : « les cites phéniciennes entre liberté et sujétion »In : Dialogue d'Histoire Ancienne, v16, n2, 1990, P .P :93-113.

- El Mostapha Moulay Rchid : « Lixus et Gade réalité et idéologie d'une symétrie »In : Dialogue d'Histoire Ancienne, v15, n15, 1989, P.P :325-331.

- Forest, (J- D) « L'apparition de l'état en Mésopotamie », Acte du colloque, Paris, 2002

-Gsell (St): « Tartessos »In: Journal des savants, V21, N5, 1923, P.P:193-200.

- Le lannan (M) : « La Sardaigne »In :Revue de Géographie, de Lyon, France, v26, n26-2, 1941, P.P :67-75.

- Malart (R) : « Phéniciens et carthaginois en Péninsule Ibérique »In : Dialogue d'Histoire Ancienne, v22, n22-2, 1996, P.P :313-317.

-Maurice (Y-M) : « Nécropoles phéniciennes de kition »In : Maison de L'orient Méditerranéen, pouloux1998, P.P.217-227.

-Mouton (M) : « Irrigation et formation de la société des basses – terres du Yémen »In : Revue syrienne, v81, n81, paris 2004, P.P :81-104.

-Pomey(P) : « L'art de la navigation dans l'antiquité » In : Cahier de la Villa Kérylos, 1997, P.P :89-101.

-Robin (Ch) : « Les langues de la péninsule arabique »In : Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée, n61, 1991, P.P :89-111.

- Robin(Ch) : « La pénétration des Arabes nomades au Yémen » In : Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée, N°61, 1991, P.P :71-88.

- Robin(CH) : « Le royaume Hujrid, dit "royaume de Kinda"entre Himyar et Byzance » : In : Compte rendu d'Académie des inscriptions et belles – lettres, V140, N2, 1996, P.P :665-714.

-Rougé(J) : « La navigation en mer Erythrée dans l'antiquité »In : Travaux de la Maison de l'Orient Méditerranéen, 1988, P.P :59-74.

-Vaumas (E): « Le djebel Ansarieh »In : Revue de la Géographie Alpine, v48, n48-2, 1960, P.P :267-213.

-« Histoire universelle depuis le commencement du monde - jusqu'à présent », traduit en français par une société de gens de lettres, t 3, paris 1780.

الفهارس

أولا : فهرس الأشخاص

(أ)

<u>ثانيا : فهرس الأماكن والمدن والمواقع</u>

(ج)

ثالثا : فهرس القبائل والشعوب

(ق)

رابعا : فهرس اللغات والخطوط

(أ)

خامسا : فهرس الآلهة

(أ)

فهرس الخرائط

فهرس الأشكال والصور والخرائط

فهرس الأشكال والصور والخرائط

فهرس الأشكال والصور والخرائط

فهرس الموضوعات

ملخص

المذكرة عبارة عن دراسة لحركة الاستيطان الفينيقية في حوضي البحر الأبيض المتوسط (الشرقي والغربي) ،أين حاولت أن أظهر طبيعة كل مستوطنة فينيقية، وفي الجزء الثاني من المذكرة تطرقت إلى حركة الاستيطان اليمنية في شمال شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا ، أما بالنسبة للفصل الثالث والأخير، كان مخصصا لدراسة مقارنة بين نموذج من المستوطنات الفينيقية (قرطاجة) ونموذج من المستوطنات اليمنية (أكسوم) ، والهدف هو إظهار أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين المستوطنتين، ربما تساعدنا هذه الدراسة على فهم ذلك الشبه البالغ الذي يجمع بين الفينيقيين واليمنيين.

الكلمات المفتاحية:

الاستيطان؛ الساميون؛ الفينيقين؛ اليمنيون؛ قرطاجة؛ أكسوم؛ البحر الأحمر؛ البحر الأبيض المتوسط؛ الشرق الإفريقي؛ الملاحة البحرية؛ التجارة.

نوقشت يوم 21 سبتمبر 2014